

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

لقد تم تصويب ما أوصت به لجنة المناقشة .

المناقشان

أ.د عبد الله الغبادى   أ.د ابراهيم الحاردلو

المشرف

أ.د عبد الحكيم حسان عمر



شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي

من ٢٣٢ - ٤٤٧ هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب العربي

إعداد

ضيف الله سعد حامد الحارثي

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الحكيم حسان عمر

١٤١٣ - ١٤١٤ هـ
١٩٩٣ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

عنوان البحث :

شعر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي من ٢٣٢-٤٤٧هـ، يتضح من خلال هذا البحث أن شعر الهجاء الاجتماعي، أصبح غرضاً من أغراض الشعر العربي بعامة والشعر العباسي بخاصة، فهو يعالج الحياة الاجتماعية ويتفاعل معها، وقد كان في مجمله يبتعد عن التوعر والغموض، حيث اتجه إلى اللغة السهلة التي تقرب من الشعبية في بعض الأحيان .

ولم يتكلف في الصنعة، بل نجد الصورة الفنية تأتي عفوياً، غير أن أهم مانجده الصدق، فهو يعبر عن خلجات النفس الاجتماعية وينقلها بصدق ووضوح .

انتظم البحث في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة، ثم الفهارس الفنية .

تحدثت في المقدمة :

عن أهم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع .

أما التمهيد :

فتحدثت فيه عن أهم العوامل التي أدت إلى بروز هذا الغرض الشعري، حيث كان نتيجة للتحلل من القيم الدينية والخلقية .

وفي الفصل الأول :

تناولت الظواهر التي تظهر فيها رقة الدين والتحلل من القيم الدينية، وكان في خمسة مباحث هي :

١ - اللهو . ٢ - وصف الخمر . ٣ - في ذم المرأة .

- في التنجيم والشعوذة .

أما الفصل الثاني :

فقد انصب الحديث فيه على أبرز الظواهر التي تبين مدى ماوصل إليه بعض فئات المجتمع من تحلل خلقي، وكان على ثمانية مباحث هي

١ - التنكر . ٢ - اللؤم . ٣ - النفاق . ٤ - الغيبة والنميمة والوشاية . ٥ - الكذب . ٦ - الحسد . ٧ - اللحى والخضاب .

٨ - الجبن وقصر الهمة .

وأخيراً الفصل الثالث :

تحدثت فيه عن الإقبال على الماديات والحرص على المال، واشتمل على ثلاثة مباحث هي :

١ - أثر المال في العلاقات الاجتماعية . ٢ - البخل . ٣ - ظاهرة الكدية .

الخاتمة :

بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة . وأخيراً ذيلته بالفهارس الفنية [فهرس القوافي - فهرس الأعلام - المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات] .

الباحث	المشرف	عميد كلية اللغة العربية
ضيف الله سعد الحارثي	أ. د. عبد الحكيم حسان عمر	د. سعد حمدان الغامدي

شـــكر وتـقـديــر

شكر وتقدير

الحمد لله الذى أنعم على عباده بنعمة العلم والمعرفة والصلاة والسلام على من زاده الله علما ومعرفة ، والشكر له عز وجل الذى أعانني على اخراج هذا البحث .

وبعد :

فأشكر أستاذى الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان عمر ، الذى كان لتوجيهاته السديدة الأثر الكبير فى توجيهى الوجهة الصحيحة كى يخرج هذا البحث فى صورة هى أقرب الى الكمال . كما وأشكر له قبوله الاشراف على هذه الرسالة .

كما أسجل الشكر الجزيل لسعادته ، تقديرا لما بذله من جهد ، واكبارا لدماثة خلقه ، واعترافا بآرائه البناءة وتوجيهاته القيمة ، فى اخراج هذا البحث .

كما أشكر جامعة أم القرى ، التى أتاحت لى فرصة مواصلة الدراسة ، ممثلة فى كلية اللغة العربية وعلى رأسها سعادة عميد الكلية الدكتور/محمد مريسى الحارثى ، وقسم الدراسات العليا العربية ورئيسه سعادة الدكتور/ سليمان بن ابراهيم العايد ، لما بذلاه ويبذلانه فى سبيل تذليل العقبات وتوفير الامكانات والمتطلبات اللازمة للدارسين وحثهم على مواصلة البحث العلمى الرصين ، ليكونوا لبنات خير فى بناء صرحنا الحضارى ، وليسهموا فى نهضتنا العلمية الحديثة .

وأشكـر الأستاذين الفاضلين عضـوى المناقشة اللـذين تفضلا مشكورين بقـراءة هذا البحث والحكم عليه . والله أسأل أن يوفقنـا جميعا لما فيه خير الدنيا والآخرة انه سميع مجيب .

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد وآله وصحبه الأبرار .

وبعد :

فالشعر ديوان العرب بحق ، ولازال أمينا على قيم الأمة ، ومرآة عاكسة لحياتها ، فعن طريقه نستطيع الاستدلال على تاريخ الأمم وارثها الثقافى وأعرافها الاجتماعية وتقدمها العلمى .

ولما كان الشعر من أهم عوامل تكوين الشخصية الأدبية ، فقد اعتمد عليه الباحثون ، ليقفوا على عمق فكر الأمة فى الماضى والحاضر ، والتنبؤ بما ستئول اليه الحياة فى المستقبل .

من هذا المنطلق اهتم الباحثون بالشعر فى أدب العرب على مر العصور الأدبية .

ولقد كان شعر الهجاء الاجتماعى فى العصر العباسى ، موضوعا من موضوعات الشعر العربى بعامة والعباسى بخاصة ، فقد اتجه هذا الشعر الى نقد الظواهر الاجتماعية السيئة ، التى تسىء الى العقيدة والأخلاق والعادات وتلحق بالمجتمع من الأدواء مايقوض دعائمه .

ولما يمتاز به شعرنا العربى منذ القدم من قيم وابداع فنى أصيل ، فقد أقبل كثير من الباحثين على دراسة جوانبه المختلفة ، ورغم ذلك فلازال هناك جوانب عديدة تتسع لكثير من الأبحاث .

وأحسب أن شعر الهجاء الاجتماعى واحد من هذه الجوانب التى تستحق الدراسة والبحث ، حيث ان شعر الهجاء الاجتماعى لم يحظ باهتمام الباحثين ، فلم تظهر دراسة تبين لنا مايحويه هذا الشعر من نواح فنية ، ومايعالجه من ظواهر اجتماعية ، فى حين ظهر كثير من الدراسات فى أغراض الشعر العربى من مديح وفخر ووصف ورثاء وغزل وغير ذلك من الأغراض.

ويمكننى أن أعزو السبب فى ذلك الى أن هذا الشعر كان عبارة عن نقدات عابرة لمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، لم يتعد عدد أبياتها أصابع اليد ، كما أن الظواهر التى عالجها ، كانت فى أغلبها ظواهر مستحدثة ، فرضتها الحياة الجديدة ابان العصر العباسى .

ومع ذلك فان شعر الهجاء الاجتماعى استطاع أن يفرض نفسه ، ويحتل مكانه بين أغراض الشعر فى العصر العباسى .

وشعر الهجاء الاجتماعى هو موضوع البحث الذى قمت بدراسته ، وهو مصطلح أدبى يهدف الى نقد بعض مظاهر الحياة الاجتماعية .

ولقد واجهت صعوبة فى تحديد البيئةوالزمن ، الى أن استقر بى الأمر الى تحديد العصر العباسى بيئة ، ومن منتصف القرن الثالث الى منتصف القرن الخامس زمنا لهذه الدراسة لأن شعر الهجاء الاجتماعى بلغ قمة ازدهاره خلال هذه الفترة .

فالشعر بخاصة والأدب بعامة ، لايخرج عن كونه قيمة انسانية لايمكن حدها بزمان ، الا بالاحتكام الى طغيانها فى فترة دون سواها .

أما الأسباب التى جعلتنى أختار هذا الموضوع فأوجزها فيما يلى :

(١) أن الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى ، كانت تزخر بظواهر انحراف متعددة تحتاج الى من يبرزها ويوضحها .

(٢) تصدى شعر الهجاء الاجتماعى لتلك الظواهر وعراها .

(٣) برز الشعر الاجتماعى كغرض من أغراض الشعر فى العصر العباسى .

(٤) كان هذا الشعر تعبيرا عن وعى الأمة ونضوجها فكريا وثقافيا .
(٥) يمكننا من خلال هذا الشعر أن نحكم على أخلاق وعادات المجتمع .

أما منهج الدراسة فى هذا البحث ، فيدور حول النص الشعرى ، حيث اخترت للتعامل مع النصوص منهجا يصدر عن النصوص الشعرية موضوع الظاهرة ، بمعنى أننى فضلت ألا أطرح قيما نقدية جاهزة على الشعر الذى نحن بصدده .

ولعل البحث بذلك سيفقد بعض بريق هذه المصطلحات ، ولكن لابأس اذا كانت الحقيقة النقدية ممثلة للظاهرة الشعرية تمثيلا حقيقا .

ولقد اعتمد فى دراسة النصوص على اللغة الشعرية مدخلا ، باعتبارها محورا تنتظم فيه الألفاظ ، وهذه الدراسة استلزمت منى أن أطرح العلوم الاجتماعية والتاريخية جانبا ، الا ماستدعاه النص المدروس .

فمنهجنا اذا هو المنهج النصى الذى ينطلق من النص ويعود اليه ، فى حركة دائرية ، بهدف تعميق دراسة الظاهرة النقدية موضوع هذا البحث.

وقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية ، فضلا عن المجاميع الشعرية ، وكتب الأدب المتعددة .

واتضح من البحث أن هذا الشعر لم يكن مرتبطا بالمناسبات ، ولكنه يمثل جانبا من جوانب الحياة المضطربة ، التى تحمل هموم المجتمع ومايعانيه من ضيق وحرمان ، ومافرض عليه من مظاهر منحرفة ، وفى نفس الوقت فان هذا البحث قد نبه الى خطر تلك الانحرافات الدينية والخلقية ، ومايترتب عليهما من أضرار لفئات المجتمع المختلفة .

ولذلك فقد اقتضت خطة البحث فى صورته النهائية أن تكون على النحو التالى :

تم تقسيم البحث الى ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة .

التمهيد :

وهـو توطئة للولوج الى البحث ، حيث تحدثت فيـه عن العوامل التى أدت الى بروز هـذا الغـرض مـن الشعـر نتيجـة للتحلـل مـن القيم الـدينية والخلقية.

الفصل الأول :

وقـد تناول الظواهر التى تظهر فيها رقة الدين ، بل التحلـل من القيم الدينية والخروج عن العقيدة.

وقد انصب الحديث فيه على ظاهرة المجون ، مبتدئا بالحديث على اللهو بشكـل عـام والخمر بشكل خاص ، ثم انتقـل الحديث الى المرأة ودورهـا فى الحياة اللاهية .

كما تناول الحديث ظاهرة الشعوذة والتنجيم .

أما الفصل الثانى :

فقـد تناول الظواهر التى تبين مدى ماوصلت اليـه بعض فئات المجتمع من تحلل خلقى .

وقـد قصـرت الحديث فيـه على أبرز الظـواهر التى سـادت فى العصـر العباسى ، وهى :

* ظاهرة التنكر .
* ظاهرة اللؤم .
* ظاهرة النفاق .
* ظاهرة الغيبة والنميمة والوشاية .
* ظاهرة الكذب .
* ظاهرة الحسد .
* ظاهرة اللحى والخضاب .
* ظاهرة الجبن وقصر الهمة .

وفى الفصل الثالث :

تناول الحديث الاقبال على الماديات والحرص على المال . وقد وضح تأثير المال على العلاقات الاجتماعية وماترتب على ذلك من شح وحرمان للطبقة الدنيا .

أما الخاتمة :

فقد أوجزت فيها ماتوصل اليه البحث من نتائج .

وبعد فهذا جهد المقل ، بذلت فيه أقصى غاية الجهد ، فان أصبت فهو مطلبى وان قصرت ، ففى وقفات العلماء الأفاضل مايسد النقص ويستر العيب .

ومهما حاول الباحث فى أدبنا العربى أن يلم شتات بحثه ، فلن يتأتى له ذلك . وبهذا يكون مجال البحث مفتوحا على مصراعيه للبحث والتقويم .

ويعلم الله أنى حاولت ماوسعنى الجهد ، وماتوافر لدى من مصادر ومراجع ، أن ألم بشتات موضوعى هذا ، بكل دقة وحرص وعناية ، مستمدا العون من الله جل وعز .

وختاما أشكر الله على مامن به ، وأسأله التوفيق والسداد .

{وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله} ، وأصلى وأسلم على من بعث رحمة للعالمين ، والحمد لله أولا وآخرا .

الباحث



التمهيد

التمهيد

أخذ العباسيون يعدون العدة للاستيلاء على الحكم عن طريق احتواء عناصر المجتمع المعارضة للحكم الأموى كالشيعة والموالى بشكل عام .

ومع تقدم الزمن أخذت الدعوة تقوى والأنصار يزدادون يوما بعد آخر ، وبخاصة فى بلاد فارس والكوفة موطن الشيعة .

ولما قويت الدعوة وتفشى أمرها ، احتدم الصراع بينها وبين الدولة الأموية ، فكانت المواجهة المسلحة بين العباسيين والأمويين ، التى آلت الأمور بعدها الى انتصار العباسيين فيها ، واعلان قيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ ، وتولى أبى العباس السفاح مقاليد الحكم .

ثم أخذت جيوش الدولة العباسية تتجه صوب الشام ، حيث كانت المواجهة بينها وبين جيش آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد ، التى انتهت بانتصار الجيش العباسى واندحار الأمويين .

وكان من أهم الأحداث البارزة التى آلت اليها الأوضاع بعد قيام الدولة العباسية ، مايلى :

أولا : انتقال عاصمة الخلافة من دمشق فى بلاد الشام الى بغداد المجاورة لبلاد فارس .

ثانيا : اعتماد العباسيين على العنصر الفارسى فى قيام دولتهم وابعادهم للعنصر العربى ، فقد كان قوادهم الذين حملوا لواء الدعوة لهم من الفرس.

ثالثا : خيبة أمل الشيعة الذين كانوا يعقدون آمالهم على العباسيين لاعادة الحكم فى آل البيت (العلويين) .

رابعا : أن الذين قاموا بالدعوة العباسية من العرب كانوا يمثلون أقلية بالنسبة لمن استعانوا بهم من الأعاجم ، فى حين اعتمد الأمويون على العنصر العربى وحده فى تثبيت دعائم حكمهم ، وأبعدوا الموالى .

وكما هو معلوم فقد تأثر المجتمع الاسلامى بعد فتح بلاد فارس والشام ومصر بما فى تلك البلاد من حضارات ، حيث اتخذ المسلمون دمشق عاصمة للخلافة ابان الحكم الأموى ، غير أن ذلك التأثر لم يظهر بشكل لافت ، كما حدث بعد نقل الخلافة من دمشق الى بغداد ، بعد تولى العباسيين زمام الحكم ، حيث ظهر أثر الحضارة الساسانية فى كثير من الأخلاق والعادات وطرز البناء .

لقد بنى الخليفة المنصور مدينة بغداد على شكل مستدير مشاكلا فى ذلك المدائن ، أضف الى ذلك النمط المعمارى فى القصور والبرك والأسواق والحمامات والسراديب والقباب ، والنقوش التى تحلى بها الشبابيك والأبواب وواجهات المنازل والمساجد .

ولاشك أن هذا التأنق فى العمارة ، مرده الى الترف والثراء الذى كان ينعم به علية القوم ومن عاش فى كنفهم من المغنين والشعراء، والكتاب فقد كانوا يغدقون عليهم الهدايا والهبات . ان هذا الثراء الفاحش وماصحبه من مظاهر كالتأنق فى زخرفة المنازل ، والبذخ فى المطاعم ، ولبس فاخر الثياب ورش الروائح الزكية ، ومبالغة النساء فى ملبسهن وأناقتهن ، كان عاملا من العوامل التى ساعدت على كثرة ردود الأفعال بالنقمة على العباسيين .

فحديثنا عن شعر الهجاء الاجتماعى ، هو بالضرورة تصوير لردود أفعال المعارضة الاجتماعية .

لقد كان المجتمع العباسى مجتمعا مضطربا ، اختلت فيه المعايير ، حيث فسدت السياسة واختل الاقتصاد ، نتيجة لذلك .

وقد أدى تولى الموالى للحكم الى فساد الحياة الاجتاعية . فقد كان همهم تلبية مطامعهم وحسب ، وبث المجون ، حيث كثرت الجوارى والغلمان ، ودور اللهو ، التى ساعدت على الخلاعة والتهتك والانحلال ، يقول المعرى عن هذا المجتمع :

وجدت الناس فى هرج ومرج
غواة بين معتزل ومرجى
فشأن ملوكهم عزف ونزف
وأصحاب الأمور جباة خرج
وهم زعيمهم انهاب مال
حرام النهب أو احلال فرج(١)

واذا كان الواقع يتغير بتغير الزمن ، فان ذلك التغير ينبىء عن أحوال المجتمع ، ولهذا فعلاقات أفراده بعضهم ببعض توضح الخصال التى يمتاز بها ، وفى الوقت نفسه تدل على مدى تغير العمل الاجتماعى ، فاستجلاء تلك الخصال يدل على مدى التصور الفكرى والعلمى للمجتمع من عدمه .

لذا يعتبر الشعر الاجتماعى صورة اجتماعية ترسم مدى ماوصل اليه المجتمع من وعى فكرى ، وتقدم فى نظم الحياة ، وعلاقاته الاجتماعية ، وتكيفه مع طبيعة الحياة . وتتضح من خلاله خصائص السلوك الاجتماعى وصور القبح والرداءة فى المعاملات والأخلاق .

لم تكن الطبقية التى سادت المجتمع العربى قبل العصر الأموى واضحة بنفس الدرجة التى أصبحت عليها فيما بعد ، فقد تأثر المجتمع فى العصر العباسى تأثرا كبيرا بنظم الحياة الاجتماعية الفارسية وغيرها من حضارات الشعوب التى دخلت فى الاسلام .

قسم الدكتور شوقى ضيف المجتمع فى العصر العباسى ثلاث طبقات هى :

---

(١) اللزوميات ٣٤٢/١ .

طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وأصحاب الاقطاع من الأعيان وذوى اليسار .

وطبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وموظفى الدواوين والتجار والصناع الممتازين .

ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق ، ويأتى فى أثر تلك الطبقات أهل الذمة"(٢).

ونلمح من هذا التقسيم أن نصيب الأسد من الثروة يعود الى الطبقة الأولى ، فقد كانت تعب فى النعيم ، وتنفق النفقات الكثيرة ، بل الكبيرة ، على شكل هبات وجوائز ، بالاضافة الى مايصرفونه على حوائجهم وعلى من يقومون على خدمتهم ، وعلى ملذاتهم .

ولم تكن الطبقة الثانية بعيدة عن الأولى ، فقد كانت تحصل على حظوة كبيرة لدى الطبقة الأولى ، فالشعراء يحصلون على الجوائز والهبات ، وكذلك العلماء والأدباء ، كما يحصل المغنون والمغنيات على أكبر قدر من العطايا والجوائز .

أما الصناع فكانوا يجدون سوقا رابحة لهم ، فقد كانوا يقومون بصنع أثاثات المنازل والقصور وزخرفتها .

أما الطبقة الدنيا فتمثل عامة الشعب ، وهى التى تضطلع بالزراعة وبعض الحرف اليدوية والقيام على خدمة علية القوم .

ومما أثار حقد وحنق الطبقة الدنيا ، أن ماتنعم به الطبقتان الأولى والوسطى من ثراء يعود الفضل فيه اليها ، فى حين حرمت منه .

---

(٢) العصر العباسى الثانى ص٥٣ .

لقد كان الخلفاء والقواد يصرفون الأموال الطائلة على بناء وتشييد القصور والمبانى والبساتين والقباب والأروقة وزخرفتها وفرشها بأفخر أنواع السجاد .

يقول الطبرى : "أمر المتوكل ببناء الماحوزة ، وسماها الجعفرى ، وأقطع القواد وأصحابه فيها ، وجد فى بنائها ... وأنفق عليها - فيما قيل - أكثر من ألفى ألف دينار"(٣).

ولما فرغ المتوكل من بناء الجعفرى أقام الاحتفالات وجلب المغنين والمغنيات والممثلين والمحتالين ، للضحك والتسلية ، حيث كان المتوكل شغوفا بسماع الضحك الهزلى وبعض الحركات والأصوات التى يقوم بها الممثلون .

يقول الشابشتى : "دخل اسحاق فى يوم نوروز الى المتوكل ، والسماجة بين يديه ، وعلى المتوكل ثوب وشى مثقل ، وقد كثر أصحاب السماجة حتى قربوا منه للقط الدراهم التى تنثر عليهم ، وجذبوا ذيله ..."(٤).

ولأهمية المال ودوره فى بناء المجتمع فى شتى مناحى الحياة ، فقد ظهرت ملامحه فى العصر العباسى ، حيث انتشر الترف بين فئات المجتمع ، لكن هذا الثراء لم يستمر ، فقد تأثر بالاضطرابات السياسية والفتن الداخلية بالاضافة الى فساد النظام الاقتصادى ، حيث كان جباة الخراج يحرصون على استلاب الأموال من أصحابها دون وجه حق ، مما جعل الكثير من الأثرياء يخفون أموالهم خشية مصادرتها من قبل السلطة .

---

(٣) الطبرى ٩/٢١٢ .

(٤) الديارات ص٣٩-٤٠ .

"ولـذلك شاعت عادة خزن الأموال واخفائها فى غير مظـانها ، كالدفن فى الأرض ، ونحو ذلـك حتى حكوا أنه من حسن حظ أمير مـن بنى بويه أن احتاج الى مال كثير يصرفه على الجند ، والا شغبوا ، فصادف أن رأى ثعبانا يختبىء فى السقف ، فأمر بالبحث عنه ، فوجدت غرفة فـوق السقف ، وفوقها دور آخر علوى ، ووجدت هذه الغرفة مملوءة بالذهب المخـزون فى الخفاء ، ففـرج ذلك كربه ، وأزال شدته ، وكم وجد فى الحيطـان وتحت الأرض من أموال مخزونة فى القدور"(٥).

بل لقد تطور الأمر وأصبحت أموال الناس مباحة للحـاكم فى حياتهم وبعـد ممـاتهم ، بحيـث "اذا أفلـت أحد مـن المصادرة حيـا لم يسلم مـن أخذ أمواله بعد وفاته"(٦).

ولعـل مـايحفز هؤلاء الحكـام للاستيلاء على أمـوال النـاس ، وبخاصـة الوزراء والقواد والتجار ، هو نمط الحياة المترفة التى يعيشونها ، والتى تتطلب أموالا طائلة لصرفها على جوانب حياتهم المختلفة .

ومـن مظاهر التنعم والبذخ فى المجتمـع العباسى ظـاهرة اقتنـاء القيان المغنيات . ففى بادىء الأمر كان الأرقاء يقومون بالخدمـة فى القصور والعمل فى الصنـاعة والـزراعة . غير أن ذلـك لم يدم طـويلا ، فقـد بالـغ الخلفاء فى اقتنـاء الـرقيق ، مجاراة لملـوك الشعوب الأخرى ، مما أدى الى انتشـار تجارة الـرقيق ، وأصبح لها سوق خاص ، يجلـب فيهـا الرقيـق مـن أجناس مختلفة كالحبشى والسندى والرومى والأفـريقى والخراسـانى والـزنجى والبربرى . لذلك فانهم ينزعون الى ثقـافات وديانات متعددة ، ولهـذاكان أثرهم واضحا على الحياة الاجتماعية .

---

(٥) ظهر الاسلام ٢/٧-٨ .
(٦) الحضارة الاسلامية ٢٢٠/١ .

فقد كانت الجوارى الحسان يبعن بأغلى الأثمان بحسب اتقانهن للحديث والغناء بالاضافة الى جمالهن الأخاذ ، حتى ان أكثر الراغبين فى الشراء يذهبون الى دور النخاسين لمعاينة الجوارى الجميلات ، اللائى يتلاعبن بألباب الرجال ، وينصبن شراكهن لهم ، فقد كن بؤرة فساد فى المجتمع ، بعد أن فتن الخلفاء والوزراء والقواد والشعراء والكتاب وغيرهم وملكن قلوبهم ، وقد امتد أثرهن الى المجتمع ، فلم يكن يتورعن عن بذل أنفسهن ، يقول الجاحظ "وربما قادها التمويه الى التصحيح ، وربما شاركت صاحبها فى البلوى حتى تأتى الى بيته فتمكنه من القبلة فما فوقها ، وتفرشه نفسها ان استحل ذلك منها .."(٧). وان كانت هذه الظواهر محدودة الا أنها توحى بوجود ماأشرنا اليه .

وفى خضم هذا المجتمع اللاهى شاع التغزل بالغلمان ، فقد دأب كثير من غير الأسوياء الى اقتناء المرد والتغزل بهم ، بل والتمتع بهم .

وطبعى فى مجتمع متغير كالمجتمع العباسى ، أن يفتن الناس فيه بالغناء ، ومسامرة القيان ومعاشرة المرد ومعاقرة الخمر ، لذلك اتجهوا الى الحانات والأديرة لكى يستمتعوا بالشرب والقصف ، "وقد دفع هذا الفساد الخلقى الذى كان يشيعه القيان والجوارى فى هذا العصر الى انتشار الغزل المكشوف الذى لاتصان فيه كرامة المرأة والرجل جميعا ، فقد كانت المرأة غير الحرة تبتذل ابتذالا"(٨).

بالاضافة الى اجتهادات بعض الفقهاء فى العراق حول تحليل النبيذ . يقول ابن الرومى :

أحل العراقى النبيذ وشربه

وقال الحرامان المدامة والسكر

---

(٧) رسائل الجاحظ ١٧٤/٢ .

(٨) العصر العباسى الأول ص٧٢ .

وقال الحجازى : الشرابان واحد

فحلت لنا بين اختلافهما الخمر

سآخذ من قوليهما طرفيهما

وأشربهما لافارق الوازر الوزر(٩)

واذا كان اللهو قد انتشر فى العصر العباسى بعامة ، فقد تفشى فى عهد المتوكل بخاصة ، "فلم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بنى العباس ، ظهر فى مجلسه اللعب والمضاحك والهزل ، مما قد استفاض فى الناس ، تركه الا المتوكل ، فانه السابق الى ذلك والمحدث له ، وأحدث أشياء من نوع ماذكرنا ، فاتبعه فيها الأغلب من خواصه ، وأكثر رعيته ، فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولاافضال ، أو يتعالى عن مجون وطرب"(١٠).

لم يكن الاضطراب السياسى وسوء الحالة الاقتصادية وحدهما ، هما اللذان أثرا على الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى - وان كان لهما الدور البارز - فقد كان للعناصر الأجنبية التى أخذت تغزو المجتمع العباسى دورها فى صبغه بصبغة أجنبية ، فقد "ورث المجتمع العباسى كل ماكان فى المجتمع الساسانى الفارسى من أدوات لهو ومجون ، وساعد على ذلك مادفعت اليه الثورة العباسية من حرية مسرفة ، فاذا الفرس المنتصرون يمعنون فى مجونهم ويمعن معهم الناس ، فقد مضوا يعبون الخمر عبا ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة ، وحاكاهم من عايشوهم حتى أصبح الادمان عليها ظاهرة عامة على الرغم من نهى القرآن الكريم عنها وحضه على اجتنابها"(١١).

---

(٩) ديوانه ٣/٩٨٣-٩٨٤ .

(١٠) مروج الذهب ٤/٨٦ .

(١١) العصر العباسى الأول ص٦٥ .

كل هذه العوامل وغيرها كانت السبب فى صبغ المجتمع بصبغة لاهية .

واذا كان الموالى فى العصر الأموى قد عوملوا معاملة فيها قسوة من قبل الحكام ، فلم تكن الحال كذلك لدى طبقة العلماء والمثقفين ، فقد كان العالم يشرف بعلمه سواء كان عربيا أو مولى . غير أن تلك المعاملة القاسية، ولدت لدى الموالى كرها للعنصر العربى ، الذى كان يتعصب ضد الموالى ، ولهذا "كان يقابل هذه العصبية العربية عصبية أخرى من الموالى وخاصة الفرس . فقد تملكهم العجب كيف غلبهم العرب ، وعبر بعضهم عن هذا المعنى : بأن حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر ، وكانوا يفخرون على العرب بمجدهم القديم ، وعزهم التالد ، وأنهم أهل الحضارة العظيمة ، ومن عرفوا كيف يسوسون الملك ، ويدبرون الحكم . وأنهم لما حكموا لم يكن لهم الى العرب حاجة ، ولما حكم العرب لم يستطيعوا أن يحكموا الا بمعونتهم"(١٢).

ولهذا لم يتردد الموالى فى مساعدة العباسيين ، للاطاحة بالخلافة الأموية.

لأن المنزلة الاجتماعية المتدنية للموالى كانت كفيلة لملء نفوسهم بالحقد والسخط على العنصر العربى . غير أن الوقت لم يكن مواتيا لاظهار سخطهم ابان الخلافة الأموية ، فلما سنحت لهم الفرصة لم يتوانوا فى التنفيس

---

(١٢) ضحى الاسلام ٢٨/١ .

عن أنفسهم ، عن طريق المشاركة فى الدعوة والعصيان ، بل والمواجهة المسلحة .

وكما هو معلوم فقد أسفرت هذه المواجهة عن انقلاب جد خطير ، فبعد أن كان الموالى يقبعون فى آخر الصفوف ، والعرب فى مقدمتها ، أضحى العرب فى مؤخرتها والموالى هم المسيطرين ولهم قصب السبق .

فقد انتظم المجتمع العديد من النزعات الاجتماعية ، كان من أهمها وأخطرها النزعة الشعوبية التى انطلقت بعد زوال الحكم العربى ، حيث انبرى شعراء الموالى فى تمجيد شعوبهم والوقوف فى وجه العرب .

ولقد انطوت النزعة الشعوبية على اتجاه سياسى ، فهى تهدف الى اعادة دولتهم - وبخاصة الفرس منهم - والاطاحة بالحكم العربى .

لم يعر العرب الشعر الذى كان يتغنى بأمجاد الفرس أهمية على اعتبار أنه فخر تقليدى ، كما كان يفخر شعراء العرب . غير أن طبيعة الحياة الاجتماعية وماواكبها من أحداث سياسية واقتصادية ، جعلت الموالى يهتبلون الفرصة لرفع أصواتهم فى جرأة للحط من قيمة العرب وذمهم ، واعلاء مكانة الموالى ، ولو لم يكن الخلفاء يقفون موقفا فيه لين وعدم اكتراث ، لما تجرأ هؤلاء الشعوبيون على الانتقاص من العرب وذمهم .

ان موقف الخلفاء المجامل لهؤلاء الموالى مبعثه رد الجميل لهم ، لأنهم ذوو فضل عليهم فى انتصارهم وتوطيد دعائم ملكهم .

كما أن الافتتان بالحضارة الفارسية وماتتيحه من ترفيه وعبث ولهو ، كان مبعثا من مباعث الدعوة الى الفارسية .

أما الزندقة ، فقد كانت اتجاها وثيق الصلة بالشعوبية ، حيث كان الزنادقة يرمون الى تقويض دعائم الحضارة العربية الاسلامية ، عن طريق الانتقاص من العرب والتهجم عليهم ، وعلى النقيض من ذلك يدعون الى رفعة شأن الفرس .

وعندما أدركوا أن العرب كانت فى جاهلية جهلاء قبل الاسلام ، وأن السبب الرئيسى فى تسنمهم لهذه الحضارة هو الاسلام ، أخذوا يكيدون لهذا الدين ـ الذى مكن العرب وجعلهم يتبوأون المناصب الرفيعة ـ عن طريق نشر الديانات الفارسية من زرادشتية ومانوية ومزدكية ، بل والتعصب لهذه المذاهب . وهنا اقترن تعصبهم للفرس ضد العرب بالتعصب للديانات الفارسية ضد الاسلام .

فى خضم هذه الحياة المضطربة ، سياسيا واقتصاديا فقد تمكن الموالى من اختلاس أموال الشعب والسعى بين الحكام . لأن مثل هذه الأوضاع لم تكن ذات صبغة سياسية وحسب ، ولكنها انسحبت على المجتمع . يقول المتنبى :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم
لاأدب عندهم ولاحسب
ولاعهود لهم ولاذمم(١٣)

واذا كان الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد والأثرياء يرتادون الملاهى ويحيون لياليهم بالقصف ومعاقرة الخمر وسماع الغناء ، فان المتنفس الوحيد لعامة الشعب هو التجمع حول القصاص وسماع الغناء .

فقد كان القصاصون ينتشرون فى الطرقات وحول الجوامع، "وقد كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقص على الناس ، بأخبار ونوادر ومضاحك ، ويعرف بابن المغازلى ـ وكان فى نهاية الحذق لايستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لايضحك"(١٤).

---

(١٣) ديوانه ٤/٥٩ .
(١٤) رسائل الجاحظ ٢/١٧٤ .

وبعد فشعر الهجاء الاجتماعى غرض من أغراض الشعر العربى المتوارثة، ولم يكن الغرض من شعر الهجاء اظهار السخط وابراز صور القبح وتجسيد المثالب وحسب ، بل كان من أهدافه الاصلاح والتقويم .

ويبدو أن الاحساس بالحيف والانحراف فى السلوك والعادات ومشاعر السخط تجاهها ، تتزاحم فى نفس الشاعر ، وتتفاعل فتظهر على شكل هجاء فيه استنكار وتوضيح للوجه السلبى للمهجو . واذا كان الهجاء فى العصر الجاهلى غرضا ثانويا ، ولم يتطرق اليه الشعراء الا لماما كالهجاء الذى يعقب الأيام الجاهلية ومحاولة ثلب الأفراد وابراز معايب القبيلة ، فقد وضح فى العصر الأموى الأثر الاسلامى على صور الهجاء مثل الكفر والخمر والاصرار على الفاحشة ، غير أن الهجاء فى العصر العباسى اتجه لنقد بعض صور المجون واللهو والتحلل الخلقى والعادات والأخلاق الذميمة ، واختلال المعايير الاجتماعية .

لذا يمكننا القول ان شعر الهجاء الاجتماعى يوضح لنا حقيقة جانب من تجارب الشعراء فى العصر العباسى ، حيث تظهر فيه بشكل واضح مشاعر السخط والألم على الأوضاع الاجتماعية.

ولهذا فقد قصر البحث الهجاء هنا على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية التى يأباها الذوق وتنفر منها النفوس ، كظاهرة اللهو والمجون التى اتخذت أبعادا أخلاقية جد خطيرة على المجتمع ، والتحلل الخلقى مثل التنكر واللؤم والنفاق والغيبة والكذب والحسد والجبن ، والجشع والبخل والكدية .

فشعر الهجاء الاجتماعى يصور المعاناة التى يعانى منها أفراد المجتمع وطوائفه ، والحيف الواقع عليهم من الحكام ، كما أنه يصور الانحراف فى السلوك لبعض أفراد المجتمع .

ان هذا اللون من الشعر يعطى صورة واضحة للفكر العربى الناقد ، فمن خلاله يمكننا أن نتعرف على الشعور بآلام وهموم المجتمع .

ولقدرة الشعر على تصوير واقع الحياة الاجتماعية ، فقد وقف فى وجه كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية التى خرجت عن المألوف وتعاليم الدين ومراعاة الحقوق الانسانية .

وكلما أتقن الشاعر فنه وأحكم صنعته ، وصور موضوعه تصويرا دقيقا ، كان ذلك أبلغ وأوقع فى النفس ، وأسرع أثرا فى مجتمعه ، فهو يصور هموم مجتمعه فى صور مختلفة توافق الظاهرة ويجسد أثرها على الحياة الاجتماعية .

ويتميز شعر الهجاء الاجتماعى بالصدق ، فهو يعبر عن مواقف قائليه ، وتجاربهم المختلفة المعبرة عن واقع مجتمعهم ، ومايعتمل فى نفوسهم تجاه ذلك الواقع فى صور واضحة وصادقة . لذا يتضح صدق وعمق شعر الهجاء الاجتاعى المعبر عن المشاعر والأحاسيس الذاتية ، وهذا مالايظهر بشكل واضح فى بعض الأغراض الشعرية الأخرى ، التى ترتبط بالمناسبات كالمدح والفخر والرثاء وغيرها ، لما فيها من تزيد وكذب ومبالغة .

وشعر الهجاء الاجتماعى مرتبط بظواهر اجتماعية يبين موقف المجتمع منها ،واستنكاره لها ، ولم يكن يقصد الى التكلف فى الصنعة الشعرية ، كما هو الحال فى فنون الشعر الأخرى التى تتطلب التفنن والتأنق فى الصنعة ، بل التكلف فيها ، وتزويق الألفاظ .

وهنا يكمن الفرق فى الدوافع بين شعر الهجاء الاجتماعى وغيره ، فشعر الهجاء الاجتماعى يميل الى المواجهة الحقيقية بين الظواهر الاجتماعية السيئة وبين المجتمع ، فشاعر الهجاء الاجتماعى يجسد مايعانيه مجتمعه من قهر وظلم وتفكك وانحلال وجشع ، ويضع يده على مكامن الداء ومصدره ، حتى ينبه المجتمع الى خطورة ذلك الداء ، باعتباره عضوا فاعلا فى المجتمع ،

فهـو وان كان يعبر عما يعتمـل بين جوانحه ، فانه يستجيـب بذلك لما يشغل المجتمع ويقض مضجعه من هموم .

ولعل فى هذا البحث مايعطى صورة لواقع الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى .

الفصل الأول

التحلل الديني

التحلل الديني

(١) اللهو .

(٢) وصف الخمر .

(٣) فى ذم المرأة .

(٤) فى التنجيم والشعوذة

اللهـو :

لقد انتشرت ظاهرة اللهو انتشارا واسعا، حتى أضحت ظاهرة اجتماعية تكاد تكون أبرز الظواهر الاجتماعية فى العصر العباسى .

فقـد كانت الحياة الاجتماعيـة فى العصر العباسى ، بيئـة صـالحة لظهور المجون ، بفعل عدة عوامل كانت تسود الحياة الاجتماعيـة فى العصر العباسى كالاضطرابات السياسية وانتشـار بعـض العقـائد المخالفـة للاسلام والخلافـات العرقية والثقافية بين طوائف المجتمع ، بالاضافة الى تسلط الموالى فى المجتمع العبـاسى . "فلما عاد سلطانهـم فى الدولة العباسية ، وخاصـة فى عهد الرشيد والمأمـون نشروا مع نفوذهم حياة الأكاسرة ، وماكان فيهـا من حضارة ولهو وعبـث ، ونقلـوا جدهم من نظـم سياسية ونحوها ، ونقلـوا لهـوهم من نبيذ ومجالس غناء وغزل ، وماالى ذلك"(١).

ولقـد ساعد على ذلك الثراء ـ الذى ترتب عليه تشييـد القصور واتخاذ الجوارى والغلمـان ـ وتقلـص الـوازع الدينى ، بالاضافـة الى الانبهـار نتيجة النقلـة الاجتمـاعية الهـائلة مـن المجتمـع القبلى الى المجتمـع المتحضـر ، ذى الحضارات العريقة كحضارتى الفرس والروم .

كـل تلك العوامل وغيرها كانت من أهم الأمور التى أدت الى شيـوع المجـون وانتشـاره . يقول أحمـد الحوفى : "أما فى العصـر العبـاسى فقد كان عدد المجان كثيرا ، وكانوا يعمـدون الى اللفـظ العـارى والتعبير المكشـوف والوصف المفصل . فهل كان هذا نتيجة محتومة لتطور المجتمع فى نظم حياته ووسـائل ترفه وثرائه الواسـع؟ أو كان نتيجة لخلاط الفـرس بالعرب وكثرة الموالى والاماء ، ومانقله الفرس الى العرب من ضروب اللهـو والترف؟ الحق أنه كان نتيجة محتومة للأمرين معا"(٢).

---

(١) ضحى الاسلام ١١٢/١ .

(٢) تيارات ثقافية ص٢٠٧ .

ولعلى أرى بالاضافة الى ماذكره الحوفى ، أن اللهو كان نتيجة لمؤثرات أخرى ، نتجت عن التطرف المذهبى فى الفكر والعقيدة مما أدى الى انتشار الزندقة بين بعض طوائف المجتمع .

ولقد كان لاقبال بعض الخلفاء على اللهو الأثر الكبير فى انتشاره ، يقول المسعودى عن شغف المعتمد باللهو : "كان المعتمد مشغوفا بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ، ومحبة أنواع اللهو والملاهى"(٣).

ولأن الشاعر مرآة عصره ، فقد انعكست عليه هذه الانحرافات الاجتماعية ، فأخذ يصورها ، يقول ابن وكيع التنيسى فى مثل تلك الانحرافات :

لاتقبلن من الرشيد كلامه
واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع التزمت والتجمل للورى
فالعيش ليس يطيب بالمتجمل
واشرب مزعفرة القميص سلافة
من صنعة البردان أو قطر بل(٤)

وهذا يظهر مدى التباين بين ماينهى عنه الشاعر وبين مايعتمل فى قرارة نفسه ، حيث ينهى المخاطب عن الانصياع لكلام الأسوياء ويدعوه الى مجاراة الأشرار ، ثم يؤكد على المخاطب أن يتخلى عن الوقار والتحلى بالأخلاق الفاضلة والمظهر الجميل ، لأنها ليست - فى مقياس الشاعر الظاهرى - مما يطيب ويهنأ بها العيش . وبعد أن هيأ المخاطب ، عن طريق التقابل المثير بين نزعة الخير ونزعة الشر ، ودعوته الى ترك التدين ، شرع يأمره باحتساء الخمر المعتقة من أيدى المهرة من صناعها فى الأماكن التى اشتهرت ببيعها ، فبها تطيب الحياة ويهنأ العيش .

---

(٣) مروج الذهب ٢٢٠/٤ .
(٤) ابن وكيع شاعر الزهر والخمر ص٨٧-٨٨ ، اليتيمة ٣٨٣/١ .

وهكذا يقول الشاعر لأن بيئته قد أثرت على نتاجه الشعرى ، فقد شهرت تنيس باللهو والمجون ، يقول المقريزى فى وصف أهلها : "... وأخلاق أهلها سهلة منقادة وطبائعهم مائلة الى الرطوبة والأنوثة .. وأنه كان يولد بها فى كل سنة مائتا مخنث وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم يبيتون سكارى ..."(٥).

وفى خضم هذه الحياة اللاهية يتحدث أحمد بن أبى فنن فيقول :

جدد اللذات فاليوم جديد
وامض فيما تشتهى كيف تريد
واله ان أمكن يوم صالح
ان يوم الشرب . لاكان . عتيد(٦)

لقد تعمقت الحياة اللاهية فى نفوس أبناء المجتمع ، بحيث لايرون حرجا فى الدعوة اليها ولاالانكباب على ملذاتها ، فهذا أحمد بن أبى فنن يدعو الى اللهو فى أسلوب فيه حدة واصرار من الشاعر على المخاطب حيث كرر فعل الأمر ثلاث مرات . ويبدو أن ادراك الشاعر لمضار اجتماعات اللهو جعله يدعو عليها . ان هذه المفارقة بين الموقفين ، تدل على عدم اقتناع الشاعر بالسدور فى اللهو ، لأنه يدرك تمام الادراك مضاره . ورغم اتسام أسلوب الشاعر بالمباشرة فقد حرص على الزينة اللفظية .

ويتحدث بديع الزمان عن لهوه وعزمه على المضى فيه ، فيقول :

قسما لازعزع الشيـ
ـب عن اللهو رتاعى(٧)

---

(٥) الخطط المقريزية ١٧٧/١ .
(٦) شعراء عباسيون ص١٤٧ .
وعتيد : شىء عتيد معد حاضر ، وعتد الشىء عتادة فهو عتيد : حاضر . اللسان (عتد) .
(٧) الرتع : الأكل والشرب رغدا فى الريف . المحكم (رتع) ٣٥/٢ .

ويـمـيـنـا لاتـمـثـلـ

ـت لـه فقعـا بقـاع

انما الدهر الذى يصـ

ـدقنى حر المصـاع

كالنى مدا وأجـزيـ

ـه من الحلم بصاع

فاغنـم الأيـام ماألـ

فيتها خضر المراعى

انما نحن مـن الدهـ

ـر بـواد ذى سبـاع

لاتدع من لـذة العيـ

ـش عيانا لسماع(٨)

يقسم الشاعر على مواصلة صبوته ، فيؤكد مضيه فى لهوه وعدم ارعوائه لتقدمه فى العمر ، بتكراره القسم وهذا ينبىء عما تحتجنه أحشاؤه من اصرار وتصميم على المضى فى الغى وعدم الارعواء . مبررا ذلك بقسوة الدهر عليه حيث رمز اليه بغابة تعمرها السباع الضارية ، بحيث لايمكن النجاة من بطشها ، لذا أخذ يدعو الى اغتنام العمر قبل فوات الأوان .

ويبدو لى من هذه الأبيات أن الشاعر متألم أشد الألم من بطش الدهر رغم اعتداده بنفسه ، ووقوفه فى وجه التيار العاتى وقدرته على امتصاص فورته بحلمه ، اذ يقول :

كالنى مدا وأجز يـ

ـه من الحلم بصاع

---

(٨) ديوانه ص٩٩-١٠٠ .

لذا نجده يأمر المخاطب باهتبال الفرصة السانحة ، كلما عنت له ، فقد لايجدها مرة أخرى ، ثم ينهاه عن ترك التمتع بها، حتى لاتصبح حديثا وخبرا يتناقل .

ولاشك أن هذه الحياة اللاهية تتطلب وجود أماكن تمارس فيها ، ويروج عبرها المجون . فهو يرى أن الدنيا لاأمان لها، فهى كواد مسبع ، لايأمن الانسان فيها على نفسه ، لذا فليبادر المرء بانتهاز فرصة الحياة فيها ، فيغترف من ملذاتها .

لقد بلغ التهتك الأخلاقى حدا لم يتورع معه ممارسوه عن الحديث عنه بأساليب تختلف من شخص لآخر .

يقول الفضل بن العباس بن المأمون عن لهوه وتهتكه فى "ديرمرمار" :

أنضيت[٩]فى سر من رى خيل لذاتى
فنلت فيها منى نفسى وشهواتى
عمرت فيها بقاع اللهو منغمسا
فى القصف مابين أنهار وجنات
بدير مرمار اذ نحيى الصبوح به
ونعمل الكاس فيه بالعشيات
بين النواقيس[١٠] والتقديس آونة
وتارة بين عيدان ونايات
وكم به من غزال أغيد غزل
يصيدنا باللحاظ البابليات[١١]

---

(٩) أنضيت : أنضيت الثوب وانتضيته : أخلقته وأبليته .
والمعنى أنه استفرغ اللهو كاملا . اللسان (نضا) .

(١٠) النواقيس : الناقوس : الذى يضربه النصارى لأوقات صلاتهم ، القاموس (الناقوس)
التقديس : التطهير . القاموس (القدس) .

(١١) الديارات ص١٦٣-١٦٤ .

يتحدث الشاعر عن تمتعه بلهوه فى "دير مرمار" .

ففى حديثه مايدل على عدم اكتراثه أو خوفه ، حيث رمز الى تمتعه بلهوه ، فيقول : "أنضيت فى سر من رى خيل لذاتى" ، ففى هذه العبارة اشارة الى تفشى اللهو فى "سر من رى" حيث لم يكن الشاعر على عجلة من أمره ، فقد أفرغ كل هيامه وصبوته العارمة التى كان يأمل أن يفرغها .

اذ يقول : "ونلت فيها منى نفسى وشهواتى" ، لقد هدأت فورة الشوق الى اللهو لدى الشاعر ، بعد أن حصل على مايتزع اليه من صبوة واشباع لشهواته .

فالشاعر لم يكن يأمل فى أكثر من أن يشبع رغباته وشهواته المنحرفة ، التى لم يأل جهدا فى الحصول عليها ، بل والغوص فى أعماق اللهو لكى يشبعها . يقول : "عمرت بقاع اللهو منغمسا" ، فالعمارة تعنى بعث الحياة والحركة ، أما بقاع اللهو ، فيؤخذ منها أنه وصل فى تمتعه الى درجة الغوص والتعمق فى الملاذ ، التى حولها الى جنان وأنهار .

لقد وفق الشاعر فى تصويره فى هذا البيت ، الذى وضح فيه عكوفه على التمتع باللهو فى أى مكان ، بل والانصهار فى بوتقته ، بحيث يشعر وكأنه محاط بأنهار وجنان ، بفعل أثره . كل تلك الجنان ، توجد فى دير مرمار جميعها .

ويظهر أن الشاعر كان يواصل ليله بنهاره اذ يقول : "نحيي الصبوح" ثم يصف الشرب وهم يمارسون لهوهم تحت ستار التدين .

وأخيرا يعمد الشاعر الى تحريك الغرائز الكامنة ، عن طريق ذكره للحسناوات ، مضيفا اياها الى ماذكره من قبل ، لعل ذلك يصادف هوى فى النفس ، فيكون بمثابة دعوة الى اهتبال الوقت للتمتع بتلك الملاذ ، فى أبيات تختلط فيها المعصية بالجرأة على الدين .

ويتحدث أبو العيناء عن "دير باشهرا" فيقول :

نزلنـا ديـر باشهـرا
على قسيسه ظهرا
على دين أيا سوع
فما أفتى ومأسرا
فأولى من جميل الفعـ
ـل مايستعبد الحرا
وسـقـانـا وروانـا
من الصافية العذرا
وطاب الوقت فى الدير
فرابطنا به عشرا
وسقينـا بـه الشمـس
وأخدمنا به البدرا
وأحيت لـذة الكـأس
ولكن قتلت سكرا
ونلـنـا كـل مـانـهـوا
ه من لذاتنا جهرا
تصـابيـنـا وغنيـنـا
وأرغمنا به الدهرا(١٢)

يأتى حديث أبى العينـاء عـن دير "باشهـرا" كحـديث الفضـل عن دير "مرمار" السابق . من حيث المجاهرة باللهو وفى وضح النهار . فلم يجد الشاعر حرجا فى أن يخبر عـن نزولهم واقامتهم بدير باشهرا لمدة عشـرة أيام أشبعوا فيها نهمهم واستفرغوا شهواتهم .

---

(١٢) الديارات ص٨٠ .

فقد بدأ أبياته بالنزول ليشعرنا بأنه سيطيل الاقامة بالدير دون خوف أو وجل ، ومصرحا أن الضيافة التى يتلقونها منافية للتعاليم الاسلامية اذ يقول : "على دين أياسوع" لقد صاغ الشاعر حديثه على شكل قصة ، لما فيها من تشخيص يثير الاهتمام ويلفت الانتباه .

فالقصة تبدأ بالنزول كضيوف على القسيس ، ومن ثم أثنى على اكرامه لهم ، المتمثل فى تقديمه الخمر وكل أنواع المجون التى يصبون اليها . وقد ضخم من اكرامه الذى طوقهم به اذ يقول :

فأولى من جميل الفعـ

ـل مايستعبد الحرا

وبناء على هذا الاكرام وتلذذهم به قرروا الاقامة لمدة عشرة أيام ، نعموا فيها بغاية الاكرام فى ذلك الدير .

وهل بعد الحصول على الشمس والقمر ـ ليلة تمامه ـ والاستحواذ عليهما ، من شيء أفضل وأمتع منهما فى احساس هذا الشاعر اذ يتضح ذلك من رمزه الى الخمر بالشمس ، والجارية بالبدر . وأخيرا يصف الجلسة التى مجنوا فيها وتعاطيهم كل مالذ وطاب لهم من فسق وفجور ونخاصة الخمر الصافية المعتقة البكر التى كان لها أثرها فى اضفاء الشعور بالسعادة ، والانتصار على الدهر ، كما يصف ذلك الشاعر بجرأة واضحة .

واذا كان نزول الشاعر ورفاقه فى وقت الظهر يشعرنا بعدم اكتراثهم بمن يراهم ، لما فى ذلك السلوك من خروج على القيم والعادات ،فقد عاد الى التبجح بالمجاهرة بما قاموا به من مجون مؤكدا بذلك ماأشرنا اليه من اختيارهم وقت الظهر للنزول .

ولم ترق هذه الأبيات الى مصاف الشعر الجيد ، فقد خلت من أهم اللمحات الفنية التى يمتاز بها الشعر الجيد .

أما أبو على البصير فقد سلك أسلوبا قصصيا فى وصف مجونه وهو فى طريقه الى مكة فقال :

خرجنا نبتغى مكة
حجاجا وزوارا
فلما قدم الحيـر
ة حادى جملى حارا
وقد كاد يغور النجـ
ـم للاصباح أو غارا
فقلت:احطط بها رحلى
ولاتحفل بمن سارا
فجددنا عهودا سـ
ـلفت منا وآثارا
وقضينا لبانات لنـ
ـا كانت وأوطارا
وصاحبنا بها ديرا
وقسيسا وخمارا
وظبيا عاقدا بين النـ
ـنقا والخصر زنارا
شرحنا لك أخبارا
وأدمجناك أخبارا(١٣)

يبدو أن المجان قد باعوا أنفسهم للشيطان ، ولم تكفهم المجاهرة بالمجون فى سخرية مقيتة ، بل تعلقت نفوسهم المجون ونزعت الى أماكن اللهو ، حتى وهم فى طريقهم الى أداء الركن الخامس من أركان الاسلام، لم يمنعهم توجههم الى الله وقصدهم حج بيته الحرام من ممارسة مجونهم .

(١٣) الديارات ص٢٤٨-٢٤٩ ، ووردت فى مروج الذهب برواية مختلفة ١٤٧/٤ .

فالشاعر هنا يحدثنا عن مسار رحلته الى الحج ، فى أحد مراحلها . فقد كان خروجه فى قافلة كبيرة ، كعادة قوافل الحجيج على مر الأزمان ، التى تتحدث عنها الأخبار والآثار .

وفى الطريق كانت مدينة "الحيرة"(١٤)التى اعتاد الشاعر الاختلاف اليها لمعاقرة الخمر والاستمتاع بلهوها ، وعند موافاتهم لها كان الوقت متأخرا ، وهذا يعنى أن الركب قد بلغ منه الجهد مبلغه .

فنزوع الشاعر الى تجديد عهده باللهو ، اضافة الى الاجهاد الذى يعانيه جعلاه يأمر بحط الرحال ، ثم أشار الى حصوله على مايتمناه ، بمعنى أنه حقق كثيرا من صبوته .

ويعزو أبو العلاء المعرى الانكباب على اللهو والمجون من قبل المنحرفين ، الى تأكدهم من اخترام الموت لهم ، يقول :

قد علموا أن سيخطف الشبح
فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ماحفظوا جارة ولافعلوا
خيرا ولافى مكارم ربحوا
غالوا بأثوابهم فما حسنوا
فى ذهبى اللباس بل قبحوا

(١٤) الحيرة : مدينة كانت على بعد ثلاثة أميال من الكوفة .
انظر معجم البلدان ٣٢٨/٢ .

دعوا الى الله كى يجيبهم
سيان هم والخواسىء النبح
كم قتلوا عاتقاوكم جرحوا
دنا وكم فار تاجر ذبحوا
لاتغبط القوم فى ضلالتهم
وان رؤوا فى النعيم قد سبحوا(١٥)

فحديثه عنهم يفيد تأكدهم من حقيقة ثابتة وهى الموت ، ورغم ذلك أمعنوا فى احتساء الخمر صباح مساء . وكأنى بالشاعر يريد أن يشير الى أن الخمر هى أم الكبائر ، عندما تحدث عن أخلاق هؤلاء المجان ، حيث لم تسلم جارتهم من أذيتهم ، ولم يحمد لهم فعل ولانالوا من مكارم الأخلاق ، كما وضح أن مظهرهم لايدل على مخبرهم وأن من السذاجة أن يعتقدوا أن لبس فاخر الثياب ، سيضفى عليهم الرضا والقبول ، فالجرح جد عميق ولايمكن أن يندمل بمجرد تطهير ظاهره .

فبعد الانغماس فى اللهو ، توجهوا الى الله يدعونه لعله يستجيب لهم وهذا التوجه ، جعل الشاعر يستهزىء بهم ، حيث جعلهم من فصيلة الكلاب المنبوذة .

وأخيرا بعد أن يئس منهم ، توجه بالحديث الى المخاطب ، ينهاه عن الاغترار بما يراه ظاهرا عليهم من مظاهر الترف ، لأن كل تلك ماهى الا مظاهر تخفى تحتها الخسة .

وعلى الجملة ففى هذه الأبيات اشارة الى انتفاء الوازع الدينى من قلوبهم ، وعدم اتعاضهم .

ويجمل بنا أن نشير الى تكرار النفى ، الذى عرى به الشاعر سلوك أولئك المجان ، وكذلك تكرار (كم) لتضخيم ماقاموا به من مجون .

---

(١٥) اللزوميات ٣٦٩/١ ، ١١٦٥/٣، ١٧٠٩ .

ومما يدل على انتشار ظاهرة العكوف على الخمر فى العصر العباسى أننا نجد بعض شعراء العصر يتصدون لها ، فبديع الزمان ينهى عن الانغماس فى اللهو والانقطاع اليه ، يقول :

غافل قد خاط عينيه اغترار

ووراء النوم موت ثم نار

لاتكن فى غمرة اللهو جموحا

ان هذا السكر يتلوه خمار(١٦)

فقد عد لهوهم من باب الغفلة التى أخفت عن أعينهم الحقيقة فقد أكد أن الاغترار المصاحب للغفلة ، أفقده القدرة على الرؤية الثاقبة ، ثم يذكرهم أن مايتلو غفلتهم هذه التى رمز اليها بالنوم ، هو الموت الذى لامفر ولامحيص عنه .

وواضح أن الشاعر يدرك تأثير السكر السىء الذى يغطى على عقل شاربه فيفقده القدرة على التصرف السليم ، فقد أكد الشاعر ذلك فى قوله "ان هذا السكر يتلوه خمار" .

---

(١٦) ديوانه ص٨١ ، ص٨٤ .

وصف الخمر :

ونتيجة لانتشار اللهو كثر حديث الشعراء عن الخمر ووصفها حتى لقد عد ذلك غرضا من الأغراض الهامة فى الشعر العباسى ، وانقسم الشعراء فى ذلك بين مادح وقادح .

لقد أصبحت الخمر ظاهرة من الظواهر السيئة التى كانت متفشية فى العصر العباسى وان لم يصحبها مجون .

يقول ديورانت : "وأصبح السكر رذيلة شائعة بين كل الطبقات"(١٧)، ولم يكن الترف والاختلاط بالأمم الأخرى ، هما فقط اللذان أديا الى انتشار الخمر ، لكن جرأة بعض الفقهاء واجتهادهم فى تحليل بعض الأنبذة "أعان على انتشار شرب الخمر فى المجتمع الاسلامى وزوال التحرج الدينى بشأنها شيئا فشيئا ووجود فرق مذهبية كثيرة تتصرف تصرفا واسعا فى مسائل المنع والتحريم ، ولها رأى فى درجات الآثام ، مايكبر منها ومايصغر ، وفى عفو الله ومدى اتساعه لهذا الاثم أو ذاك"(١٨).

يقول ابن الرومى عن اختلاف الفقهاء فى تحليل النبيذ :

أحل العراقى النبيذ وشربه

وقال : الحرامان المدامة والسكر

وقال الحجازى:الشرابان واحد

فحلت لنا بين اختلافهما الخمر

سآخذ من قوليهما طرفيهما

وأشربها لافارق الوازر الوزر(١٩)

---

(١٧) قصة الحضارة م١ ، ج٢/٤٥٤ .

(١٨) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص٥٠٤ .

(١٩) ديوانه ٣/٩٨٣-٩٨٤ .

ويتضح من حديث ابن الرومى عن اختلاف الفقهاء حول تحليل النبيذ نضوب الوازع الدينى ، وتباين آراء الفقهاء ، وازاء ذلك أباح الشاعر لنفسه شرب الخمر محملا وزره من أحل شربها .

ولو أن الشاعر عاد الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ... الحديث . وأحاديث تحريم الخمر .

وفكر مليا فى معنى تلك الأحاديث لأقلع عما أقدم عليه ، لكن رقة دينه جعلته يستتر ببيت العنكبوت الذى قال عنه جل من قائل : {وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون}(٢٠).

أما البحترى فقد جهر بتشوقه الى التلذذ بالنبيذ فقال :

بنا داء وليس لنا نبيذ
وليس دواؤنا غير الفصاد(٢١)

ومن عزم الفصاد بلا نبيذ
كمن عزم الرحيل بغير زاد(٢٢)

فقد عبر عن ذلك بربطه بين النبيذ وبين الفصاد ، وبين الرحيل وبين الزاد ، وبهذا الربط اتضح أثر المقابلة بين الفصاد والنبيذ من جهة وبين الرحيل والزاد من جهة أخرى .

فالفصد يمكن اجراؤه بعد معاقرة النبيذ ، التى تساعد على تخفيف آلامه وفى المقابل يجب الاستعداد للسفر بالزاد الذى يكفى أثناء الرحيل . وعلى الجملة ، فالشاعر يحاول تبرير شربه النبيذ عن طريق ادعائه المرض ، وأن الشفاء منه يتطلب الفصاد ، والفصاد لايمكن اجراؤه الا بعد احتساء شربة من النبيذ .

---

(٢٠) سورة العنكبوت : آية ٤١
(٢١) الفصاد : شق عرق للتداوى . القاموس (فصد) .
(٢٢) ديوانه ٨٠٣/٢ .

لقد اهتم الشعراء بالخمر والتفنن فى وصفها على اختلاف مشاربهم ، وممن تأنق فى وصفها ، أبو العباس الناشىء يقول :

ومدامة يخفى النهار لنورها
وتذل أكناف الدجا لضيائها
صبت فأحدق نورها بزجاجها
فكأنها جعلت اناء انائها
وترى اذا صبت بدت فى كأسها
متقاصر الأرجاء عن أرجائها
وتكاد ان مزجت لرقة لونها
تمتاز عند مزاجها من مائها
صفراء تضحى الشمس ان قبست بها
فى ضوئها كالليل فى أضوائها
واذا تصفحت الهواء رأيته
كدر الأديمة عند حسن صفائها
تزداد من كرم الطباع بقدر ما
تودى به الأيام من أجزائها
لاشىء أعجب من تولد برئها
من سقمها ودوائها من دائها[٢٣]

عمد الشاعر الى المقابلة فى هذه الأبيات لكى يظهر اشعاعها وضياءها اللامع ، وقد فاق فى نوره نور الشمس ، بل جعلها معتمة ، وأما تبلج نورها فى الليل فقد أضحى مثار الاعجاب والدهشة . ومن المدهش حقا أن جعلها الشاعر من شدةصفائها ، وكأنها وعاء وعائها ، أما رقتها فتتضح اذا مزجت ، حيث لاتختلط بالماء .

(٢٣) زهر الآداب ١/٤٥٥-٤٥٦ .

أمـا التشبيـه فلم يكـن دوره بأقـل مـن دور المقابلـة ، فقـد شبـه ضوء الشمـس بحضـرة الخمرة بالليـل وقد أضاءته أنوار الخمـرة ، وحتى الهـواء لم يبلغ فى شفافيته وصفائه مابلغته الخمرة .

وأخيرا لايرى أعجـب من الخمـر لتولد صحتها مـن مرضها ، ودوائها من دائها .

لقـد أطلق الشاعر لخياله العنان فى وصفه الخمر فى هـذه الأبيات حيث قدم لنا صورة جميلة ، تنم عن خصب خياله وقدرته على التصوير .

ويحذر أبو العلاء المعرى من شرب الخمر ، نظرا لما تجره على معـاقريها من سوء ومكروه ، فقال :

اياك والخمر فهى خالبة(٢٤)
غالبة خاب(٢٥)ذلك الغلب
خابية الراح ناقة حفلت
ليس لها غير باطل حلب
أشأم من ناقة البسوس(٢٦)على النا
س وان نيل عندها الطلب
ياصال خف ان حلبت درتها
أن يترامى بدائها حلب

---

(٢٤) خالبة : خادعة . اللسان (خلب) .
(٢٥) خاب : افتقر . اللسان (خوب) .
(٢٦) انظر خبر البسوس فى مجمع الأمثال ١٨١/٢ .

أفضل مما تضم أكؤسها
ماضمنته العساس[٢٧]والعلب[٢٨]

بدأ أبياته محذرا المخاطب من الخمر ، خوفا مما تحدثه من سيطرة وتحكم على العقل نتيجة لمخامرتها له ، حيث يفقد شاربها القدرة على التفكير السليم ، وفى نفس الوقت يستهجن ذلك الغلب لأنه لايكسب شيئا ذا غناء ، اذ يقول : (خاب ذلك الغلب) وفى أسلوب استعارى ، شبه الشاعر وعاء الخمر وقد ملئت بضرع الناقة المصراة ، وقد حفل ضرعها باللبن ، وشتان بينهما .

ويستعين بمخزونه التاريخى ، فيقرن بين شؤم الخمر وماتجره من خراب وافساد ، وبين ماجرته حرب ناقة البسوس على قبيلتى بكر وتغلب .

ولكى يستثير المنادى ويشد انتباهه ليستمع الى تحذيره اياه من التهاون بشأن الخمر ، وماستجره من الويل والمرض الذى يهدد "حلب" جميعها ، عمد الى ترخيم المنادى (ياصال ...) رخم (صالح الكلابى) .

وبعد هذا الحديث التحذيرى الذى ينطوى على فكر وقاد وتبصر بالأمور ، شرع الشاعر فى الحديث عما يفضله هو ، حيث أفصح عن تفضيله شرب الحليب على شرب الخمر ومعاقرتها .

فالحليب نقى صاف صفاء ، ينبىء عن مخبره، وعلى النقيض منه الخمر التى تؤدى بمتعاطيها الى الحضيض .

---

(٢٧) العس : قدح عظيم من خشب وغيره . الجمهرة ١٣٣/١ .
العلبة : وعاء من جلد جنب بعير ، يتخذ كالعس ، يحتلب فيه والجمع علاب وعلب . الجمهرة ٣٦٦/١ .

(٢٨) اللزوميات ١١٧/١ ، وانظر نفس المعنى ١٦٩/١-١٧٠،٢٠٣،٢٠٤،٢٠٨، ٢٦٧،٢٧٢، ٢٩٣،٣٣٧،٣٥٣،٣٨٥،٣٨٨،٥١١،٥٢٨ ، ٥٥٠/٢،٦٢٨،٨٨٥ ، ١١٧٥/٣، ١١٩٢،١٢٢٩، ١٢٤٣،١٢٥١،١٤٨٧،١٤٩١،١٥٠٢،١٥٢٢،١٥٢٨ .

ولعل الشاعر وهو يسوق تفضيله للحليب يرمى من ورائه الى هدف تربوى ، كأن يكون قدوة تحتذى ، نظرا لمكانته الاجتماعية ولما يتمتع به من خبرة وحكمة ورجاحة عقل .

ولقد أدرك ابن هندو أذى الخمر واذهابها للعقل فقال :

قد كفانى من المدام شميم
صالحتنى النهى وثاب العزيم
هى جهد العقول سمى راحا
مثل ماقيل للديغ السليم
ان تكن جنة النعيم ففيها
من أذى الجهل والخمار جحيم(٢٩)

يتحدث الشاعر عن عودة تفكيره السليم ، ومصالحة أعدائه فى الماضى له ـ نتيجة اقلاعه عن الخمر ـ ومفندا أذاها وماتجره على متعاطيها . اذ بدأ الشاعر حديثه بـ(قد) ليؤكد حرصه على السلوك السوى الذى سلكه حتى لايفقد صداقة من أصفاه الود ، بعد العداء الشديد ، بسبب هذه العادة السيئة .

ثم يؤكد أيضا أذى الخمر ، حيث شبهها ـ وهى تنهك العقول ـ بسم الأفعى وهو يسرى فى جسد اللديغ . فكلمة (راح) تماثل كلمة (سليم) فى أن كلا منهما يستخدم فى الشىء وضده ، فشارب الخمر يجهد عقله وان شعر بلذة ظن معها أنه يعيش فى النعيم المقيم . ان ذلك الشعور لايمنع خطرها الجسيم ، يقول : (ففيها من أذى الجهل ، والخمار جحيم) .

وعن كثرة شرور الخمر ، وماتجلبه على متعاطيها من متاعب ، يقول يزيد المهلبى :

---

(٢٩) تتمة اليتيمة ص١٦٠ .

لعمرك مايحصى على الكأس شرها
وان كان فيها لذة ورخاء
مرارا تريك الغى رشدا وتارة
تخيل أن المحسنين أساءوا
وأن الصديق الماحض الود مبغض
وأن مديح المادحين هجاء
وجربت اخوان النبيذ فقلما
يدوم لاخوان النبيذ اخاء(٣٠)

يقسم الشاعر على نفى احصاء الشرور التى تحدث كمحصلة للخمر ، رغم تلذذ متعاطيها بها .

فتعمقها فى الشخص ومخامرتها لعقله ، يقلب له الحقائق ، بحيث تجعله يرى الفساد والغواية أمرا محمودا ، وقد عبر بالرؤية على مدى تمكنها من شاربها واستيلائها على لبه ، فهى تجعله يرى أن الأسوياء قد أساءوا وأن الصديق المخلص حاقد مبغض ، وأن المدح عبارة عن هجاء وتنقص .

ان مرد ذلك يعود الى عدم قدرته على التخلص من الآثار السيئة التى أحدثتها الخمر ، الذى يتضح من تأكيده بغض الصديق المخلص وهجاء المادحين ، حيث يقول :

وأن الصديق الماحض الود مبغض
وأن مديح المادحين هجاء

---

(٣٠) شعراء عباسيون ص٢٣٩ ، زهر الآداب ٩٠٨/٢ .

ولايفوتنا فى نهاية حديثنا عن هذه الأبيات ، أن نشير الى الكأس التى رمز بهاالشاعر الى الخمر ، كما نلحظ تلاعب الشاعر بالضمير ، ولعله يرمى الى بعث الحيوية والحركة فى نفس القارىء ، فيعمل فكره فيما يقرأ .

ان الصداقة الحقة هى التى لاتبنى على المصالح الشخصية ، لذا فمودة ندماء الخمر لايعتد بها لأنها سرعان ماتزول ، بمعنى أنها صداقة وقتية ، تحكمها المصلحة . يقول ابن الرومى فى هذا المعنى :

مودة اخوان النبيذ سلافة
يبولونها عند انقضاء المجالس
فبينا نراهم أهل الف وأثرة
وبينا نراهم بينهم حرب داحس
فأما اذا ناديتهم لملمة
فنادواالتصاوير التى فى الكنائس(٣١)

يفوح حديث الشاعر بالسخرية من صداقة جماعة اللهو ، يتضح ذلك من خلال تعبيره عن دناءة تلك الصداقة المبنية على هدم الأخلاق ، فى قوله (يبولونها عند انقضاء المجالس) بمعنى أنها صداقة وقتية ، تنتهى بانتهاء الظروف والعوامل ، التى دعت اليها .

ولقبح تلك الصداقة ، عبر عنها الشاعر استعاريا بـ(البول) لينفر منها نظرا لما يبعثه ذكر البول من اشمئزاز فى النفس ، اضافة الى أنه أذى يستريح المرء اذا تخلص منه .

كما يظهر ذهول الشاعر واستغرابه لما سوف تؤول اليه تلك الصداقة من عداء مقيت ، من خلال المقابلة فى البيت الثانى. فبقدر الاخلاص والمحبة واصفاء الود ، يظهر فجأة العداء الشديد .

---

(٣١) ديوانه ١٢٤٢/٣ .

وتشتد سخريته فى مسخه اياهم ، حيث جعلهم التماثيل التى فى الكنائس .

ويبدو أن مرد تلك السخرية هو مداومتهم على احتساء الخمر ، مما كان له أثره الكبير فى تبلد احساسهم وسلب عقولهم ، بحيث لم يعودوا يستطيعون التمييز ، فهم والصور المعلقة فى الكنائس سواء .

ويربط أبو العلاء المعرى بين الخمر وذهاب الدين فيقول :

اذا دارت الكأس فى دارهم
فقد رحل الدين عن دارهم
فما وفقوا عند ايرادهم
ولاوفقوا عند اصدارهم
وفى رفع أصواتهم بالغناء
دليل على حط أقدارهم
فان كنت خدنا لهم فاحبهم
جفاء على قرب مزدارهم(٣٢)

فالشاعر يرى أن شرب الخمر للمسلمين يعنى خروجهم من الملة وكأنى به يشير بذلك الى الحديث الشريف : "لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"(٣٣) .

وقد استخدم الشاعر أداة الشرط ليربط بين دوران الكأس وذهاب الدين لما فى ذلك الأسلوب من تحذير واضح وصريح ، فانتفاء الدين ورحيله عنهم مرهون بتعاطيهم الخمر واجتماعهم عليها .

---

(٣٢) اللزوميات ١٥٢٢/٣ ، ٥٤٢،٣٨٠،٣٣٠،٢٦٧/١ ، ٧٢٢/٢ ، ١٥٩٤،١٣٥٥/٣ .
(٣٣) صحيح مسلم ٧٦/١ .

ومادام الأمر كذلك فقد جمع الشاعر بين النفى والمقابلة - ايراد واصدار ، والرفع والحط - لكى يركز على عدم توفيقهم ، وان كانوا يظنون أنهم قد تسنموا مرتبة عليا ، طالما أنهم يمرحون معبرين عن سعادتهم بالغناء.

ويعود الشاعر مرة أخرى لأسلوب الشرط ، ولكن ليأمر المخاطب بالبعد عن أولئك الأشرار .

لقد وفق الشاعر فى صياغته لهذه الأبيات حيث واءم بين اللفظ والمعنى وفى نفس الوقت حافظ على الزينة اللفظية والمعنوية ، كالتصدير فى البيت الأول والجناس فى البيت الثانى . أما المعنوية فتتجلى فى التضاد فى البيت الثانى . وقبل ذلك نجد الشاعر عبر بـ(اذا) لتأكده وقطعه بانتفاء الدين وقت شرب الخمر ، وأخيرا عبر بـ(ان) الشرطية ليبين عدم تأكده من نفور المخاطب من جماعة الشرب .

ورغم حديث أبى العلاء المعرى عن الخمر الذى يدعو فيه لاجتنابها ، فاننا نجد بديع الزمان الهمذانى لم يتمالك نفسه أمام اغراءات الراح ، ودعوة الفتيان له لمشاركتهم ، رغم أنه ذم الخمر فى مناسبات أخرى ، يقول :

وفتيان كمجتمع الثريا
على طرف من العيش الرخيم
يساقيهم من الفتيان أحوى
غضيض الطرف ذو كشح هضيم
تنادوا للمدام وعنفونى
وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن
أشيعكم الى باب الجحيم(٣٤)

---

(٣٤) ديوانه ص١٣٠ .

عمد الشاعر فى حديثه عن أولئك الفتيان الى التشبيه، حيث شبههم بالنجوم ، لما فى ذلك التشبيه من ابراز لحسن أولئك الفتيان .

فالفتوة هى أنضر مراحل الشباب وأقواها ، اذ تضاهى فى منعتها ونضارتها توهج وعلو نجوم الثريا ، وبخاصة اذا كان أولئك الشباب من المترفين المنعمين . ويبدو أن معاقرة الخمر واختيار من يقوم بخدمتها من الفتيان ، يعد من مظاهر هناءة العيش ، يظهر ذلك من لومهم للشاعر وقسوتهم عليه ، وادعائهم أنها من النعيم (وقالوا هاك حظك من نعيم) فهذه العبارة تعنى أن الخمر هى عين النعيم عندهم ، وقد نعتها ابن هندو بنفس النعت فى صفحة (٤٦) لكنه وضح مدى تأثيرها السىء .

وأمام هذا الاغراء والنزوع الى الخمر ، لم يتمكن خوف الشاعر من عاقبة تعاطيها أن يردعه عن شربها ، فأخذ يجارى جماعة الشرب ، متذرعا بأعذار واهية حيث يستدرك بـ(لكن) فى قوله : (ولكن أشيعكم الى باب الجحيم) .

فى ذم المرأة :

وكما كانت الخمر أداة من أدوات اللهو والمجون ، أضحت المرأة فى العصر العباسى احدى أدواته أيضا .

فقد كان لانتشار القيان أثر كبير على نظرة الرجل الى المرأة ، فقد أصبحت المرأة فى ذلك الوقت سلعة يمكن الحصول عليها لكل من يريد .

يقول الوشاء عن القيان : "اعلم أنه لم يبتل أحد من أهل المروءات والأدب وأهل التظرف والأرب ، ولاامتحن سراة الفتيان ببلية هى أعظم من هوى القيان ، لأن حبهن حب كذوب ، وعشقهن عشق مشوب ، وهواهن منسوب الى الملل ... وأنهن لن يقصدن الا أهل النشب ، ويصدفن عن ذوى الحسب"(٣٥).

ومع ذلك فقد خفت حدة التغزل والافتتان بالحرائر من النساء ، كنتيجة للنقلة الحضارية ، التى فتحت أبواب اللهو والمجون ودور القيان على مصراعيها . ورغم تطور الغزل فى هذه الفترة "فان المرأة الحرة الكريمة لم تعد موضوعه ، وانما أصبح موضوعه الاماء والجوارى ممن كانت تزخر بهن دور الرقيق ومجالس الشعراء وقصور الأشراف والخلفاء(٣٦). وهذا من ايجابيات العصر المحمودة .

وممن تحدث عن غدر المرأة وخيانتها الحسين بن الضحاك ، مظهرا نزقه ونزعته الى اللهو والمجون ، حيث قال :

تراك على الأيام تنجو مسلما
ولست ترى من غدرة أبدا بدا
ألست الذى آليت بالله جاهدا
يمينا وخنت الله موثقه عمدا

---

(٣٥) الموشى ص١٣٤ .
(٣٦) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص١٤٥ .

ألا فى سبيل الله ود بذلته

لمن خانني ودى ولم يرع لى عهدا

عدمتك من قلب أقام لغادر

على العهد حتى كاد يقتلنى جدا(٣٧)

توجه الشاعر بخطابه الى محبوبته وكأنى به يسألها ، هل بامكانك النجاة من تبعات صنيعك هذا دائما؟ وأنت التى ترين الغدر أمرا لازبا .

ويبدو أن الشاعر يريد أن يومىء الى تبدل الأحوال وتقلبها مع تعاقب الأيام ، وأن مايكن اخفاؤه اليوم ، لن يتأتى اخفاؤه غدا .

وبنفس يملؤها الحزن لخيانة محبوبه ، لجأ الى الاستفهام التقريرى فقال : (ألست الذى آليت بالله جاهدا؟) وفى هذا اشارة الى أن ذلك العهد انما قطع لله جل وعلا ، وأن خيانته خيانة له ، يقول : (وخنت الله موثقة عمدا) .

اذا فقد وكل الشاعر أمر محبوبه الى الله عز وجل ، ثم عمد الى التنبيه الى أن الود الذى أصفاه لمن قابله بالنكران والخيانة ، قد احتسبه عند الله ، وهو فى الواقع انما يعزى نفسه فيما حل به ، ولم يعد يملك سوى الدعاء على قلبه الذى أوشك أن يورده موارد الهلكة .

ان عدم ثقة أبى العلاء المعرى بالنساء جعلته يبوح برأيه فيهن فى عدد غير قليل من لزومياته ، يتحدث فيها عن غدرهن وخيانتهن وسلوكهن المنحرف .

ولقد عبر عن تلك الآراء فى أساليب تنم عن مقدرته اللغوية الفائقة ، وملكته الأدبية الفذة ، ودرايته بشؤون مجتمعه . يقول فى مثل ذلك :

أقل الذى تجنى الغوانى تبرج

يرى العين منها حليها وخضابها

---

(٣٧) أشعاره ص٤٩ .

فان أنت عاشرت الكعاب فصادها

وحاول رضاها واحذرن غضابها

فكم بكرت تسقى الأمر حليلها

من العار اذ تسقى الخليل رضابها(٣٨)

فمما يلفت الانتباه فى هذه الأبيات أسلوب الالتفات والمقابلة ، لما لهما من أثر واضح على المعنى والصياغة .

كما يفصح الشاعر فى هذه الأبيات أيضا عن رأيه فى النساء ، وهو رأى فيه قسوة وعدم ثقة بهن ، حيث يرى أن المرأة المحتشمة تعمد الى السفور ، لكى تبدى ماتتحلى به من حلى وخضاب ، لما فيهما من فتنة وغواية . لذلك ينصح الشاعر من يتزوج أن يلاطف امرأته ويراعيها وأن يحذر غضبها الذى يؤدى الى فقده ودها ، واصفائه لمعشوقها(٣٩).

وأخيرا يعبر عن سلوك تلك المرأة مع زوجها ونفورها منه ، ومن ثم نزوعها الى الخطيئة ـ عبر عن ذلك السلوك المشين ـ فى مقابلة كان لها أثرها الكبير على النفس ، اذ سقت حليلها العار والصغار وفى المقابل سقت خليلها رضابها .

أليس هذا كفيلا بهز المشاعر؟ وبعث عدم الثقة فى الكثير من النساء؟

وعن تفسخ القيان وتحللهن ، يقول على بن الجهم :

أوانس مافيهن للضيف حشمة

ولاربهن(٤٠)بالمهيب المبجل

---

(٣٨) اللزوميات ١٢٧/١ ، ص٢٤٣،٢٤٤-٢٤٥،٢٤٦،٣٠٤،٣٢٥ فى معناه .

(٣٩) وقد سبق الى هذا المعنى من امرىء القيس :

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها عليه القتام سىء الظن والبال

انظر ديوانه ص٣٢ .

(٤٠) ربهن : ربهم : ربه يربه ربا : ملكه ، ويقال : ربه يربه : أى كان له ربا . اللسان (ربب) .

يسر اذا ماالضيف قل حياؤه
ويغفل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله
اذا الضيف لم يأنس ولم يتبذل
ولايدفع الأيدى السفيهة غيرة
اذا نال حظا من لبوس ومأكل[٤١]

يتضح من حديث الشاعر عن القيان أن مجال اللهو والمجون كان أمامهن مفتوحا ، بل كان أربابهن يدفعونهن اليه دفعا . وهذا مادعا الشاعر الى ذمهن رغم طيبة أنفسهن وعذوبة أحاديثهن ، لأنهن متفسخات متحللات لاتجد الحشمة والمحافظة اليهن طريقا ، ومماينطبق عليهن ينسحب على مواليهن الذين يتغاضون عن سلوكهن المشين مع الضيوف ، حتى أنه اذا وجد من الضيوف الحشمة والوقار والعزوف عن مثل تلك الممارسات ، بادر الى مقت ذلك الوقار وتلك الحشمة .

وقد عبر الشاعر عن ذلك مبتدئا بالنفى ، حيث نفى عن القيان الحشمة والوقار ، وبذا يكون قد جردهن من عفتهن ، ثم ألحق مالكهن بهن لتخليه عن الحشمة ، وتبذله وتحلله .

وأن مبعث سروره اذا تطاول الضيف على قينته ، حيث يغض الطرف ويتصنع الغفلة واذا لم يجد ذلك أخرج لسانه من فيه يقذع به الحشمة والوقار ومن يتحلى بهما . مكتنيا بذلك عن الدعوة الى العبث بالقيان . فماذا يرجى من وغد كهذا؟ وكيف نطالب القيان بالعفة وهن يدفعن الى التبذل والتفسخ دفعا؟

ويصف أبو العلاء المعرى فتنة النساء وصفا دقيقا فى كثير من المواضع فى لزومياته ، يقول فى مثل ذلك :

---

(٤١) ديوانه ص٥٢-٥٣ .

لم يكفها نور خديها ونور نقا
فى ثغرها فأصارت عشرها عنما
كانت أضر لأهل النسك من صنم
فليبعد الله تلك الخود والصنما
لم يغنم القيل عدت فى الاماء له
بل مظهر الزهد فى أمثالها غنما(٤٢)

تظهر مبالغة الشاعر فى وصف المرأة ، حيث جعل شدة بياض خدها الجميل نورا يشع فيبهر من يراه ، اضافة الى البريق واللمعان الذى يشع من فيها ، عندما تتبسم .

أما أناملها وكفاها فقد حولت لونها - بفعل الخضاب - الى الحمرة ، مضيفة بذلك فتنة الى فتنتها التى حباها الله اياها .

لذا فقد ماثل بين تلك الخود والصنم بجامع الضرر الذى يحدثانه ، اذ يقول : (كانت أضر لأهل النسك من صنم) .

وأخيرا ينفى أن يكون الملك قد غنم بهذه المرأة الفاتنة ، بل الزاهد فيها هو الذى فاز وآب بالغنيمة . وفى هذا اشارة الى عدم دوام اخلاص تلك المرأة اللعوب ، أو لأنها عرضة للمفتونين بها ، مما يكون سببا فى عدم اخلاصها ، وبذا يكون جمالها سببا فى انحرافها .

ويمكننا أن نوجز بعض الملامح الفنية فى هذه الأبيات ، حيث نجد المبالغة فى البيت الأول وتكرار النفى فى البيتين الأول والثالث ، والتقديم والتأخير والتضاد فى البيت الثالث .

ويذم ابن الرومى النساء الماجنات فيقول :

---

(٤٢) اللزوميات ١٤٣٩/٣ ، ١١٢٩،٧١٣،٦٦٤/٢ .

ياقاتل الله نسوانا له مجنا

يعدون فى السبت عدو الناشط الشبب (٤٣)

اذا خلون بمن يهوين خلوته

بذلن فى ذاك ماأثلن من نشب (٤٤)

فى هذه الأبيات يذم الشاعر النساء اللائى يقدمن على ارتكاب المحرمات ويبذلن أغلى مايملكن لمن يهوين . لم يرق للشاعر مايمارسه بعض النسوة من لهو ومجون ، فبدأ بياء النداء لكى يجذب الانتباه ، ليشعرنا بما يعتمل تحت جوانحه اذ يقول : (ياقاتل الله) فالدعاء بالقتل عادة مايكون فى الأمر الجلل ، الذى يصعب دفعه . أما عبارة (نسوانا له مجنا) فتفيد انتشار الفساد بين الكثير من النساء اللائى يمارسن ذلك اللهو فى خفية كما لو كن معتقدات أن الله الذى حرم عليهن تلك الممارسات لايراهن ولايعلم مايقترفن من آثام ، مماثلا بين خيانتهن وبين اليهود الذين منعوا من صيد الحوت يوم السبت .

---

(٤٣) الناشط : الثور الوحشى الذى يخرج من بلد الى بلد . اللسان (نشط) .
والشبب : المسن من ثيران الوحش . اللسان (شبب) .

(٤٤) ديوانه ٢٧٣/١ .

ورمز الشاعر الى الاصرار على المضى فى اقتراف المعاصى ، بعدو الثور المسن وهو يحاول جهده الافلات ممن يلاحقه .

فتحايل النساء على اقتراف المعاصى لن يؤدى الا الى الخسران المبين ، تماما كثور الوحش الكبير المسن ، الذى يحاول جاهدا النجاة ممن يهاجمه ، وأنى له ذلك . ثم يصور ممارساتهن لاشباع رغباتهن فى الاتصال بالرجال فى مقابلة تنم عن حرصهن الشديد على ايثار من يهوين ، مهما كلفهن ذلك حتى لو كان ذلك كل مايملكن من متاع الدنيا ، حتى أنفسهن ، وهذا أقصى غاية التفسخ والانحلال .

فى التنجيم والشعوذة :

بلغ المجتمع العباسى مبلغا عظيما فى المجال الثقافى والعلمى ، فقد ازدهرت الثقافة ، وانتشرت بين فئات المجتمع المختلفة الاتجاهات من سنة وشيعة ومعتزلة وغيرها .

ولقد أفادت هذه الطوائف من الثقافات الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية ، من خلال الترجمات أو الأفكار والمناهج التى نقلها المسلمون من ثقافات الأمم القديمة . اضافة الى بلوغه درجة كبيرة من الصلاح والورع والتقوى ، كما وصل أيضا فى نفس الوقت الى درجة كبيرة من الانحلال والفساد الخلقى والشعوذة .

ولعل من الانصاف أن نعطى كل فئة حقها ، فلانتتبع الصفات السيئة وننفخ فيها النار ، لكى نغض من شأن المجتمع العباسى فى هذه الحقبة ، كما يجب علينا أن لاننكر وجود ظاهرة التنجيم والشعوذة .

فمن مظاهر الجهل تصديق المنجمين والمشعوذين ، الذين تحدث عنهم الشعراء ، منتقدين اياهم .

يقول منصور الفقيه عن المنجم :

لو أن نجما تكلم
لقال صكوا المنجم
لأنه قال جهلا
بالغيب ماليس يعلم
قول المنجم شىء
دعا اليه التوهم
فلاتصدق بشىء
مما يقول المنجم(٥٤)

---

(٤٥) منصور الفقيه (حياته وشعره) ص١٣٥ ، ص١٠٢،٨٥ .

من خلال حديث الشاعر عن افتراءات وتضليل المنجم ، ندرك أن نور الايمان قد أضاء نفس الشاعر ، فلم تعد تنطلى عليه افتراءات المنجمين ، حيث يؤكد أن النجم لو حباه الله نعمة الكلام لكان أول قول ينطق به ، هو اضربوا المنجم ضربا مبرحا ، لأنه كاذب مفتئت على الحقيقة ، فقوله مبنى على الحدس والتخمين .

قول المنجم شىء

دعا اليه التوهم

فما بنى على الظن والتخمين ، ينبغى عدم تصديقه ، ولذلك نهى الشاعر عن تصديقه اذ قال : "فلاتصدق بشىء" .

اتسمت هذه الأبيات بالمباشرة ولم ترق الى مصاف الشعر الجيد ، لأن الشاعر اتجه بها الى العامة الذين يروج بينهم التنجيم .

وينهى أبو العلاء المعرى عن تصديق الكاهن لأن مايقوله كذب وافتراء ، بدليل عدم معرفته بما يضمر فى النفوس ، فيقول :

لاتصغين الى حاز لتسمعه

فما يطيق لما أخفيت ابرازا

أراد احراز قوت كيف أمكنه

فظل يكتب للنسوان أحرازا(٥٥)

أدرك أبو العلاء المعرى بثاقب فكره كذب وافتراء العرافين وانسياق بعض الناس خلفهم وتصديقهم اياهم .

وهذا ماجعله يصدع بنهيه المخاطب حيث قال : "لاتصغين" لما لهذه الكلمة من قوة فى أداء المعنى الذى يرمى اليه الشاعر ، وقد ألحق بها نون التوكيد ، بالاضافة الى لام التعليل فى قوله : (لتسمعه) .

---

(٤٦) اللزوميات ٨٣٨/٢ ، ٤٧٧/١ ، ١٠١٧/٢، ١٠٦٢ ، ١٤٠٧/٣، ١٤٠٨، ١٦٨٨ .

ولعل مرد النهى عن الاصغاء فيه ايماءة الى أنه ربما استطاع ذلك العراف اقناع السامع بما يقول .

ولكى ينبه الشاعر الى أن العراف ليست لديه معرفه بما يتنبأ به ، وأن الذى ألجأه الى ذلك لقمة العيش التى جعلته ينساق خلف الوهم لكى يوهم السامع ويغرر به ، عله يحصل على مايعينه على أعباء الحياة ولرجاحة عقول الرجال ، يصعب على العراف اقناعهم ، بما يقول وتصديقهم اياه .

لذا فأكثر مصدقيه هم من النساء اللائى يسهل اقناعهن ، فيكتب لهنّ ولأطفالهن الحجب والتمائم ، وماعلمن أن مايقوم به ماهو سوى حيلة من الحيل التى يقتات من ريعها .

فالحقيقة التى عبر عنها المعرى أبرزها اتكاؤه على أسلوبى النهى والنفى فى البيت الأول والخبر فى بيته الثانى .

الفصل الثاني

التحلل الخلقي

التحلل الخلقي

(١) التنكر للصديق .

(٢) اللئام .

(٣) النفاق .

(٤) الغيبة والنميمة والوشاية .

(٥) فى الكذب .

(٦) فى الحسد .

(٧) فى ذم اللحى والخضاب .

(٨) فى الجبن وقصر الهمة .

التحلل الخلقى

يجمل بنا ونحن بصدد الحديث عن بعض مظاهر التحلل الخلقى ، أن نقدم له بكلمة موجزة عن الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى .

فبعد أن من الله على العرب بالاسلام ، أخذت جحافلهم تجوب الأرض شرقا وغربا ، تنشر الدين الاسلامى ، وقد ترتب على ذلك اتصال وتعامل مع الشعوب التى دخلت فى الاسلام ، وهذا أحدث تغييرا كبيرا فى حياتهم الاجتماعية ، نتيجة تمازجهم مع تلك الأجناس المتعددة ، وهذا الاختلاط أدى الى التزاوج والمصاهرة مع تلك الأجناس .

وقد انقسم المجتمع الى عدة طبقات :

الطبقة المترفة : وتتكون من الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد والعمال وغيرهم ممن تسلموا مناصب كبيرة فى الدولة .

الطبقة المتوسطة : وتتكون من العلماء والشعراء والكتاب وبقية المثقفين والتجار ومتوسطى الملاك .

الطبقة الفقيرة : وتتكون من الحرفيين وغيرهم ممن ليست لهم صلة بأشراف القوم كالحمالين والعمال والعاطلين ...الخ(١).

فالطبقة المترفة ، طبقة ، تتحكم وتسيطر فى نفس الوقت على الحياة الاقتصادية ، وعلى النقيض من هذه الطبقة تأتى الطبقة الفقيرة المغلوبة على أمرها ، لتتذوق طعم الحرمان ومرارة العيش ، لاستئثار الطبقة المترفة بكل شىء ، وحرمان الطبقة الفقيرة من أبسط حقوقها ، فعاشت فى فقر مدقع .

أما الطبقة الوسطى فكانت طبقة ثرية ، غير أنها لم تبلغ فى ثرائها وترفها مابلغته الطبقة الأولى .

---

(١) المنثور والمنظوم ق١ج١٣/٧ رسالة ماجستير .

فمن مظاهر حياة الطبقة المترفة ، ماتحدثت عنه المصادر القديمة من تشييد للقصور والمبالغة فى اتخاذ الخدم واقتناء الغلمان والقيان ... الخ[٢].

لاشك أن الثراء كان سببا من أسباب اقتناء الجوارى والغلمان والرقيق واتخاذ الندماء ، مما أشاع الخلاعة والسخف والانحلال الخلقى .

ان المغالاة فى الانفاق على القصور وبعض المظاهر الأخرى التى أضحت من مستلزمات الحياة لدى علية القوم ، أدت الى البذخ والاسراف فى انفاق المال ، كما أدى فساد الحكم الى اللجوء الى مصادرة الأموال .

فاذا حدثت ضائقة مالية أغاروا على الأثرياء ممن هم دونهم ، فيصادرون أموالهم ، فقد أورد التنوخى فى "الفرج بعد الشدة" خبرا عن مصادرة أموال الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى[٣].

اضافة الى تردى السياسة الاقتصادية ذات الصبغة الاقطاعية الى تسلط الطبقة المترفة واستغلالها .

أما الطبقة الفقيرة ، فقد أدى الحرمان والفقر المدقع الى فسادها وانحرافها ، ولم ترق هذه الحياة لهذه الطبقة المغلوبة على أمرها ، فقامت بين الفينة والأخرى بالثورة على تلك الأوضاع الاقتصادية السيئة ، كثورة الزنج والبابكية ، والقرامطة ، وقد تحدث د.طه حسين عن تلك الثورات فقال : "ولعل أخص ماتمتاز به هذه الثورات الثلاث أنها كلها كانت تقصد الى تغيير الحياة الاقتصادية، بحيث يغير توزيع الثروة بين الناس ، ويتحقق شيء من العدل والمساواة بين الأفراد والجماعات"[٤].

غير أنى لاأوافق الدكتور طه حسين كل الموافقة ، فحكمه لم يكن دقيقا كل الدقة . فالمتأمل للحوادث التاريخية وماصاحبها من عنف وقتل وخراب

---

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٩٩/١ ومابعدها .
(٣) الفرج بعد الشدة ١١٢/٢ .
(٤) مع المتنبى ص٣٠ .

يدرك أن الهدف ليس الثورة على الأوضاع الاقتصادية فحسب - بل ثمة دوافع دينية وسياسية حينا آخر - يبدو ذلك من فتنة بابك الخرمى (٥)، وثورة الزنج (٦) وماصاحبها من اضطرابات .

وكذا ثورة الهاشميين التى اتخذت من المساجد قاعدة لها ، يقول الصولى : "كان لبنى هاشم وثوب فى المحرم بامام الجامع الغربى فخاتلهم حتى صلى ركعتين خفيفتين قرأ فى الثانية الحمد وقل هو الله أحد ، وخطب بكلمات يسيرة . وصاروا من غد الى الجامع الشرقى فوثبوا بالقاضى وماتركوه يخطب ، فانصرف مفلتامن أيديهم" (٧).وقد نشأت عن هذه الأوضاع المضطربة مجموعة من الظواهر الاجتماعية سجلها الشعر وتفاعل معها . نعرض لها فيما يلى :

---

(٥) ينظر خبر بابك فى تاريخ الطبرى ٩/٥٢-٥٥ .

(٦) انظر تاريخ الخلفاء ص٣٦٣-٣٦٤ .

(٧) أخبار الراضى بالله والمتقى لله ص٧٠-٧١ .

التنكر للصديق :

أمام هذا الاضطراب الاجتماعى والشرخ الكبير الحاصل بين فئات المجتمع المتنافرة ، لابد أن يحصل هناك فتور وتفكك فى الروابط والعلاقات والأعراف الاجتماعية .

فالتنكر للصديق ظاهرة تصدى لها الشعر فى العصر العباسى منتقدا اياها فى شتى صورها وطرقها المختلفة .

فهذا ابراهيم الصولى ، يرى أن مسايرة الاخوان للدهر - الذى كان ينظر اليه على أنه معاد للأحرار والكرام - وميلهم معه ، حيثما مال تنكرا للصداقة ، فقال :

اسمعى منى أبثك شأنى
انما يبدى ضميرى لسانى
كم أخ لى كان منى فلما
أن رأى الدهر قد جفانى جفانى
لم يرعنى منه الا عدو
مؤتر نحوى قوس الزمان
مستعد لى بسهم فلما
أن رأى الدهر رمانى رمانى(٨)

أبرز مايلفت الانتباه فى هذه الأبيات الازدواج اللفظى الذى ينبض بمشاعر الحزن .

فالشاعر يستوقف المخاطبة (الوهمية) ليخبرها بما يعتمل فى نفسه ، لعله يجد لديها متنفسا وأذنا صاغية لهمومه التى لم يعد يستطيع كتمانها .

أما أولئك الأخوان الذين تخلوا عنه ، وأخذوا يسايرون الدهر جيئة وروحة ، فقد افتضح أمرهم وظهر عداؤهم .

---

(٨) الطرائف الأدبية ص١٦٨ .

وهـذا ماجعل شدة الخوف تستحـوذ على الشاعر ، لأنه يدرك استعـداد أولئـك الأخوان ، للانقضاض عليه ، بمجرد تنكر الـدهر له ، حيث ينضمون للدهر ، ويتنكرون لما كان يصل بينه وبينهم من ود ومحبة .

كما يرى الصورى أن المودة تتأثر سلبا وايجابا تبعا لمجريات الأمور ، فيقول :

والناس من حولى موداتهم
مع اختلال الحال مختله
كأننى فى يوم حشر ولا
تعـارف ثـم ولاخلـه(٩)

فالشاعر ينظر لمن حوله نظرة فاحصة متأملة بادئا بكلمـة (الناس) لكى يشعرنا بأن اختلال المودة وتأثرها بالواقع المعاش ، أضحى منتشرا بين الكثير من الناس ، بمعنى أن صداقتهم وصلاتهم مبنية على مبدأ النفعية ، اذ يقول : (... موداتهم مع اختلال الحال مختلة) .

ولشـدة وقع ذلك التنكر على نفـس الشاعر ، فقد مـاثل بينه وبين يوم القيامة ، بجامع التخلى فى كل .

ويبدو أن الشاعر قد استقى ذلك المعنى من قوله عز من قائل : {ياأيها الـذين آمنـوا أنفقوا مما رزقنـاكم مـن قبل أن يأتى يوم لابيـع فيـه ولاخلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون}(١٠).

أمـا تظاهر الصديق باللين والتلطـف والمحبة، التى سـرعان مايقلع عنها ويتنكر ، فقد تحدث عنه ابراهيم بن المدبر ، فقال :

وصديقا تراه حلوا أنيقا
مؤنسا ملطفا حفيا شفيقا

---

(٩) ديوانه ١٠٢/٢ .
(١٠) سورة البقرة : آية ٢٥٤

ثم لما رمانى الدهر بالغد

ظة منه صار البعيد السحيقا(١١)

ان أول مايدور بخلد القارىء عند قراءته للبيت الأول ، تلك الصورة الجميلة المشرقة لذلك الصديق ، التى تنبىء عما يتمتع به من دماثة خلق وطيبة نفس وألفة وايثار .

لكن سرعان ماتتبدل نظرته بمجرد قراءته للبيت الثانى ، حيث أن (لما) تشعر بأن هناك شيئا ينبنى على شىء آخر . فجفاء الدهر يقابله تنكر الصديق حيث عبر عما أصيب به من الدهر بـ(الرمى) رامزا به الى شدة وقع الألم الذى يفوق غيره من المصائب ، ثم قال عن تنكر صديقه (وصار البعيد السحيقا) تفيد هذه الجملة التحول ثم البعد الذى لايرجى اللقاء بعده ، وعلى الجملة فقد أحدث هذا التنكر جرحا عميقا وغائرا فى نفس الشاعر ، من الصعب اندماله ان لم يكن من المستحيل .

وبعد فهذا ديدن الأصدقاء غير الأوفياء ، حيث يظهرون التودد والحفاوة ، والعطف والايثار ، لمن يأملون فى نواله ، واذا ماتبدلت حاله ، ونضب معينه ، وأجدبت أرضه ، تفرقوا ونأوا عنه ، وأسلموه لريب الدهر.

ويعزو يزيد المهلبى حديثه عمن تنكر له الى الحرمان الذى منى به ، فاضطر معه الى التحدث ، اذ قال :

ألا ياقوم قد برح الخفاء

وبان الصبر منى والعزاء(١٢)

تعجب صاحبى لضياع مثلى

وليس لداء محروم دواء

---

(١١) أعتاب الكتاب ص١٦٢ ، شعراء عباسيون ص٣٨٦ .
وانظر نفس المعنى فى ص٣٨٣-٣٨٤ .

(١٢) العزاء : حسن الصبر . اللسان (عزا) .

جفانى سيد قد كان برا

ولم أذنب فما هذا الجفاء(١٣)

يضم الشاعر بين جوانحه أرتالا من العتب على من كان يؤمل فيه اقالة عثرته ـ وهو الذى أصفاه وده ، وقام على خدمته ـ لكنه خيب أمله وأظهر له الجفاء ، وأمام مشاعر العتب المتأججة فى نفس الشاعر ، لم يستطع كتمان تلك المشاعر ، وهذا ماضطره الى بث همومه ، والصدع بها .

عبر الشاعر عن تلك المشاعر مبتدئا حديثه بـ(ألا) و(يا) لكى يسترعى انتباه القوم ويهيئهم للاستماع لشكواه التى أقضت مضجعه ، مؤكدا وضوح الأمر وجلاءه ، فيقول : (قد برح الخفاء) ، (وبان الصبر منى والعزاء) .

لقد كان ضياع الشاعر ، وتنكر صاحبه له ، مبعث تعجب من أصحابه لأنه أمر غير متوقع ، وهذا مادعا الشاعر الى تعزية نفسه ، بقوله : (وليس لداء محروم دواء) حيث خلع على نفسه صفة الحرمان .

وينفى والألم يعتصر فؤاده أن يكون قد اقترف مايسوغ الجفاء له ، ورغم الجفوة ، لازال يصف من جافاه بصفات تحفظ له مكانته ، اذ يقول : (جفانى سيد قد كان برا) .

وقبل أن نختم الحديث عن هذه الأبيات ، يجمل بنا أن نشير الى بعض الملامح الفنية ، كالتصريع فى البيت الأول ورد العجز على الصدر ، كما هو واضح فى البيت الأخير وتكرار (قد) التى للتحقيق فى البيتين الأول والثالث.

يتفاوت الناس فى الاحساس بتنكر الأصدقاء ، فمنهم من يتحمل الصدمة رغم هولها ، ومنهم من يظهر سخطه وحسرته ، يقول جحظة البرمكى :

---

(١٣) شعراء عباسيون ص٢٣٧ .

مازارنى فى الحبس من نادمته
كأسين: كأس مودة ومدام
بخلوا على وقد طلبت سلامهم
فكأننى طالبتهم بطعام(١٤)

ينفى الشاعر زيارة ندمائه له ، ليظهر مشاعر الألم والاحباط التى منى بها من أصدقائه . نظرا لأن صداقته ليست كأى صداقة أخرى ، لكنها صداقة متينة عميقة ، عبر عنها بالمنادمة ، التى تشربها حتى عمت سائر بدنه ، وسرت فى أعماقه كسريان الروح فى الجسد .

ورغم كل تلك الصلات العميقة التى تربط الشاعر بصديقه ، فهو لم يكلف نفسه عناء زيارته فى السجن ، ليبرهن على محافظته على مايربط بينهما من صداقة ، وقد عد الشاعر ذلك التنكر بخلا .

وقد يضحى المرء من أجل أحبائه وقومه ، ولاغرابة فى ذلك ، لكن الغريب وغير المقبول ، أن تقابل تلك التضحيات بالتنكر وعدم الاعتراف بالجميل ، هذا مايحدثنا عنه داعى الدعاة .

أبحت حمى دمى فيهم وفيهم
خسرت شبيبتى وربيع عمرى
وفيهم سرت عن وطنى غريبا
أجوب الأرض قفرا بعد قفر
فلما جئتهم طبا عروفا
بعرف حين يأتيه ونكر
قؤولا فى ولائهم فعولا
بذول النصح فى سر وجهر

---

(١٤) جحظة البرمكى (الأديب الشاعر) ص٣٠٩ .

"أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر"(١٥)

يتحدث الشاعر عن تضحياته التى قدمها من أجل الذين عبر عنهم بضمير الغائبين ، مشيرا الى أهمية تلك التضحية ، فيقول : (أبحت حمى دمى فيهم) فهل بعد بذل النفس مايمكن الضن به؟ أو أن هناك ماهو أغلى وأنفس من الحياة ليبذل .

ومن أجلهم أيضا ، ضيع أحلى وأغلى أيام عمره التى قال عنها : (وفيهم خسرت شبيبتى وربيع عمرى) ومن أجلهم كذلك ضحى بوطنه واستقراره ، وأضحى غريبا يقطع المفاوز المقفرة الموحشة .

فالشاعر عندما يتحدث عن تضحياته - التى أوجزها فى العبارات التالية (أبحت حمى دمى ، خسرت شبيبتى وربيع عمرى ، سرت عن وطنى غريبا ، أجوب الأرض قفرا بعد قفر) ، فانما يرمى الى التعبير عن اخلاصه وتفانيه . ثم عاد اليهم وكله حكمة وتلطف ورقة مشمولة بالتأنى والصبر والجود ، بالرغم من التنكر الذى يلاقيه . ويعمد الى المبالغة ليوضح موقفه ، فيقول : (قؤولا فى ولائهم ، فعولا ، بذول النصح ..) .

فالشاعر لم يكن يكتفى بالقول ، بل كان يشفع قوله بالفعل والعمل واسداء النصح ، كل هذا لم يشفع له فى أن يحظى بما كان يأمله ، بل حرم منه ، ولم يجد أفضل من بيت العرجى ليسلكه ضمن أبياته ، نظرا للتوافق الحاصل بين حال الشاعر وحال العرجى .

وبعد : فهل بعد هذا الضياع والنسيان مايمكن أن يرجى منهم؟

وفى نظرة مغايرة لما سبق من نصوص ، يبدى ابن سنان رضاه عن خلق الغدر ، لأنه كشف له كذب صاحبه وتنكره له ، فيقول :

---

(١٥) ديوانه ص٢٧١ .

وسجية فى الغدر كنت أعيبها

حتى عرفت بها الصديق الأكبرا

ياصاحبى وماوثقت بصاحب

الا تغير وده وتنكرا(١٦)

بدأ الشاعر بواو رب ليذكرنا بالذين يتصفون بطبيعة وخلق الغدر التى يمجها الشاعر ، لكنه أبدى رضاه عنها ، رغم كرهه لها ، لأنها كشفت له غدر أجل وأحب وأعظم أصدقائه الذين كان يعول عليهم .

وأخذ يندب حظه العاثر وهو يتظاهر بنداء صاحبه ، لكى يجذب الانتباه ويلفت الأنظار اليه .

وينظر الأحنف العكبرى الى الناس نظرة قاتمة ، فيقول :

دهينا من زمان ليس فيه

سوى متشامت أو مستريب

وحاسد نعمة وصديق وقت

اذا ماغبت ذمك فى المغيب(١٧)

نظر الشاعر الى الناس بمنظار أسود ، ويتضح من خلال هذه النظرة ، أن الشاعر يعيش حياة قلق واضطراب ، طالما أنه ينظر الى الناس بهذا المنظار .

فالناس عنده تتملكهم أربع خصال : أناس جبلوا على الشماتة ، وآخرون اتصفوا بالريبة ، ومنهم من تملكه الحسد ، وأخيرا أصدقاء المنفعة ، الذين تزول صداقتهم بزوال المصلحة .

أما منصور الفقيه فيرى أن من أسباب التنكر تسنم المناصب الرفيعة ، يقول :

---

(١٦) ديوانه ص٣٩ .

(١٧) أشعار الشحاذين فى العصر العباسى ص٣٧ .

يامن تولى فأبدى
لنا الجفا وتبدل
أليس منك سمعنا
من لم يمت فسيعزل؟[١٨]

يعرض الشاعر ببعض الناس الذين تأخذهم عظمة المنصب فيتنكرون لأصدقائهم ظنا منهم أنهم بالمنصب الذى اعتلوه ، قد بلغوا القمة التى لن ينزلوا عنها ، ولن ينالها أحد غيرهم . هذا مادعا الشاعر الى تنبيه من تولى المنصب الرفيع وأبدى الجفاء ، وتنكر لمن حوله ، ثم يطرح عليه تساؤله ، عما كان يتحدث عنه هو نفسه . وبقدر مافى ذلك من تذكير لمن يتسنم الرتب العليا ، فانه ينطوى على السخرية والاستهزاء من ذلك المتغطرس ، الذى لم يتمثل ماكان يتفوه به .

وعن خيبة الأمل ، فيمن كان يعد سندا وعونا وقت الحاجة ، تحدث دعبل الخزاعى فقال :

فتى كنت أرجوه وآمل يومه
وأشفق أن يغتاله حدث الدهر
فلما تبوأ منزل اليسر والغنى
رمى أملى منه بقاصمة الظهر[١٩]

رمز الشاعر فى بداية بيتيه الى السخى الكريم بـ(فتى) وكان حديثه عن ذلك الفتى ينطلق من منظور الوفاء ، يقول : (فتى كنت أرجوه وآمل يومه) فهو يبنى آماله العريضة على ذلك الصديق الصدوق ، الذى كان يحذر عليه من غوائل الدهر ، يقول : (وأشفق عليه أن يغتاله حدث الدهر) .

---

(١٨) منصور الفقيه (حياته وشعره) ص١٢٠ .
(١٩) شعره ص١٥٨ ، ص١٧٣-١٧٤ فى معناه .

واذا تأملنا المقابلة فى البيت الثانى ، نجدها تنضح بمشاعر الألم والحسرة التى تبعث على الضحك والبكاء فى نفس الوقت ، لتنكر ذلك الجواد الكريم بعد أن من الله عليه بالنعم الوفيرة .

ويتحدث الحسن بن وهب عن تنكر من كان يعقد عليه آمالا عريضة ، وعدم اكتراثه بما حل به من ضيق ، فقال :

دعوتك فى الجلى وقد ضاق مصدرى
على ورواني من السم موردى
فأصممت عنى منك[٢٠] أذنا سميعة
وقد قصدت لى النائبات بمرصد
فما ضاق عنك العذر عندى ولانبا
بعهدك ناب من مغيب ومشهد
وقلت زمانا قد نهى الناس كلهم
عن البر نهى الموعد المتهدد
وأملت أياما تنوب ورجعة
من الدهر يأتينا بها الله فى غد[٢١]

يعتب الشاعر على المخاطب الذى تخلى عنه وهو فى أمس الحاجة الى مساعدته .

واضح من عتب الشاعر أنه لم يبح به الا بعد أن بلغ السيل الزبى ، بمعنى أن الأمر جد عظيم . وقد عبر عنه بأسلوب التضاد بالاضافة الى تأكيده شدة المأزق الذى أضحى فيه ، حيث لم يعد يستطيع أن يدفع عن نفسه ،

---

(٢٠) منك ساقطة من الأصل والتصويب من (آل وهب) ص١٣٧ .
(٢١) الزهرة ١/١٩٨ .

مما اضطره الى الاستسلام وتجرع ذل الهزيمة المهلكة ، حتى كأنه يشرب السم الزعاف . ثم يؤكد ـ فى سياق حديثه عن اعراض المخاطب عنه ـ ماحل به من مصائب . ورغم ذلك لم يعدم الشاعر اختلاق الأعذار الواهية ، ليبرر موقفه السلبى .

لقد اتكأ الشاعر على الزمن الماضى ، حيث بدأ أبياته جميعها بالفعل الماضى ، لارتباطه بأحداث جسام مرت بالشاعر ، كان يصارعها وحيدا ، وازاء ذلك فقد كرر (قد) ليؤكد ماقاساه من آلام ، والمخاطب يقف منه موقف المتفرج .

ويبدو أن اهتمام الشاعر بالمعنى كان بمستوى قدرته على السبك اللفظى حيث نجد الطباق بين (مصدرى ، وموردى ، وبين مغيب ، ومشهد) ـ وهذا فيه اشارة الى الاحتياج والمساعدة ، وغيابها ـ والجناس بين (نبا ، وناب ، ونهى ، ونهى) حيث يتجسد هول ماحل به .

أما خيبة الأمل فى الناس فقد تحدث عنها أبو هلال العسكرى ، حيث نفى عنهم ودهم ووفاءهم ، فقال :

ألا أن أسباب الصفاء تصرمت
فما لمودات الرجال صفاء

ومالجميع العالمين رعاية
ومالجميع العالمين وفاء

ألا انما آوى[٢٢] وعنقاء[٢٣] مغرب
وعرس[٢٤] واخوان الصفاء[٢٥] سواء[٢٦]

يغلب على صياغة الشاعر اتكاؤه على النفى مسبوقا بـ(ألا) . وقد عضد لتأكيده على انفصام عرى المحبة وتفككها بتكرار النفى ، ليبين صدق ماذهب اليه . لقد تملك اليأس الشاعر ممن كان يخلص وده لهم ، فأخذ يماثل بين اخوان الصفاء وبين آوى وعنقاء مغرب وعرس فى استحالة وجودها جميعا . وهو فى استخدامه لهذا العنصر التراثى (التاريخى الاسطورى) يبرز غياب الوفاء فى تساوى اخوان الصفاء وآوى وعنقاء مغرب وعرس . ولعله اتكأ فى ذلك أيضا على التصدير والمجانسة .

ولقد سبق الشاعر الى هذه الأسطورة أبو نواس فى قوله :

---

(٢٢) ابن آوى : دويبة . والجمع بنات آوى . اللسان (أوى) . أما آوى فلا وجود له.

(٢٣) عنقاء مغرب : من الألفاظ الدالة على غير معنى ، قال بعضهم : هو طير غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه ، وقيل سميت بذلك لأنه كان فى عنقها بياض كالطوق ، وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس .
وقد تحدث عنها القزوينى فقال عنها : انها أعظم الطير جثة وأكبر خلقه ، تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر . وذكرها أرسطاطاليس ، وأبو البقاء العكبرى والسهيلى ... وغيرهم .
انظر حياة الحيوان ٨٦/٢ ومابعدها .

(٢٤) عرس : ابن عرس دويبة .. ويجمع على بنات عرس . اللسان (عرس) .

(٢٥) اخوان الصفاء : الصفاء : مصدر الشىء الصافى .. والصفاء : مصافاة المودة والاخاء . اللسان (صفا) .

(٢٦) ديوانه ص٤١ .

وماخبزه الا كعنقاء مغرب

تصور فى بسط الملوك وفى المثل(٢٧)

وبالاضافة الى ماتقدم نلحظ أن الشاعر عمد الى التحسين اللفظى ، حيث نجد التصدير (رد العجز على الصدر) فى البيت الأول والجناس فى البيت الثانى ، ويجمل بنا أن نشير الى اتفاق هذا النص وسابقه ، فى الحديث عن فساد الزمن بصفة عامة .

ومن مظاهر التنكر أيضا التخلى وقت الحاجة . يقول الامام الشافعى :

ومااكثر الاخوان حين تعدهم

ولكنهم فى النائبات قليل(٢٨)

وفى شكوى مشوبة بالألم والحسرة ، يعزو ابراهيم بن العباس الصولى ، تفرق الاخوان الى التقدم فى السن ، وموت الأتراب ، فيقول :

ولما علتنى كبرة وتوزعت

لداتى مناياهم وأوحش جانبى

تفرق اخوانى فريقين منهم

عتاد عدو أو عتاد النوائب

وأنحى على الدهر حتى رأيتنى

مسالم أعدائى ونهزة صاحبى(٢٩)

فالشاعر قد تقدم به العمر ، مما جعله يشعر بالضعف والوحشة ، سيما بعد أن انتقل أقرانه الى الدار الآخرة .

---

(٢٧) ديوانه ص٦٨٣ .
(٢٨) شعره ص٣٠٦ .
(٢٩) الطرائف الأدبية ص١٥٦ ، ص١٦١ .

وكان من نتيجة ذلك ، تبدل أحواله ، يقول : (وأوحش جانبى) ففى هذه الجملة يبالغ الشاعر وهو يتحدث عن الوحشة ، ولعل هذا راجع الى حالته النفسية القلقة ، حيث يظهر واضحا جليا مايعانيه الشاعر من قلق واضطراب نفسى من خلال قوله : (وأنحى على الدهر ...) فهذه العبارة تدل على شدة مايعانيه الشاعر من ألم ، ومايقاسيه من وطأة الدهر .

وأمام تلك القسوة والمصائب ، التى تنزل عليه ، لم يجد بدا من أن يسالم أعداءه ويذعن لهم على مابينه وبينهم من عداء محتدم ، وهو فى حالة نفسية سيئة ، زادها سوءا أنه أضحى فريسة وصيدا سهلا لأصدقائه الذين كانوا عونا للدهر ولأعدائه كذلك .

أما دعبل فيرى أن الناس كثر ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، فكثرتهم ليست ذات غناء ، فيقول :

ماأكثر الناس لابل ماأقلهم
الله يعلم أنى لم أقل فندا
انى لأفتح عينى حين أفتحها
على كثير ولكن لاأرى أحدا(٣٠)

من الملامح الأسلوبية التى تلفت الانتباه فى هذين البيتين ، أسلوب التعجب الذى غلب على صياغتها ، وربما كان لحالة الشاعر النفسية ، التى يعانى فيها من سوء الناس ، رغم الكم الهائل منهم أثرها ـ والألم الممض يعتصر فؤاده ـ فى اختيار أسلوب التعجب ، كما كان لصيغة أفعل ، التى كررها الشاعر مرتين ، أثرها فى تصوير المعنى والمبالغة فيه ، لتظهر أهمية مايعانيه الشاعر من عدم نفع الأصدقاء .

---

(٣٠) شعره ص١٢١ .

ثم يؤكد على كثرتهم ، ولكنها كثرة ليست ذات غناء ، والشاعر وهو يؤكد ذلك يشفع تأكيده بالرؤية لقوتها فى اثبات وتأكيد ماذهب اليه .

ولعدم افادة ابن الرومى من الأصدقاء على كثرتهم ، فقد كانت معرفته اياهم ، تفيده كلما عنت له حاجة ، فيظهر الرضا ، ولكن بعد فوات الأوان فيقول :

ولى أصدقاء كثيرو السلام
على ومافيهم نافع
اذا أنا أدلجت فى حاجة
لها مطلب نازح شاسع
فلى أبدا معهم وقفة
وتسليمة وقتها ضائع(٣١)

يحدثنا الشاعر عن نفسه حديثا يخبرنا فيه أن له أصدقاء كثير معبرا عن ذلك بقوله : (ولى أصدقاء كثيروا ..) غير أنهم ليسوا ذوى فائدة ، بل لهم مضارهم رغم كثرتهم ، لذا قال : (السلام على) مشيرا الى أن أصدقاءه يكثرون السلام عليه ولافائدة منهم ، يقول : (ومافيهم نافع) فالنفى هنا فيه توضيح وتأكيد لما ينطوى عليه أولئك الأصدقاء ، سيما وأنه يصدر عن خبير حصيف بأحوال أولئك الأصدقاء ، ثم يؤكد لنا لجوءه الى الامعان فى السير للحصول على مايريد وعزمه على المضى ، فى مبالغة واضحة الى بعد وكثرة مايأمل الحصول عليه .

غير أن المؤسف حقا ، أن الشاعر لم يجد من هؤلاء الأصدقاء من يعينه على تحقيق مطلبه ، مكتفين بالسلام عليه . وبذلك يضيعون وقته بدلا من أن يفيدوه .

---

(٣١) ديوانه ١٤٨٨/٤ ، ١١٩،٨٦/١ .

أمـا ابن أبى حصينـة فيرى أن الأصـدقاء تختلـف مـوداتهم باختلاف الأحوال والمكانة ، فيقول :

حتى اذا دار الزمان عليكم
وأراكم اليقظـات كالأحلام
قل الصديق لكم وضاع جميلكم
فى الأبعدين وفى ذوى الأرحام(٣٢)

عـن طريق التشبيه جعل الشـاعر الزمن يدور على مخاطبيهـم ، فينقلب عليهـم فيهجرهم أصدقاؤهم ويتنكـروا لهم ، وهذا يذكـرنا بقـول أبى البقاء الرندى :

دار الزمان على دارا وقاتله
وأم كسرى فما آواه ايوان(٣٣)

والحقيقـة التى يعبر عنهـا هى أن الذين يتحدث عنهـم الشاعر هم من الـذين تعرضوا لجور الزمان كغيرهـم من خلق الله ، مصـورا حالة الذهول التى يعـانون منها من جراء الصـدمة التى تعرضوا لها ، والتى جعلتهـم يرون الحقيقة وهى ماثلة أمام أعينهم ، كالحلم الذى يأتى فى وقت تذهلون فيه عن الحقائق الماثلة أمامكم فترونها كالأحلام .

ونتيجة لدوران الزمان وجفوته لهم (قل الصديق) وفى هذا دلالة على فسـاد نوايا هـؤلاء الأصدقاء ، وأنهـم أصـدقاء مصلحة ، بمعنى أن صـداقتهم وقتية .

---

(٣٢) ديوانه ٢٢٢/١ .
(٣٣) أبو البقاء الرندى (شاعر رثاء الأندلس) ص١٤٥ .

ثم يعبر عن الحسرة والألم على ماقدموه من صنائع فى الأقارب والأبعدين ، بقوله : (وضاع جميلكم ...) فالضياع هنا عدم رد الجميل والفضل وأن تلك الصنائع كانت فيمن لايقدرها حق قدرها .

ومن مظاهر التنكر ، التلون وعدم الثبات على مبدأ ، فتارة يظهر المتلون الوفاء ، ثم لايلبث أن يغدر ، يقول ابراهيم الصولى :

وكنت أخى بالدهر حتى اذا نبا
نبوت فلما عاد عدت مع الدهر
فلا يوم اقبال عددتك طائلا
ولايوم ادبار عددتك من وترى
وماكنت الا مثل أحلام نائم
لدى حالتيك من وفاء ومن غدر(٣٤)

يتحدث الشاعر عن تأرجح صديقه بين القرب منه والبعد عنه ، وهو ماأصابه بالذهول ، لأنه لم يكن يتوقعه من صديقه ، نظرا للتلاحم والتآخى الذى يصل بينهما ، يتضح ذلك من قوله : (وكنت أخى بالدهر) فقد أفادت الباء التلاحم والملاصقة ، ورغم ذلك لم يحافظ صديقه على ذلك التلاحم ، بل أخذ يجارى الدهر جيئة وروحة ، وهذا هو التلون بعينه . وقد ترجم الشاعر ذلك التلون فى مقابلة تنضح بما يعتمل فى نفسه ، حيث قابل بين شطرى البيت الثانى .

ثم لجأ الى أسلوب الاستثناء المفرغ ، ليقارن بين صفة صديقه فى حال وفائه وفى حال تنكره ، وبين الحلم ، فكلاهما لاغناء فيه .

يظهر من هذه المقارنة استخفاف الشاعر بذلك الصديق ، وعدم الركون اليه ، تماما كالحلم الذى سرعان ماتزول بهجته ، بمجرد الاستيقاظ من النوم .

---

(٣٤) الطرائف الأدبية ص١٥٨ . وانظر نفس المعنى فى شعراء وأدباء فى العصر العباسى ص٣٠ .

فاهتمام الشاعر بالمعنى لم يصرفه عن أن يهتم بالتحسين اللفظي - كالازدواج اللفظى ، والجناس ، والتصدير - لما له من أثر ينعكس على الايقاع الشعرى .

ويتحدث مهيار الديلمى عن الاخوة الزائفة التى يتخلق بها أصحابها ، حيث يظهرون الايثار والفداء وقت الرخاء وينقلبون وقت الشدة ، فيقول :

وأخ مع السراء من عددى
وعلى فى الضراء والشر
تطوى حشاه على تبسمه
أضلاع مشرجة على الغمر
مولاى والأحداث مغمدة
فاذا انتضين فرى كما تفرى
تعب بحفظ هنات ميسرتى
حتى يعددها على العسر
الدهر ألين منه لى كنفا
لو كان يتركنى مع الدهر(٣٥)

بدأ الشاعر أبياته بالمقابلة لما لها من أثر فى نفس القارىء وشد انتباهه للمعنى الذى يرمى اليه ، وهو تنكر الأخ وميله مع النعماء حيث مالت . ويتضح من كلمة (تطوى) أن الحقد قد بلغ من ذلك الأخ - الذى تحدث عنه الشاعر - مبلغا عظيما ، وتدل أيضا على الاحاطة والتمكن القوى الصلب كصلابة الأضلاع المضمومة على الغل والحقد ، الذى يخفيه بانفراج الأسارير ، فرغم تبسمه فان أضلاعه منطوية على الحقد .

---

(٣٥) ديوانه ٣٧٠/١ ، وانظر نفس المعنى فى ٥٥/٤-٥٦ .

ثم يعـود للمقابلة مرة أخرى فى البيـت الثالث ليبين تلـون بل تنكـر ذلـك الأخ ، الـذى يظهر فى شكـل المنـافح والذاب عـن الشـاعر ، فى وقت الـرخاء والعطـاء ، لكنه سـرعان مايتغير فينقلب ، حيـث يصبـح عونا وسندا قويا للمصائب وهى تنثال على الشاعر . وكيف لايصـدر مثل هذا التصرف؟ وهو الذى أجهد نفسه فى احصاء الهفوات التى وقع فيهـا الشاعر أثناء اقبال الدنيا عليه ، حتى يذكرها بل ويعددها وقت الضراء .

لذا يرى الشاعر أن من هذه أخلاقه وذلك سلوكه ، يجب الابتعاد عنه حيث ان الدهر على مايحفل به من مصاعب ، أرأف من ذلك الأخ ، يقول : (الـدهر ألين منه لى كنفا) ينعت الشاعر الدهر فى هذه العبـارة بالليونة ، ثم يقول : (لو كان يتركنى مع الدهر) فهذه العبارة مليئـة بشحنة عاطفية ، فيها صرخة ، تصور ضيقه بتصرفات صديقه . ولقد تكرر هذا المعنى نفسه فى كثير من الأشعار فى تلك الفترة .

ومما أثار انتبـاه الشـريف المرتضـى ، سـرعة تنكـر الاخوة ، فبينمـا يتظاهرون بالوفاء ، نجدهم يتخلون عن ذلك الوفاء فى سرعة مذهلة ، يقول:

وأخ بدا منه القبيح عقيب ما
فعل الجميل فضاع منه جميله
شفع الزيارة هجره وبعاده
وتلا الوصال صدوده وعدوله
ماان يروعك قصده مستشعرا
نسج الدجى حتى يروع قفوله
متلون اعطـاؤه حرمانـه
متقلب ممنوعه مبذولـه[(٣٦)]

---

(٣٦) ديوانه ٢٦/٣

تدور هـذه الأبيات على الأخ المتلـون ، لذلك اتسمـت بالمبـالغة لكثرة المتناقضات فيها ، كجعله الحرمان هو عطاءه ، والمبذول هو منعه .

لقـد استهـل الشـاعر أبيـاته بكلمـة (أخ) ليشعـرنا بالمأسـاة مـن جراء مايفعله الأخ الذى يصنع الجميـل مـردفا بفعـل القبيـح ، دون أدنى تورع ، يقـول : (بدا منـه القبيح عقيـب مافعل الجميل) ، فبـدا ، تدل على الظهـور والـوضوح والتصغير فى عقيـب ، يدل على أن ذلك حدث فى وقـت قصير . وهذا النوع من التناقض ينفى عن الفعل مصداقيته ممـا دفع بالشاعر الى أن يتبـع الزيارة التى رمز بها الى الألفـة والمحبة ـ بالهجـر والبعاد ـ ففى الهجر ماينبىء عن شدة ألم ذلك البعـد ، كمـا يتبع الوصال ـ بما يعنيـه مـن تلاحم وقربى ـ بالصدود والعدول .

غير أن الشـىء المريع الـذى أقـض مضجـع الشـاعر هـو استجلاؤه لما يرمـى اليه ذلك الأخ ، وأن مـاهو مقدم عليه شر مستطير وأمـر عظيم مفجع رمز اليه بـ(مستشعرا نسج الدجى) وبقدر ثقل وطأة خبر اقـدامه على الشر ، يستقبل الشاعر ـ وهو لم يكد يفيق منها ـ خبر رجوعه وتخليه عن ذلك الشر فى وقـت قصير ، يصيب متلقيه بالذهول . وهذا مادعـى الشاعر للحكم عليه بالتلون وعدم الوفاء .

وقـد عبر عـن ذلـك التلون بمقـابلة فيهـا مـن اليـأس وعـدم الاكتراث بمواعيـده الشـىء الكثير ، حيـث قـابل بين (اعطاؤه وحرمـانه وبين ممنـوعه ومبذوله) .

لقد بعث هذا التلون من قبل مثل هذا الأخ ، الحيرة والشـك فى نفس البحترى ، فقال :

وأخ رابنى فأضربت عنه

أى اخوانك الذى لايريب؟

ورأيت الصديق يختان فى الود

كما اختان فى الصفاء الحبيب(٣٧)

رغم وضوح القلق النفسى لدى الشاعر الا أنه كان صارما فى اتخاذه قرار الابتعاد عن ذلك الأخ المريب ، وفى نفس الوقت يعزى نفسه ، بقوله : (أى اخوانك الذى لايريب؟) ففى هذا التساؤل ، يشعرنا أنه ليس هو الوحيد الذى تملكه الشك . ويؤكد لنا خيانة الصديق ، بقوله : (ورأيت الصديق يختان فى الود) .

وبما أن خيانة الحبيب أصبحت من الشهرة فى الشعر ، بحيث جرت على لسان الشعراء جميعا، فان خيانة الصديق بلغت من الانتشار والشيوع ، بحيث ماثلت خيانة الحبيب .

ويتحدث أبو فراس عن تنكر أصحابه وتخليهم عنه ، فى وقت هو فى أمس الحاجة اليهم ، فقال :

تناسانى الأصحاب الا عصيبة

ستلحق بالأخرى غدا وتحول

ومن ذا الذى يبقى على العهد؟انهم

وان كثرت دعواهم لقليل

أقلب طرفى لاأرى غير صاحب

يميل مع النعماء حيث تميل

وصرنا نرى أن المتارك محسن

وأن صديقا لايضر خليل(٣٨)

---

(٣٧) ديوانه ٣٥٥/١-٣٥٦ ، ٢٧٧/١-٢٧٨ .

(٣٨) ديوانه ص١٣٦ .

يمر الشاعر بأزمة نفسية حادة سيما وأنه مثقل الفؤاد ، يعانى من الجراح بفعل خوضه للحروب ، غير أن الجراح الداخلية أعمق غورا وأشد أثرا عليه .

وبنفس يملؤها الحزن والاحباط على ماقدمت من أعمال جليلة ، يقول (تناسانى الأصحاب ...) فالنسيان فيه اشارة الى أنهم لايرون فيما قدمه من تضحيات مايستحق الاشادة به ، أو أنهم يتجاهلون هذه المواقف منه . ثم يستثنى فئة قليلة منهم ، لايعول عليها ، لازالت تذكره ، رغم أنها فى طريقها للحاق بركب الأصحاب ، ففى تصغيره للمستثنى (عصيبة) دلالة على التقليل من عدد تلك الفئة المستثناه ولتشاؤمه وسوء ظنه بالصداقة والأصدقاء ، توقع أنهم فى المستقبل القريب سوف ينضمون الى سابقيهم ، مشيرا الى ذلك بالسين فى كلمة (ستلحق) فاقتران السين بـ(تلحق) فيه دلالة على قرب مسارعتهم فى اللحاق بهم ، والتى أكدها بكلمة (غدا) وفى هذا المسلك تحول أى تلون وتبدل .

ويبدو أن اعراض الأصحاب عنه وتلون معاملتهم له ، جعله يفقد الثقة فى الجميع ، لذا طرح هذا التساؤل : (ومن ذا الذى يبقى على العهد؟) .

ثم يؤكد ماذهب اليه من عدم وفاء الأصحاب بـ(ان) حيث يقول : (انهم وان كثرت دعواهم لقليل) .

لقد استطاع الشاعر أن يشد انتباه القارىء ليشاركه مشاعره ، عندما قال :

أقلب طرفى لاأرى غير صاحب

يميل مع النعماء حيث تميل

ففى هذا البيت اشارة واضحة الى أن الشاعر يجلس وحيدا ، لاأنيس ولاجليس غير نظراته المتتابعة المتأملة المشوبة بالحزن ـ فهى كالكتاب المليء بالأتراح ، تقلب صفحاته واحدة تلو الأخرى ـ يستقرىء من خلالها

الروابط والعلاقات والخبرات الاجتماعية ، التى استفاد من تجاربها ، أن الأصحاب لايلتزمون ولايحرصون على الوفاء بحق الصداقة .

وبعد ذلك التأمل الممض ، تغيرت نظرة الشاعر وتبدلت ، فقال :

وصرنا نرى أن المتارك محسن

وأن صديقا لايضر خليل

قام الشاعر فى هذا البيت بتغيير الضمير من المتكلم المفرد الى الجمع ، ويبدو أنه لجأ الى هذا العدول لأن هذه الظاهرة أصبحت من العموم بحيث لاتقتصر على الشاعر وحده . فهو يرى أن من ابتعد أحسن صنعا لأنه كشف عن زيفه ، ثم يؤكد أن الصديق الذى لايلحقك ضرره هو الصديق الحق فى هذا الزمان .

وأخيرا يشكو ابن العميد من تنكر صديقه ، وتخليه عنه بمجرد أن أقبلت عليه الدنيا ، متناسيا اخلاصه له ، فيقول :

وصاحبا[٣٩] كنت مغبوطا بصحبته

دهرا فغادرنى فردا بلاسكن

هبت له ريح اقبال فطار بها

نحو السرور وألجأنى الى الحزن

نأى بجانبه عنى وصيرنى

من الأسى ودواعى الشوق فى قرن

وباع صفو وداد كنت أقصره

عليه مجتهدا فى السر والعلن[٤٠]

---

(٣٩) صاحبا : منصوبة على العطف .

(٤٠) اليتيمة ١٧٢/٣ .

على غير ماألفناه فى النصوص السابقة التي تحدثت عن التنكر ، يتحدث ابن العميد ، عن تنكر وتخلى الصاحب ، نظرا لاقبال الدنيا عليه ، التى أنسته الأيام الخوالى التى نعم فيها بدفء الصداقة ، مع من يأنف اليوم الاتصال به.

ويظهر من خلال تعبير الشاعر عن شكواه من صاحبه الذى يقول فيه (وصاحبا كنت مغبوطا بصحبته دهرا) أنه قبل أن يتضح له ماتنطوى عليه نفس صاحبه ، كان محسودا على مرافقته اياه فترة طويلة ، يظهر ذلك من كلمة (دهرا) . ثم يصور حاله بعد تخلى صديقه عنه ، بقوله : (فغادرنى فردا بلاسكن) فالمغادرة تعنى البعد والنأى والصرم ، فقد كان لها أثرها السىء على نفس الشاعر الذى أضحى وحيدا "بلاسكن" أى بلاأنيس ولاجليس .

أما اقبال الدنيا على الصاحب ، فقد وصفها الشاعر ، بهبوب الريح ، تمهيد لتشبيه بعده عنه بالطيران مع الريح ، والتحليق به فى أجواء السعادة .

وفى المقابل كان لذلك الاقبال انعكاسه على الشاعر ، فقد عبر عنه ، بقوله : (وألجأنى الى الحزن) فهذه العبارة توضح ارغام الشاعر على الاكتئاب والحزن .

ونلمح أيضا من تعبير الشاعر أنه لم يعد يستطيع أن يدنو من صاحبه لأنه لايقوى على مجاراته فى حياته الجديدة المترفة .

ثم يفصح عن تألمه ، لما آلت اليه حاله فيقول : (نأى بجانبه عنى) فالنأى ينطوى على معنى البعد والجحود ، ولكنه بعد فيه اهمال ونأى منه . وهذا البعد والجحود كان السبب فى ضيق الشاعر وحنقه . لذلك رمز الى تنكر صاحبه بقوله : (وباع صفو وداد ...) فالبيع فيه اشارة الى عزم الصاحب على صرم الشاعر دون تردد .

وفى عبارة يشتم من خلالها وجد الشاعر ، يقول : (كنت أقصره عليه مجتهدا ...) كأنى بالشاعر يريد أن يقول : ياضيعة صنيعى واخلاصى الذى ذهب أدراج الرياح .

اللئام [٤١]:

"من علامات اللئيم المخادع أن يكون حسن القول ، سيء الفعل ، بعيد الغضب ، قريب الحسد ، حمولا للفحش ، مجازيا بالحقد ، متكلفا للجود صغير الخطر ، متوسعا فيما ليس له ، ضيقا فيما يملك"[٤٢].

ويحذرنا أردشير من اللئيم ، فيقول : "احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوسا ، واللئام أصبر أجساما"[٤٣].

يقول المتنبى :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا[٤٤]

لقد بدا الشعر فى العصر العباسى متصديا لهذه الظاهرة ، التى لم تفتأ تبث سمومها بين فئات المجتمع ، ولما تنطوى عليه من أمراض اجتماعية خطيرة ، فهى بمثابة البؤرة التى ينطلق منها كثير من الأمراض الاجتماعية ، بل جلها ، كالنفاق ، والبخل ، والغيبة والنميمة ، والكذب ، والغدر ، والوشاية ، والحسد ، والرياء .

وعلى الجملة فاللؤم من الأدواء الاجتماعية التى تنخر فى جسد المجتمع.

ويجمل بنا ونحن نتحدث عن الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى ، أن نبرز موقف الشعر العربى من الضرر الناجم عن هذه الظاهرة .

---

(٤١) اللؤم : ضد العتق والكرم واللئيم الدنىء الأصل الشحيح النفس . اللسان (لأم) . ولؤم الرجل لؤما وملأمة : فهو لئيم . الجمهرة ١١٠٣/٢ .
(٤٢) الأدب الصغير ص٣٣ .
(٤٣) بهجة المجالس وأنس المجالس ٦٢٧/١ .
(٤٤) ديوانه ٢٨٨/١ ، معجز أحمد ٣٨٢/٣ .

فالعسكرى لايؤمل انتظار الخير فى الوقت الذى بدل فيه اللئام بالكرام ، سيما وأنهم يعتقدون بلوغهم ، منزلة تخولهم الاستعلاء على الكرام فيقول :

لاتأملن الخير فى الزمن الذى
حل اللئام به محل كرام
ومن البلية أن يرانى دونه
من ليس يصلح أن يكون غلامى(٤٥)

ينقل لنا الشاعر مشاعره نحو هذا التحول الخطير ، ومدى ماوصلت اليه غطرسة هؤلاء اللئام من تكبر وعجرفة.

فنفى الشاعر للخير وانقطاعه ، كان نتيجة حتمية لحلول اللئام مكان الكرام ، بمعنى غلبة اللئام وكثرتهم ، بحيث لم يعد هناك خير يرجى فى أولئك اللئام ، ويردف امتناع الخير باحتقارهم له .

وقد يغرق اللئام فى العداء للكرام ، دون رادع أو وازع من ضمير ، ولعل الشريف الرضى لم يغال عندما قال :

بئس التحية بيننا المران(٤٦)
وضراب يوم وقيعة وطعان
بسطوا الى أناملا مغروسة
فى اللؤم لم يعرق لهن(٤٧)عنان(٤٨)

---

(٤٥) ديوانه ص٢١١ ، ص٧٩،١٨٤ .
(٤٦) المران : الرماح الصلبة . اللسان (مرن) .
(٤٧) يعرق : أى لم يعرق لى بهذا السيف عن مودة ، انما أخذته منه غصبا ، وقيل هو القليل من الثواب . شبه بالعرق . اللسان (عرق) .
والعنان : المعانة : المعارضة . اللسان (عنن) .
(٤٨) ديوانه ٢/٥٥٨ .

جعل الشاعر التحية المتبادلة بينه وبين اللئام الرماح ، مدللا بذلك على العداء المحتدم بينهم ، اذ قال : (بئس التحية بيننا المران) نلحظ من هذه العبارة أن الشاعر لم يكن راضيا عن ذلك . غير أن معاملتهم اللئيمة التى لاكرم فيها ولاوفاء ، لم تكن ترق للشاعر .

فقد عبر عن اغراقهم فيها بقوله : (بسطوا) معبرا عن شدة لؤمهم ، وتعمقهم فيه ، بقوله : (أنا ملامغروسة فى اللؤم) حيث يشتم منها مايخفيه اللئام من حقد دفين ، وفى هذا اشارة الى تملقهم .

ومن سنة الحياة تبدل الأحوال ، وعدم الثبات على وتيرة واحدة فى شتى مناحى الحياة ، وفى هذا الاطار ، نجد الشعر يسجل لنا انقراض الكرام وحلول اللئام مكانهم ، يقول ابن أبى فنن فى ذلك :

ذهب الزمان برهط حسان الأولى
كانت مناقبهم حديث الغابر
وبقيت فى خلف تحل ضيوفهم
فيهم بمنزلة اللئيم الغادر
سود الوجوه لئيمة أحسابهم
فطس الأنوف من الطراز الآخر(٤٩)

بدأ الشاعر أبياته بالحديث عن الزمن الماضى ، حيث قال : (ذهب الزمان ، ... ، كانت مناقبهم) ليدلل على انسدال الستار على الكرام الذين ولوا مع السنين الخوالى ، ثم يصور واقعه الذى يعيشه بقوله : (وبقيت) حيث وجد نفسه بين أقوام لئام ، لايقرون الضيف ، ولايحفظون الود . ويبدو أن هذا هو مادعا الشاعر الى هجائهم فى البيت الثالث .

---

(٤٩) شعراء عباسيون ص١٥٣ .

وقد سبق الشاعر الى معناه الذى طرقه فى البيت الثانى ، من قبل لبيد[٥٠]. كما عيب عليه عكسه لمعنى بيت حسان بن ثابت[٥١]، فى البيت الثالث ، حيث عكس المدح الى ذم ، غير أنى لاأرى فيه عيبا ، فالشاعر هنا يهجو وحسان يمدح .

ويوجه الشعر اللوم على الدهر الذى كان قاسيا على الكرام ، وعطوفا على اللئام ، يقول عبيد الله الميكالى فى ذلك :

يادهر ماأقساك يادهر
لم يحظ فيك بطائل حر
أما اللئام فأنت صاحبهم
ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا
يرتاع منه لحادث صدر
تصفو له الدنيا بلا كدر
ويطيعه فى عيشه اليسر
فمرامه سهل وكوكبه
سعد وغصن سروره نضر
وعلى الكريم يد يسلطها
منك الجفاء المر والقسر
ان ناب خطب فهو عرضته
يفريه منه الناب والظفر

---

(٥٠) أخذ الشاعر المعنى من قول لبيد .
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
انظر ديوانه ص١٥٣ .

(٥١) البيت : انظر المنصف لابن وكيع ص٣١ .
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
هذا البيت من قصيدة يمدح بها حسان عمرو بن الحارث . انظر ديوانه ص٣٦٦ .

أو يبغ معروفا لديك غدا
ينحى عليه حادث نكر
مرعاه جدب والحظوظ له
حرب وجانب عيشه وعر
وجناه شوك والبحور له
وشل وحشو فؤاده جمر
يادهر دع ظلم الكرام فهم
عقد لنحرك لو درى النحر
سالمهم واستبق ودهم
فهم نجوم ظلامك الزهر(٥٢)

يكرر الشاعر نداءه للدهر ، مبديا تذمره ، وضيقه به ، لرعايته وكلاءته للؤماء الذين أضحوا بفضل رعايته لهم ، يرفلون فى أثواب السعادة ورغد العيش وسعة ذات اليد ، وتنكره للكرام وقسوته وجفائه لهم .

لقد أضفت صياغة الشاعر لمعناه رونقا جذابا ، أثار به مايعتمل فى النفوس ، تجاه الحياة المتقلبة ، والنزعات الاجتماعية المختلفة .

ففى تعبيره عن اللئام ، وضح صداقة الدهر لهم ، من خلال قوله : (أما اللئام فأنت صاحبهم) . لذا فهم يعيشون حياتهم بالطول والعرض ، دون أن يكدر صفوها مكدر ، حيث يقول :

يبقى اللئيم مدى الحياة فلا
يرتاع منه لحادث صدر

فمطالبه مجابة ، والطريق اليها جد سهل ، لأن قيم المجتمع قد تبدلت وتغيرت حتى سمحت بسيادة السفلة واللئام ، يقول : (فمرامه سهل وكوكبه سعد) .

---

(٥٢) ديوانه ص١٠١ .

أمـا حديثه عن الكرام ، فيتضـح منه مدى عداء الـدهر وتنكره لهم ، فقـد استعـار للدهر يدا معبرا بذلـك عـن بطش الدهر بهم ، يقـول : (وعلى الكـريم يد ...) واذا مـاوقعـت مصيبـة كان الكرام هـم ضحيتهـا ، مصـورا حالهم ، بحال الفريسة ، وقد مزقتها أنياب وأظافر السباع والطيور الجارحة ، فى قوله : (يفريه منه الناب والظفر) .

ثم عبر الشاعر عن قلة مافى اليد ، وشظف العيش ، ومعـاندة الحظ له فى أسلوب جميل راق ، اذ يقول :

مرعاه جدب والحظوظ له

حرب وجانب عيشه وعر

ورغم ذلك لم يأل جهدا ، ولم تلن قناته ، بل أخذ يكدح ويكافح من أجل حفظ ماء الوجه ، لكن دون جدوى ، يقول :

وجناه شوك والبحور له

وشل وحشو فؤاده جمر

وأخيرا أخذ الشاعر ينادى الدهر ، وكأنه يعقل ويسمع ، ويدعوه الى الاقلاع عـن ظلم الكـرام ، الـذين يمثلـون الوجه المضـىء للحيـاة ، يقـول :

يادهر دع ظلم الكرام فهم

عقد لنحرك لو درى النحر

سالمهم واستبق ودهـم

فهم نجوم ظلامك الزهر

وممـا يثير حفيظة الشعراء ، رؤيتهـم للؤماء وهـم يتنعمون ويتلذذون برغد العيش ، فى حين حرم الكرام منه ، يقول : صردر فى مثل هذا المعنى :

أرى الأموال فى اللؤماء تثوى

وتجتنب الكرام من الرجال

كذاك الدر فى ملح أجاج

وليس يكون فى عذب زلال(٥٣)

فتنعم اللؤماء بالمال وحرمان الكرام منه ، كان له الأثر الكبير على نفسية الشاعر القلقة الحزينة ، اذ يقول : (أرى الأموال فى اللؤماء تثوى) ، لقد خلع صفة البشرية على المال ، حيث أن الثواء ، يفيد النزول والمكوث طويلا . بمعنى أن المال يسير فى أيديهم بشكل دائم ومستمر ، وفى المقابل لانجد مثل ذلك بحوزة الكرام .

ويعزى الشاعر نفسه فى البيت الثانى ، حيث جعل الكرام كالماء العذب القراح ، الذى ينعدم فيه اللؤلؤ والمحار ، بينما وصم اللؤماء ، بماء البحر المالح ، الغنى بالأصداف واللآلىء .

لقد كانت المقابلة هى السمة البارزة فى صياغة هذين البيتين .

ونظرا لما يتصف به اللئيم من خصال سيئة ، فقد أصبح من الفئات التى يندر ، بل ينعدم الثناء عليها ، ففى عدم الثناء عليه يقول المعرى :

يعرى اللئيم من الثناء ويكتسى

حلل النواسج فهو كاس عار

والدهر لم يشعر بما هو كائن

فيه فكيف يذم فى الأشعار؟(٥٤)

عبر الشاعر عن انتفاء الثناء على اللئيم ، بقوله : (يعرى) ويعبر عن افتضاح أمره وانكشاف مايخفيه فى أعماقه بقوله : (فهو كاس عار) وهو وان حاول التظاهر بمظهر مزيف ، فلن يفلح فى ذلك . وفى نفس الوقت يشير الى

---

(٥٣) ديوانه ص٢١٠ .

(٥٤) اللزوميات ٩٩٧/٢ ، ص٥٣١ .

عدم ضلوع الدهر فيما يقترفه اللئيم من أعمال مشينة ، لعدم قدرته على الاحساس بما يجرى فيه من تجاوزات ، من قبل اللئام ، فهو برىء منها ، براءة الذئب من دم يوسف - عليه السلام - وهذا يذكرنا بقول الامام الشافعى [(٥٥)]:

نعيب زماننا والعيب فينا

ومالزماننا عيب سوانا

لذلك نجد الشاعر يتساءل عن الاسراف فى ذم الزمن ، يقول : (كيف يذم فى الأشعار؟) وقد امتد نقد اللؤماء واستهاجنهم الى أولئك الذين يمجدونهم ويرفعون من مكانتهم ، يقول ابن الرومى فى ذلك :

لولا عبيد الله قلـ

ـت ولم أخف رهق الجناح [(٥٦)]

يامادح القوم اللئا

م وطالبا نيل الشحاح

ماأنت فى زمن المديـ

ـح ولاالهجاء ولاالسماح

حدثت أكف ليس ينـ

ـبط ماءها الا المساحى

---

(٥٥) شعره ص٣٢١ .

(٥٦) الرهق : محركة : السفه والنوك والخفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم . القاموس (رهقه) .
والجناح بالضم : الميل الى الاثم ، وقيل هو الاثم عامة .. والجناح : الجناية الجرم . اللسان (جنح) .

وجلود قوم ليس تأ
لم غير أطراف الرماح
ماشئت من مال حمى
يأوى الى عرض مباح
فاشغل قريضك بالنسيـ
ـب وبالفكاهة والمزاح(٥٧)

بدأ الشاعر أبياته بـ(لولا) وكأن دماثة خلقه ، المتمثلة فى اجلاله لعبيد الله منعته من افشاء مايضمره من سر دفين ، حتى لو كلفه ذلك الشىء الكثير من ركوب الشر ، بل الاثم عامة .

ولعل سمات اللئام التى تعرفنا عليها من خلال النصوص التى بين أيدينا مجتمعة ، هى التى حدت بالشاعر الى الدعوة لترك مدح اللئام ، والانصراف الى كل مايدعو الى المرح فى خضم تلك الحياة المتقلبة ، والبعد عن كل مايكدر صفو العيش ، طالما أن الزمن لايحتمل المديح ولاالهجاء ولاالسماح .

وعبر الشاعر عن بذل الشحاح غير المألوف ، بل المستبعد فى أسلوب استعارى ، بقوله :

حدثت أكف ليس ينـ
ـبط ماءها الا المساحى

كما تحدث عن تبلد احساسهم وعدم حفاظهم على المثل والقيم وبذلهم أعراضهم ، فقال :

وجلود قوم ليس تأ
لم غير أطراف الرماح

---

(٥٧) ديوانه ٥١٥/٢ .

ماشئت من مال حمى

يأوى الى عرض مباح(٥٨)

وقد أخذ على الشاعر فى صياغته للبيت السادس (عكسه مايصير بالعكس هجاء ، بعد أن كان ثناء)(٥٩)، غير أن المقام هنا مقام ذم ، ولاضير فى ذلك فيما أرى . لقد وصمهم بالعار لحمايتهم المال .

فاهتمام اللئام بالمال ، يجنى عليهم أكثر مما يلاقونه من العوز ، يقول المتنبى :

يجنى الغنى للئام لو عقلوا

ماليس يجنى عليهم العدم

هم لأموالهم وليس لهم

والعار يبقى والجرح يلتئم(٦٠)

علق أبو العلاء المعرى على هذين البيتين ، فقال : "يجلب الغنى على اللئيم ، مالايجلب عليه الفقر ، لأن اللئيم اذا صار غنيا يبخل فيذم ، واذا كان فقيرا لم يذمه أحد . وأن اللئام خدم أموالهم ، وعبيدها ، حتى أوقعوا أنفسهم فى الهلاك بسببها ، وليست الأموال لهم ، لأنهم لاينتفعون بها ، ولايكسبون بها حمدا ولاأجرا ، ثم قال : (والعار يبقى والجرح يلتئم) . يعنى أن غناءهم عار عليهم ، يبقى بعدهم . والجرح يلتئم : أى أن الجرح أهون من العار ، لأن الجرح يندمل ويذهب أثره ، والعار يبقى على وجه الدهر"(٦١).

---

(٥٨) هذا البيت عكس لبيت أبى نواس :.

فهو بالمال جواد   وهو بالعرض شحيح

انظر ديوانه ص٣٧٩ .

(٥٩) انظر المنصف لابن وكيع ص٣١ .

(٦٠) ديوانه ٦٠/٤ .

(٦١) معجز أحمد ٣٢٨/١ .

عقد الشاعر مقابلة بين الغنى والفقر ، ليبرز الفارق بينهما ، ومايجره عليهم الغنى لعدم تمتعهم بعقول ترشدهم الى سبل الخير ، فانتفاء الادراك والتمييز عنهم ، جعلهم خدما لأموالهم ، التى يفوق ضررها وايلامها ، ضرر وألم الجرح ، لأن الجرح يندمل فى يوم من الأيام ، على عكس مايحدثه المال من ضرر ، يبقى وصمة عار مدى الدهر ، يقول : (والعار يبقى والجرح يلتئم) .

لم يخل اللؤماء من التدليس والنفاق ، فقد تحدث عنه مهيار الديلمى فقال :

وملثمين(٦٢)على النفاق بأوجه
صم يصيح اللؤم من قسماتها
صبغوا الوفاء بياضه بسواده
والمكرمات هبوبها بسباتها
متراهنين(٦٣)على الدنية أحرزوا
غاياتها وتناهبوا حلباتها
ورثت نفوسهم خبائث أصلها
لؤما وزادت دقة من ذاتها(٦٤)

يظهر استهجان الشاعر بهؤلاء اللؤماء من خلال قوله (وملثمين) فاللثام هو ماتخفى المرأة خلفه فاها ، فوصفهم به فيه انتقاص من مكانتهم ، ثم أنهم مهما حاولوا اخفاء نفاقهم خلف الأقنعة والستر الزائفة ، فلن يفلحوا ، لأنه يظهر من قسمات وجوههم التى تدل على مايعتمل فى جوانحها.

---

(٦٢) اللثام : رد المرأة قناعها على أنفها ، ورد الرجل عمامته على أنفسه . اللسان (لثم)
(٦٣) متراهنين : الرهان والمراهنة : المخاطرة . القاموس (رهن) .
(٦٤) ديوانه ١/١٦٢-١٦٣ .

ويظهر تأصل اللؤم فيهم من خلال قوله : (وملثمين على النفاق) وعن شدة لؤمهم بقوله : (بأوجه صم يصيح اللؤم ...) .

أما تخليهم عن الوفاء والكرم واغراقهم فى اللؤم والبخل ، فقد عبر عنه فى مقابلة جميلة ، فى قوله :

صبغوا الوفاء بياضه بسواده

والمكرمات هبوبها بسباتها

فالبياض يعنى الظهور والبروز ، فهو رمز لكل عمل محمود ، أما السواد فيعنى الظلمة والمقت ، وفى المقابلة بين الهبوب والسبات ، قصد الشاعر بالهبوب القيام من النوم ، وبالسبات النوم .

اضافة الى مخاطرتهم باقتراف الأعمال المشينة ، وفوزهم بالوصول الى أعلى مراتبها ، يظهر ذلك من قوله : (متراهنين على الدنية أحرزوا غاياتها) .

أما عدم وفاء اللئام وكذبهم وتنكرهم ، فقد تحدث عنه الباخرزى ، فقال :

ألا رب مولى غرنى من عهوده

يمين عليها صافحتنى يمينه

أكابد منه ضد ماأستحقه

فأصدق فى ودى له ويمين هو

عجبت لأخلاق اللئام كأنهم

عن الكرم المعجون فى شيمى نهوا(٦٥)

بدأ الشاعر أبياته بالتنبيه الى قلة نظير هذا المولى اللئيم الذى يندر من يماثله ، فى اللؤم والخداع ، فقد لقى منه الشاعر عنتا وأى عنت فقد عبر عنه بقوله : (أكابد منه ضد ماأستحقه) .

---

(٦٥) ديوانه ص٢١٠ .

فالمكابدة تغلب عليها صفة المشقة .

فالشاعر كان يتأمل مجازاته بما يتفق ومايسديه من خدمة ، وصدق فى المودة والاخلاص ، فى مقابل مراوغة وكذب اللئيم .

فتلك الأخلاق جعلت الشاعر يبدى عجبه من اتصاف اللؤماء بها ، نظرا لما تنطوى عليه من دناءة ، والبعد عن الكرم والسمو ، وهى الخصال التى جبل عليها الشاعر ، وقد عبر عن تأصلها فيه بقوله : (.. عن الكرم المعجون فى شيمى نهوا) .

وبالقاء نظرة سريعة على هذه الأبيات ، نلحظ أن الشاعر قد وفق فى صياغته لهذه الأبيات ، المتمثل فى الجناس فى قوله : (يمين ، يمينه ، يمين هو نهوا) فالأولى تفيد القسم ، والأخرى تفيد اليد اليمنى ، والثالثة تفيد الكذب ، والرابعة تفيد النهى . وكذا المقابلة فى البيت الثانى ، التى لعبت دورا كبيرا فى ابراز المعنى وتجليته ، وأخيرا نجد التشبيه والمجاز فى البيت الأخير .

أما دعبل الخزاعى فيطلب ممن وقع فى مؤاخاة الذين لايخصلون فى ودهم ، أن يسرع فى الابتعاد عنهم ، يقول :

واذا آخيت من تقذى به
فاطلب الراحة منه والدعه
مذق يلقى أخاه بالرضى
واذا ماغاب عنه سبعه(٦٦)

جعل الشاعر من بعض المخالين قذى تتأذى به العين حين تراه ، يقول (اذا آخيت من تقذى به) . وهذا ماجعل الشاعر يأمر بالابتعاد عن ذلك

---

(٦٦) شعره ص١٨٨ .

الخليط المفسد ، حيث أنه يتظاهر بموافقة خليطه فى ماذهب اليه ، غير أنه سرعان مايتبدل موقفه ـ فى حال غيبة صديقه ـ فيكون أول من يمزقه أشلاء وقد عبر عن ذلك فى مقابلة تنم عن لؤم ذلك الخليط .

ويعد أبو بكر محمد الخالدى ، تلون الاخوة لؤما ، لصدوره منهم بعد ود واخلاص ، فيقول :

وأخ جفا ظلما ومل وطالما
فقنا الأنام مودة ونداما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر
للدهر أن جعل الكرام لئاما
فالخمر وهى الراح ربتما غدت
خلا وكانت قبل ذاك مداما(٦٧)

لم يبعد الشاعر فى شكواه من الاخوان عما ذهب اليه شعراء عصره ، لكنه عد جفاء الاخوة على كثرتهم ظلما وتنكرا لما كان يصل بينهما من مودة واخاء يضرب به المثل .

ويلاحظ أن نغمة الشاعر هنا تختلف عن كثير من الشعراء ، لأنه استسلم لهذا التنكر من صديقه ، حتى أصبح شيئا عاديا فى أيامه .

لذا فقد وطن نفسه على تقبل ذلك.

ونتيجة لذلك الملل ، يقول الشاعر (فسلوت عنه) تشير هذه العبارة الى أن مارآه الشاعر من أخيه ، كفل له نسيانه ، الذى لايرى فيه غضاضة . ويقول : (وقلت ليس بمنكر للدهر أن جعل الكرام لئاما) ، ينفى الشاعر فى هذه الجملة أن يكون ذلك منكرا ومستغربا على الدهر ، وهو الذى يحول الكرام الى لئام .

---

(٦٧) ديوان الخالديين ٩٣/١ ، ٦٥/١ .

ولكى يوضح صدق ماذهب اليه ، ضرب مثلا محسوسا ، حيث أشار الى أن الخمر الصافية قد تصير خلا .

لعل الشاعر وهو يعقد هذه المقارنة بين الاخوة ، وهم يتنكرون للصداقة ، وبين الخمر الصافية المعتقة وفسادها اذا طال بها الأمد ، يريد بهذه المقارنة أن يوضح مايؤمن به فى قرارة نفسه .

النفاق (٦٨) :

النفاق هو اظهار خلاف الباطن ، فالمنافق يتظاهر بالتودد والمحبة ، بل الايثار أحيانا ، وفى نفس الوقت يخفى السم الزعاف .

ويجمل بنا أن نشير الى أن هذه الظاهرة لم تكن وليدة العصر العباسى بل وجدت منذ القدم . وقد تنبه العرب لهذه الظاهرة فأنكروها ، لذا فهم يكرهون النفاق ويحذرون منه (٦٩)، حتى جاء القرآن الكريم ، ففضح المنافقين وكشف أساليبهم وعرى تصرفاتهم ، يقول عز من قائل : {اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون}(٧٠).

---

(٦٨) نفق : نفق الفرس والدابة وسائر البهائم ينفق نفوقا : مات . ونفق البيع نفاقا : راج . والنفاق بالكسر : جمع النفقة من الدراهم . وقيل فعل المنافق . وقيل انما سمى منافقا لأنه نافق كاليربوع ، وهو دخوله نافقاءه . والنفاق : الدخول فى الاسلام من وجه والخروج عنه من آخر . انظر اللسان (نفق) .

(٦٩) يقول سويد بن الصامت فى المنافق :

ألارب من تدعو صديقا ولو ترى
مقالته بالغيب ساءك مايفرى
مقالته كالشهد ماكان شاهدا
وبالغيب مأثور على ثغره النحر
تبين لك العينان ماهو كاتم
من الشر بالبغضاء والنظر الشزر
تسرك باديه وتحت أديمه
تميمة غش تبترى عقب الظهر
فرشنى بخير طالما قد بريتنى
وخير الموالى من يريش ولايبرى

انظر بهجة المجالس ١/٦٨٤ .

(٧٠) سورة المنافقون : آية ١

ولم تغفل السنة المطهرة هذه الظاهرة ، فقد تحدثت عنها فى عدة مواضع ، يقول أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يكون فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب..."(٧١)الحديث . أخرجه الترمذى .

كان الناس يكثرون الشكوى من المنافقين الذين يظهرون التودد ومحاولة التقرب وهم ـ فى نفس الوقت ـ يضمرون الحقد . وكان من حق الصداقة المنافحة عن الصديق فى غيبته كحضوره ، يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : "لايكون الصديق صديقا حتى يحفظ صديقه فى غيبته وبعد وفاته"(٧٢).

واذا كان الشعر العربى قد تصدى لهذه الظاهرة على مر العصور ، فان تصدى الشعر العربى فى العصر العباسى ، لهذه الظاهرة جعل منها غرضا من الأغراض الشعرية .

لذا يجمل بنا أن نقف على بعض نصوص الشعر العباسى ، التى تحدثت عن هذه الظاهرة وتصديها لها ، لما تنطوى عليه هذه الظاهرة ، ومايترتب عليها من أمور ، تهدم ولاتبنى ، وتفرق ولاتجمع ، حيث أن الشعر كان مرآة معبرة عن المجتمع فى العصر العباسى فى الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها ، حيث تتجلى معرفة الشعراء الجيدة بمجتمعهم ، بحكم علاقاتهم الاجتماعية مع فئات المجتمع المختلفة ، ومعرفتهم بسلوك الناس ، الذين استشرى فيهم النفاق .

المنافق دائما جميل القول قبيح الفعل ، لذا فهو يتظاهر بالنبل ويخفى خلاف ذلك ، يقول على بن الجهم فى تلك الصفة :

---

(٧١) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ٥٤٤/٤ .
(٧٢) بهجة المجالس ٦٨٤/١ .

ماشئت من رجل نبيل
يأوى الى عرض دخيل
يأتى الجميل بقوله
وفعاله غير الجميل(٧٣)

اذا تخلى من يدعى النبل عن نبله ، فماذا يرجى منه؟بعد أن فقد مصداقيته بسبب التباين الواضح بين مايظهر منه خلال حديثه ، وبين مايعمله فعلا .

ويظهر من صياغة البيتين خلوهما ، مما يدرجهما فى مصاف الشعر الجيد ، رغم الزينة اللفظية التى وشاهما بها .

ويتحدث البحترى عن تصنع المنافق للمودة والوفاء ، فيقول :

كم من أخ لك لست تنكره
مادمت من دنياك فى يسر
متصنع لك فى مودته
يلقاك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء وذا الوفاء ويل
حى(٧٤)**الغدر مجتهدا وذا الغدر**
فاذا عدا والدهر ذو غير
دهر عليك عدا مع الدهر(٧٥)

---

(٧٣) ديوانه ص٢٥٦ .

(٧٤) لحا الشجرة يلحوها لحوا : قشرها .. وفى الحديث : "فاذا فعلتم ذلك ، سلط الله عليكم شرار خلقه ، فالتحوكم ، كما يلتحى القضيب ، هو من لحوت الشجرة ، اذا أخذت لحاءها وهو قشرها . ولحا الرجل يلحاه لحيا : لامه وشتمه وعنفه . اللسان (لحا) .

(٧٥) ديوانه ١١٠٢/٢ ، وانظر نفس المصدر ٣٨٦/١،٤٦٤ .

عبر الشاعر عن كثرة اخوان المخاطب ، بكم الخبرية ، فى مستهل أبياته (كم من أخ) وفى نفس الوقت ينفى ظهور مايبعث الشك منهم ، طالما أن المخاطب يرفل فى أثواب السعادة . غير أنه عمد الى المقابلة لكى يوضح عدم وفاء أولئك الاخوان على كثرتهم ، ولما فيها من كشف لتباين سلوك من يدعون الاخوة والصداقة فى الظاهر وفى الباطن .

فالثناء والمدح كل المدح للوفاء وأصحابه ، يقابل الجد والسعى وراء الغدر والغدارين ، يقول :

يطرى الوفاء ، وذا الوفاء ويل

ـحى الغدر مجتهدا وذا الغدر

ونستشف من قول الشاعر (ويلحى الغدر) جد الأخ المنافق فى الغدر وتأصله فى نفسه حيث يكلفها المشاق من أجل الايذاء والنيل من أخيه ، ليصبح أثر ذلك الغدر مضارعا لأثر قشر اللحاء عن جذع الشجرة .

أما تربصه وترقبه لعوادى الزمن وهى تنقض على المخاطب ، فقد عبر عنها الشاعر فى البيت الأخير فى أسلوب تلاعب فيه بالألفاظ ، حيث يفهم من العدو شدة الحرص على النيل من صديقه ، كما تدل كلمة (عدا) على أن من يدعى أنه صديق حميم ، هو فى الواقع عدو مبين .

لم يقتصر النفاق على الأصدقاء الأبعدين فى النسب ، بل نجده فى الأقربين أيضا ، فهذا الشريف الرضى ، يعزو نفاق الأقارب الى ماورثوه من أجدادهم من احن ، فيقول :

وأقارب جعلوا العقوق سجية

يتوارثون سفاهة عن قعدد

لبسوا لنا زرد النفاق فأصبحوا

فى ذمة الخلق اللئيم الأوغد

وكأنما تلك الضلوع قساوة

تثنى على قطع الصفاء الجلمد(٧٦)

يشكو الشاعر من بعض الأقارب الذين انسلكوا فى مسالك المنافقين . معبرا عن ذلك بالعقوق ، حيث قرن صنيعهم ذلك بعقوق الوالدين ، ومع ذلك يلتمس لهم العذر ، اذ يقول : (يتوارثون سفاهة) فهذه السفاهة جعلتهم يناصبون الشاعر العداء ، ويقفون فى وجهه . لذلك عبر عن عدائهم بأسلوب استعارى يوضح مايضمرونه ويجليه ، يقول : (لبسوا لنا زرد النفاق) . ويؤكد ذلك بجنوحه الى التشبيه لماتنطوى عليه ألفاظه من شدة وقسوة تنبىء عن غلظتهم وحقدهم الدفين .

ومن صفات المنافقين وتزييفهم ، اظهارهم عدم الرضا عمن يتصل بالسلطان ، ثم يغيرون موقفهم بمجرد حصولهم على بعض الدراهم ، يقول ابن المعذل :

عذيرى من أخ قد كان يبدى

على من لابس السلطان عتبه

وكان يذمهم فى كل يوم

يشى بالجهل والهذيان خطبه

فلما أن أتته دريهمات

من السلطان باع بهن ربه(٧٧)

يتحدث ابن المعذل عمن كان يجاهر بعتابه لمن يتصل بالسلطان ، بل ويستمر فى ذمه ، الذى ينم عن جهله وعدم درايته .

---

(٧٦) ديوانه ٣٥٢/١ ، وانظر نفس المصدر ١٣٠/١ .

(٧٧) ديوانه ص٦٤ . وقد سبق الى هذا المعنى من قبل أبى الأسود الدؤلى فى قوله :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

انظر ديوانه ص١٣٠ .

كان الزهاد يذمون من يتصل بالسلطان . وقد تظاهر المهجو بأنه زاهد فأخذ فى ذم من يتصل بالسلطان ، ولكنه حينما نال بعضا من السلطان كف عن ذلك وتنكر لزهده ، ونسى كل شىء حتى خالقه ، يقول : (باع بهن ربه) ، ولعله يريد أن يشير بهذه العبارة الى أثر النفاق .

ومما يروج للنفاق لجوء الساسة لفتح باب النفاق ، لخدمة مصالحهم ، عن طريق بذل الهبات والعطايا ، يقول عبد المحسن الصورى فى مثل ذلك :

نفر من أمية نفر الاسـ

ـلام من بينهم نفور اباق

أنفقوا فى النفاق ماغصبوه

فاستقام النفاق بالانفاق(٧٨)

يظهر مقت الشاعر لظاهرة النفاق من خلال هذين البيتين ، مشيرا الى ماكان يجرى فى بيوتات الخلافة من بذل وهبات ، تشترى بها ذمم الناس .

وتتضح سخرية الشاعر من المنافقين فى البيت الثانى ، حيث يفيد أن ماينفق فى أوجه النفاق من أموال ، هى أموال مغتصبة .

واضح أن الاسلام الحق لايستقيم ، ولايتوافر فى طائفة الا اذا تخلصت من النفاق وأن الاسلام قوى لايمكن أن يتزعزع ، يقول : (نفر الاسلام من بينهم نفور اباق) نستشف من هذه العبارة ، أن نفور الاسلام لاينطوى على ضعف أو خوف ، ولكنه نفور ناتج عن عدم التوافق بين ظاهرة النفاق ومايدعو اليه الاسلام .

لقد أدى تلاعب الشاعر بالألفاظ وتوليده للمعانى دورا بارزا فى الصيغة .

ومن أهم مايلفت النظر فى هذين البيتين هو تكرار الجناس بين عدد من كلمات البيتين سعيا وراء التحسين .

---

(٧٨) ديوانه ٣٠٨/١ .

ويبدو أن ظاهرة النفاق قد تفشت ، وطفى ضررها على السطح ، مما جعل كثيرا من الشعراء يصمون الناس ويتهمون كثيرا منهم بالنفاق ، يقول محمد العطوى فى ذلك :

وانى امتحنت الناس طرا فعفتهم

مودتهم ممزوجة بنفاق

فما وثقت نفسى بهم وتركتهم

ومافيهم مجنى وطيب مذاق(٧٩)

يؤكد الشاعر أنه قد اختبر الناس جميعا ، وكانت محصلة ذلك الامتحان أن تكشفت له حقيقتهم ، فهم جميعا مغروسون فى النفاق ، وهذا ماجعله ينفى ثقته بهم ، كما ينفى فى نفس الوقت مايشفع لهم ، فكلهم لافائدة فيهم ولامذاق لهم .

وتحدث المتنبى عن المنافقين حديث العالم الخبير ، بما يدور فى خلدهم ، فقال :

اذا ماالناس جربهم لبيب

فانى قد أكلتهم وذاقا

فلم أرودهم الا خداعا

ولم أر دينهم الا نفاقا(٨٠)

واضح أن المحور الذى تدور حوله هذه الأبيات هو الناس ، الذين تخلوا عن مبادئهم ـ وقد اتسم أسلوبه فى الحديث عنهم ، بأسلوب الشرط والاستثناء . فالشاعر خبير حصيف بالناس وسلوكهم ، فقد أكد ذلك فى جواب الشرط (فانى قد أكلتهم وذاقا) . يتضح من خلال هذه العبارة اعتماد

---

(٧٩) شعراء بصريون ص٤٢ .

(٨٠) ديوانه ٣٠٣/٢ ، معجز أحمد ١٢٥/٣-١٢٦ .
وانظر كذلك نفس المصدر الديوان ١٤٤/٤ ، معجز أحمد ١٣٨/٤ .
ديوانه ٣٠٣/٢ ، ١٤٤/٤ ، ومعجز أحمد ١٢٥/٣-١٢٦ ، ١٣٨/٤ .

الشاعر على التمثيل الحسى ليكون أدعى للفهم وألصق بالذهن ، فتجربة الشاعر معهم أعمق من تجربة اللبيب ، فاذا كان اللبيب قد ذاق ، فالشاعر قد أكل . فالأكل ليس كالذوق .

واستمرارا لهذه النظرة يشكو ابراهيم الصابى من فساد الناس ، وفقد الوفاء وعدم الاطمئنان للناس جميعا ، فيقول :

أيارب كل الناس أبناء علة
أما تعثر الدنيا لنا بصديق
وجوه بها من مضمر الغل شاهد
ذوات أديم فى النفاق صفيق(٨١)
اذا اعترضوا عند اللقاء فانهم
قذى لعيون أو شجا لحلوق
وان أظهروا برد الودود وظله
أسروا من الشحناء حر حريق
أخو وحدة قد آنستنى كأننى
بها نازل فى معشر ورفيق
فذلك خير للفتى من ثوائه
بمسبعة من صاحب وصديق(٨٢)

بدأ الشاعر أبياته بالتنبيه على خيبة أمله فى الناس الذين لايصدقون ولايثبتون على ودهم ، بل تعمر قلوبهم البغضاء والشحناء تماما كأبناء العلات . وقد عبر عن وقاحتهم بالمقابلة بين مضمر الغل وشاهد وبين أظهروا وأسروا ، ليبين مدى التنافر بين مايخفونه ومايظهرونه .

---

(٨١) وجه صفيق : بين الصفاقة : وقح . القاموس (الصفق) .
(٨٢) معجم الأدباء ٢/٥٧-٥٨ .

كما لجأ الشاعر الى بعض العبارات الحسية ، نظرا لأثرها الكبير فى تشنيع الدور الذى يضطلع به المنافقون مثل : (أبناء علة ، قذى لعيون ، شجا لحلوق ، أسروا الشحناء ، حر حريق ، من ثوائه بمسبعة) .

لقد وفق الشاعر فى اختياره لهذه العبارات التى تجسم فظاعة الدور الذى يلعبه المنافق فى أسلوب حسى .

وأمام تفشى النفاق وانتشاره بين الناس ، ولصعوبة كشفه ، فللمعرى الحق فى أن يسىء الظن بالناس جميعا ، وأن يجعل النفاق طبعا من طباعهم يقول :

فؤادك خفاق وبرقك خافق
وأعياك فى الدنيا خليل موافق
تخير فاما وحدة مثل ميتة
واما جليس فى الحياة منافق
أردت رفيقا كى ينالك رفقه
فدعه اذا لم تأت منه المرافق(٨٣)

اهتم الشاعر فى هذه الأبيات بالزينة اللفظية ممثلة فى التصريع والتصدير والجناس التى كان لها أثرها الملموس على الايقاع الشعرى . بالاضافة الى تكراره (اما) فى البيت الثانى لقصد التخيير ، وقد كررها فى أسلوب تقابلى ، حيث قابل بين وحدة وجليس منافق ، وهما أمران أحلاهما مر ، لاسيما أنه قد شبه الوحدة بالموت ، لأن الانقطاع عن الناس يعنى انتهاء الدور فى الحياة الدنيا ، وهذا هو الموت بعينه .

ويرى أبو هلال العسكرى أن الأصدقاء على كثرتهم ليسوا ذوى غناء بل هم غثاء كغثاء السيل ورغم ذلك لم يجد مناصا من مصادقتهم ، يقول :

---

(٨٣) اللزوميات ٢/١١٠٠ ، ١/٣٦،٥٥،١١٠،٣٧١،٤٧٤،٥٣٤ ، ٢/٦٦٧ ، ٦٨٩،٨٧٢،١٠٦٩، ١٠٧١،١١٠٥،١١١٠،١١٤٤،١١٤٧ ، ٣/١١٥٣،١٢١٧،١٦٠٦،١٦٧٢،١٦٨٢ .

ألا ان خلان الفتى ان عددتهم
كثير ولكن أين خل موافق
فغمض على قبح المراءاة منهم
فما منهم الا مراء منافق
ألم ترنى صادقت كل مداهن
فان لم أصادقه فمن ذا أصادق(٨٤)

بدأ الشاعر أبياته بالتنبيه ، وهذه البداية تذكرنا بأبيات الصابى السابقة التى بدأها بالتنبيه ، للأمر الجلل الذى سوف يتحدث عنه ، وهو داء النفاق الذى انتشر بين الناس كانتشار النار فى الهشيم ، حتى لم يعد المرء يجد من يثق به على كثرة الخلان .

وأيضا عمد الى أسلوب الالتفات ، ليعضد به مابدأ به من تنبيه ، حيث نقل الحديث من الغائب الى المخاطب ، ثم يطلب من المخاطب الرضوخ للأمر الواقع ، الذى عبر عنه بأسلوب الاستثناء ليؤكد اتصاف الجميع بالنفاق . وازاء ذلك يقرر أنه قد صادقهم ، وكأنى به يريد أن يقول مكره أخاك لابطل .

لم تقتصر الشكوى من النفاق على عامة الناس فحسب ، بل نجد أيضا علية القوم يشكون من هذا الداء ، فهذا الأمير ابن المعتز يقول :

بلوت اخوان هذا الزمان
فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم ان تصفحتهم
صديق العيان عدو المغيب(٨٥)

---

(٨٤) ديوانه ص١٦٦ .
(٨٥) ديوانه ٤٢٧/٢ .

ابن المعتز أمير من أمراء الدولة العباسية ، وهذا يعنى أنه يرفل فى بحبوحة من العيش ، لكن ذلك لم يجعله فى منأى عن مشاكل مجتمعه ، بل نجده يتفاعل معها فيسجلها ، فقد أدرك نفاق الناس له لأنه أمير .

ونظرا لحصافة الشاعر ، لم يلجأ الى التقليل من الأصدقاء الا بعد أن أجرى اختبارا دقيقا حكم بموجبه على الناس جميعا بالنفاق ، وهذا أقصى درجات التشاؤم واليأس ، التى خيمت على الشاعر ، حيث أكد تفشى النفاق فى الناس جميعا حينما قال : (وكلهم ان تصفحتهم ...) ويوضح ذلك عن طريق المقابلة فى قوله : (.. صديق العيان عدو المغيب) .

ويرى مهيار الديلمى أن السعادة ـ فى مجتمع جبل جله على النفاق ـ هى للجهلاء الذين لايدركون مايدور حولهم من خبث ونفاق ، وهو مايشقى به العقلاء ، يقول :

يسيغ الفتى أيامه وهو جاهل
ويغتص بالساعات وهو لبيب
وبعض مودات الرجال عقارب
لها تحت ظلماء العقوق دبيب
تواصوا على حب النفاق ودينه
بأن يتنافى مشهد ومغيب
فما أكثر الاخوان بل ماأقلهم
على نائبات الدهر حين تنوب(٨٦)

---

(٨٦) ديوانه ٤٢/١ ، وانظر نفس المصدر ١٦٣/١،٣٦٦،٤١٣-٤١٤ ، ٢٢١/٣،٣١٢ ، ٣٢/٤
لقد سبق الشاعر الى المعنى الذى طرقه فى البيت الأخير من قبل الشافعى رضى الله عنه فى قوله :
وماأكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم فى النائبات قليل
انظر شعره ص٣٠٦ .

يدور حديث الشاعر حول المنافقين ، وقد اتكأ فى حديثه على أسلوب المقابلة ، لما له من أثر فى ابراز سلوكهم وفضح ماتنطوى عليه سرائرهم ، حيث نجده قد قابل بين يسيغ ويغتص وبين جاهل ولبيب وبين مشهد ومغيب وبين أكثر وأقلهم .

ويضرب الشريف المرتضى مثلا حسيا لعدم الوفاء ، لكى يظهر يأسه من المخاطبين ، فيقول :

لو وفى صاحب وفى لى سواد
زار فودى منذ كنت صبيا
شط عنى لما ارعويت وقد كا
ن مقيما أيام كنت غويا
قد سلونا وفاءكم ويئسنا
أن نرى منكم عطاء هنيا
وسئمنا علاجكم وعلمنا
أن بين الضلوع داء دويا
يعد البر ماطلا فاذا أو
عد يوما شرا "أتاك" وحيا(٨٧)

بنى الشاعر أبياته على المقابلة التى كان لها دور بارز فى اضفاء مسحة من الجمال على الصياغة والمعنى على السواء .

فقد تحدث الشاعر والألم يعتصر فؤاده على الأيام الخوالى التى نعم فيها بالشباب ونضارته معتمدا أسلوب المقابلة ، حيث قابل بين (شط وارعويت وبين مقيما وغويا) . ترمز هذه المقابلة الى تظاهر الصاحب بالوفاء وقت الرخاء وعدم الحاجة اليه ، لكنه سرعان مايظهر على حقيقته عندما تدعو الحاجة اليه ، وهذا مادعا الشاعر الى نسيان وفائه الذى يدعيه ، بل اليأس

---

(٨٧) ديوانه ٣٧٤/٣ ، ١٥٠/١،٢٠٩ ، ٣٥٠/٢ ، ٢٩٤/٣،٣٤٤ .

من صدور مايبعث الأمل فيه ، حيث لم تعد تخفى الحقيقة ، فقد انكشف مايضمره من مرض وحقد دفين ، تحدث عنه الشاعر فى المقابلة التالية حيث قابل بين (الوعد بالبر والمطل فى الوفاء به وبين الايعاد بالشر والوفاء به) ، تدل هذه المقابلة على جرح فى وفاء الصديق فى حالتى الخير والشر .

ويجمل بنا أن نشير الى نظرة الشاعر التشاؤمية الى الصاحب ، التى عبر عنها بالمثل الحسى فى البيت الأول الذى ضربه لعدم وفاء الصاحب حين قال: (لو وفى صاحب وفى لى سواد ...) حيث قرن وفاء الصاحب ببقاء شعره على لونه الأسود ، ويبدو أنه يريد أن يقول : أن الزوال والتغير طبيعة فى كل شيء بما فى ذلك أجزاء جسم الانسان ، فكيف بالصديق .

ويدعو الخباز البلدى على الصاحب المنافق بابعاده عن رحمة الله ، فقال :

حوشيت من صحبة خوان
يأتى من الغدر بألوان
ولعنة الله على كل من
له لسانان ووجهان(٨٨)

يتحدث الشاعر فى هذين البيتين عن الخائن المنافق ، فتارة يدعو للمخاطب أن لايبتلى بصحبة الخائن ، وأخرى يدعو على المنافق بالطرد والخروج من رحمة الله ، فى مبالغة يشتم منها فظاعة مايقوم به ذلك الخائن فى اتقان ، رغم تعدد وتباين الطرق التى يسلكها ، يقول : (يأتى من الغدر بألوان) . وبعد أن اطمأن على المخاطب ، عاد وصدع بما يعتمل تحت جوانحه من كره وبغض للمنافق ، جعله يتمنى له البعد والخروج عن عفو الله .

---

(٨٨) شعره ص٣٦ .

ويمقت ابن أبى حصينة من يتظاهر بالود ويخفى تحت جوانحه الحقد والضغينة ، فيقول :

وأمقت من لاتطلب الحمد نفسه
ولايضمر الود الصحيح ولاودا
صديقك مادام الرخاء وناهش
بنابيه فى الخطب الملم اذا اشتدا
لحى الله من يبدى لخل مودة
ويضمر فى حيزومه[٨٩] ضد مأبدا
دع الرجل المغتاب يشفى بغيبتى
فما غيبة المغتاب الا ثنا يهدا[٩٠]

يظهر الشاعر شدة سخطه وغضبه على من يتصف بالنفاق فى قوله : (وامقت من لاتطلب الحمد نفسه ...) . فالمقت يعنى شدة الكراهية ، ولكى يبرز أخلاق المنافق فى صورة ممجوجة عمد الى المقابلة ، بين الأضداد . فبالضد تتمايز الأشياء ، وهذا التمايز سيؤدى حتما الى مقت تلك الأخلاق المتباينة ـ لدى المنافق ـ التى تفرق ولاتجمع وتهدم ولاتبنى . كاظهار الصداقة والمحبة فى وقت الرخاء والانقضاض بشراسة اذا حزب أمر وأيضا اظهار الايثار والمودة واخفاء الحقد الدفين .

ويختم حديثه عن المغتاب ، حيث عده مريضا لايمكن برؤه الا أن يغتاب فهو الدواءالناجع لمرضه . لذا أمر المخاطب بترك المغتاب ، لأن فى غيبته ثنا وحمدا للشاعر ، يقول : (فما غيبة المغتاب الا ثنا يهدا) .

---

(٨٩) الحيزوم : الصدر . اللسان (حزم) .
(٩٠) ديوانه ١/٢٦٦-٢٦٧ .

الغيبة والنميمة والوشاية [٩١]:

لقد تفشت ظاهرة الغيبة والنميمة والوشاية فى المجتمع العباسى ، بشكل واضح ، ولعل ذلك نتاج للنقلة الحضارية المبهرة ، مما خلق نوعا من التنافس غير الشريف ، الذى وصل الى حد تأباه النفس الكريمة وتمجه الأخلاق الفاضلة ، حتى أن الانسان اذا مر يوم وهو سالم ، كان ذلك فضلا من الله (٩٢).

اتخذ الناس الوشاية وسيلة الى الوصول الى مآربهم نكاية بمن لايريدون خوفا من منافستهم لهم .

لقد شاع هذا اللون فى المجتمع العباسى منذ تولى المأمون الخلافة حيث أخذ ذكر الكتاب والاشادة بهم ينتشر ، كما يقول الجاحظ (٩٣).

---

(٩١) اغتاب الرجل صاحبه اغتيابا : اذا وقع فيه ، وهو أن يتكلم خلف انسان مستور بسوء أو بما يغمه لو سمعه وان كان فيه ، فان كان صادقا فهو غيبة ، وان كان كذبا ، فهو البهت والبهتان ، كذلك جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولايكون ذلك الا من ورائه ، والاسم الغيبة . اللسان (غيب) .
النم : التوريش والاغراء ورفع الحديث على وجه الاشاعة والافساد ، وقيل : تزيين الكلام بالكذب ، والفعل .. التهذيب : النميمة : هى نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد والشر . اللسان (نمم) .
الوشاية : وشى به وشيا ووشاية : نم به. ووشى به الى السلطان وشاية أى سعى وفى حديث عفيف : خرجنا نشى بسعد الى عمر ، هو من وشى اذا نم عليه وسعى به ،وهو واش وجمعه وشاة . والواشى والوشاء : النمام . اللسان (وشى) .

(٩٢) فى هذا المعنى يقول أبو الدرداء : "ليس من يوم أصبح فيه لايرمينى الناس بداهية الا كان نعمة من الله على" . انظر عيون الأخبار ١٢/٢ .
وقال حسان بن ثابت فى مثل هذا المعنى :
وان امرأ يمسى ويصبح سالما   من الناس الا ماجنى لسعيد
انظر شرح ديوانه ص١٩٨ .

(٩٣) انظر رسائله ٢٠٣/٢ .

وقد تكون الوشاية لأمر فيه جاه أو ثروة أو الخوف من المنافسة على منصب ، كسعاية ابن الزيات بسليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب لدى الواثق الخليفة العباسى (٩٤).

ولقد تصدى الشعر فى العصر العباسى لهذه الظاهرة السيئة ، ومايترتب عليها من آثار ، سلبية سيئة ، تظل تنخر فى المجتمع حتى تقوض دعائمه وأسسه التى بنى عليها . وعلى الجملة فان أكثر الناس يتعرضون للغيبة والسعاية مهما كانت منزلتهم وعدالتهم وتورعهم .

قد يكون الحسد أبرز دوافع كل من الغيبة والنميمة ، وهو ماجعل دعبلا يشكو من الحسود الذى فتح عليه نار الغيبة ، فيقول :

وذى حسد يغتابنى حين لايرى
مكانى ويثنى صالحا حين أسمع
تورعت أن أغتابه من ورائه
وماهو أن يغتابنى متورع
ويضحك فى وجهى اذا مالقيته
ويهمزنى بالغيب سرا ويلسع
ملأت عليه الأرض حتى كأنما
يضيق عليه رحبها حين أطلع(٩٥)

يعزو الشاعر الغيبة الى الحسد الذى يعتمل فى نفس المغتاب تجاهه . ولما يشعر به الشاعر من ألم جراء هذه الغيبة ، فقد خلع صفة النفاق على المغتاب حين صوره بوجهين ، أحدهما الهمز وقت الغيبة ، والآخر الثناء فى الحضرة .

---

(٩٤) الأغانى ٥١٩/٢٣ .
(٩٥) شعره ص١٨١ .

واذا كان المغتاب قد انساق خلف سلوك سىء ، تنبىء عما يختلج تحت جوانحه ، فان الوازع الداخلى لدى الشاعر جعله يعزف عن اغتياب المغتاب ، رغم اغتيابه له ، وفى هذا اشارة الى ورع الشاعر وتمثله لأخلاقيات وسلوك الاسلام .

ومما يشد انتباه القارىء ويجعله يتفاعل مع المعنى ، ذلك التقابل بين الجانب المضىء وبين الجانب المظلم . فالجانب المضىء ينبىء عن طيب وأصالة معدن سالكيه ، وعلى النقيض من ذلك يظهر الجانب المظلم مساوىء سلوكيات المغتاب . فالتورع الذى يتصف به المتمثلون للقيم والأخلاق الفاضلة ، يقابله عدم التحرج فى ارتكاب المعاصى ، وهذا يعنى الخروج عن الأعراف والقيم الحميدة .

وكذا الضحك الذى يعنى انفراج الأسارير عند اللقاء يقابله الهمز عند الغيبة ، أى الثلب والانتقاص ، بل أشده ، فقد جعل شدة وقعه وسرعته كسرعة سريان سم الأفعى .

أما الكيد الدفين الذى يضمره المغتاب ، فقد بلغ به مبلغا لم يطق معه العيش ، مع من قام باغتيابه فى مكان واحد .

بل بلغ به الحقد ذروته ، حتى أن الأرض قد ضاقت به على رحابتها ، ولم تعد تتسع لأحد معه .

جسد هذا المعنى ماأحدثه الشاعر من مفارقة أسلوبية ، فضلا عن الحركية الفاعلة فى توظيفه للزمن الفعلى لـ(أغتابه ، يغتابنى ، يضحك ، يهمز يضيق) فى مقابل (تورعت ، لقيته ، ملأت) .

وقد يكون علو الهمة والمكانة الاجتماعية مبعث الغيبة ، ولأن الشريف المرتضى ذو همة عالية ـ ومن السابقين الى العلياء ، كما يقول ـ فقد أثار ذلك حفيظة المغتاب عليه ، فاجتهد فى غيبته ، يقول :

قل لمن كلما سبقت الى العلـ
ـياء يغتابنى ويطعم نحضى
أنت تجنى فى كل يوم على عر
ضك عمدا فكيف يسلم عرضى
لعن الله مدة كنت فيها
كل همى وأنت منى كبعضى
ليس أدعو عليك بالقتل علما
أنك اليوم قاتل لك بغضى(٩٦)

يطلب الشاعر من المخاطب أن يبلغ الذى يجتهد فى غيبته ولايتورع عن وصمه بأقذع العيوب ، أنه بصنيعه ذلك يصم عرضه هو . ثم يفصح عن شدة غضبه وحنقه ، بلعن الفترة التى قضاها فى صحبته يخلص له ويهتم لما يهمه ، وأنه يمقته أشد المقت جراء مااقترفه تجاهه .

واضح أن مبعث هذه الغيبة هو الحسد نظرا للنجاحات التى يحققها الشاعر ، وقد بلغت الغيبة به مبلغا عظيما ، حيث ماثل بينها وبين نهش لحمه ، ومايحدثه من ألم .

ويؤكد عزمه واصراره على ايذاء نفسه ، فيقول : (أنت تجنى ...) فكلمة (تجنى) تعنى اقتراف الذنب وماهو مضر ومؤذى . أما كلمة (عمدا) فتفيد الى جانب تأكيد ماذهب اليه الشاعر ، علم المغتاب بما يجنيه على نفسه . ولما كان الأمر كذلك أخذ الشاعر يتساءل مستنكرا (فكيف يسلم عرضى؟) ويظهر مدى حنق الشاعر وبغضه من خلال اطلاقه اللعن على الزمن ، حيث أن اللعن يعنى الابعاد والطرد ، يقول : (لعن الله مدة ...) فبالاضافة الى ماتفيده هذه العبارة من غضب فان فيها اشارة الى تحويل الزمن الى شىء محسوس .

---

(٩٦) ديوانه ١٦٩/٢ .

ويمكننا أن نستشف أن السبب الذى جعل الشاعر يطلق اللعن هو أنه كان يعتبر المغتاب جزءا منه . وقد عبر عنه بأسلوب التشبيه فى قوله : (..كل همى وأنت منى كبعضى) .

وأخيرا ينفى أن يكون قد دعا على المغتاب بالقتل ، بل يكفى مقته له حيث أكد بغضه ومقته له فى قوله : (أنك اليوم قاتل لك بغضى) . ولعل الهوى هو التربة التى ينبت فيها كل من الغيبة والنميمة ، حتى ولو كان الضحية من يتصف بالعدل وصحة الحكم ، يقول أبو العلاء المعرى :

العيش ثقل وقاضى الأرض ممتحن
يضحى ونصف خصوم المصر يشكونه
زكوه دهرا فلما صار قاضيهم
واستعمل الحق عادوا لايزكونه
يصوم ناس عن الزاد المباح لهم
ويغتذون بلحم لايذكونه(٩٧)

حول الشاعر العيش الى شىء مادى محسوس ، وكأنه حمل كبير يثقل كاهل حامله ، وقد قرن ذلك باختبار القاضى المستمر ، حتى أنه ينتهى به الأمر ، ونصف الماثلين أمامه للخصومة وقد شكوه . أما تباين المواقف فقد عبر عنها بالتضاد (بين زكوه وبين لايزكونه) .

لقد تخلوا عن الثناء عليه واظهار مزاياه ، لالشىء سوى أنه أصبح قاضيا يحكم بالعدل ، وهذا لايروق لهم ، لأنهم كلهم ظلمة أفاكون ، لايستطيعون تحقيق النفع الشخصى من ورائه .

---

(٩٧) اللزوميات ١٥٦٠/٣ ، ١٧٥،١٦٧/١ ، ١٠٨١،٧٣٦،٦٨٤/٢ ، ١١٥٥/٣ .

وأخيرا كنى عن الغيبة بقوله : (ويغتذون بلحم لايذكونه) فعدم تذكية اللحم تعنى حرمته . ومشيرا الى تظاهرهم بالورع والتقوى وتمسكهم بالصيام عن الأكل المباح طاعة لله ، غير أنهم أفسدوه بما يمارسونه من غيبة ونميمة .

وهذا يعنى أن الصيام ليس فقط الامساك عن الطعام والشراب ، بل ينبغى امساك اللسان وكبحه عن الحرام .

ومما يثير الدهشة ويبعث على الاستغراب ، أن يعيب كثير من الناس الآخرين على بعض سلوكهم ، ناسين أو متناسين سلوكهم هم ، يقول ابن الرومى فى ذلك :

وكم عائب قد عابنى وهو صادق
وأدبر عنى والذى فيه أعيب
رمانى بسوء لست أعديه صاحبى
ولاهو مما يستفاد ويكسب
وباء بسوء فيه بعديه غيره
ويجلبه والسوء يعدو ويجلب
وماذاك الا ثلبه الناس طائعا
ومابرح الثلاب للناس يثلب(٩٨)

لم ينكر الشاعر مافيه من العيوب ، بل يؤكدها ، لكن مايقلقه أن الكثير ممن ينتقدونه ، فيهم من العيوب مايفوق عيوبه . مشيرا الى أن مايرمى به من سوء لايمثل سلوكه ، بل هو مما يتصف به العائب ، وأنه مهما حاول الصاقه بغيره ، فلن يفلت هو منه على الرغم مما سيلحق بالمعيب من ضرر لقاء وصمه بالسوء .

---

(٩٨) ديوانه ٢٥٣/١-٢٥٤ . وفى الديوان (تثلب) بالمثناه الفوقية ، ويبدو أنه تصحيف ، ويبدو أن الشاعر قد استقى هذا المعنى من بيت أبى الأسود الدؤلى :
لاتنه عن خلق وتأتى مثله — عار عليك اذا فعلت عظيم

لقد عبر الشاعر عن كثرة العائبين بقوله (وكم عائب) . ثم أكد صدق ماذهبوا اليه معترفا بعيوبه فقال : (قد عابنى وهو صادق) . لقد بلغت الجرأة بالعائب أن يقف أمام الشاعر وجها لوجه ليعيبه ، يستشف ذلك من قوله : (وأدبر عنى ...) فالادبار عادة مايكون بعد الاقبال ، ومما يفيد عظم عيب العائب وشدة فظاعته بالقياس بعيب الشاعر قوله : (والذى فيه أعيب) .

أما تألم الشاعر فيتمثل فى قوله : (رمانى بسوء ...) لماتفيده كلمة الرمى من اصرار الرامى على الايذاء ، ويعضد ذلك الباء فى (بسوء) التى تفيد الالصاق ، ورغم مايشعر به الشاعر من ألم ، ينفى أن يكون العائب بريئا مما وصمه به .

ثم حول السوء الى شىء محسوس ، نظرا لاستشرائه ولصوقه ، تماما كالداء الفتاك المعدى ، يتضح ذلك من قوله : (.. والسوء يعدو ويجلب) فالعدو والجلب من خصائص الحيوان ، لكن الشاعر أطلقهما على السوء مجازا.

وأخيرا جعل العائب هدفا ينبغى التصدى له ، رغم تجمله فى الكذب والافتراء فكلامه عار عن الصحة ، كفقد الاستثناء المفرغ عمله .

غير أنه لن يفلت من الانتقاص منه ، فقد أضحى هدفا تلوكه الألسنة وهذا المعنى هو ماألح عليه التكرار اللافت فى الأبيات (عائب ، أعيب بسوء ، بسوء ، السوء ، أعديه ، يعديه ، يعدو ، ثلبه ، الثلاث ، يثلب) وهو تكرار قائم على تنوع الصيغ والاشتقاقات .

ومن المسلم به أن رضا الناس غاية لاتدرك ، لذا فمن المتعذر أن يحوز المرء رضا الناس جميعا ، يقول ابن دريد فى هذا المعنى :

وماأحد من ألسن الناس سالما

ولو أنه ذاك النبى المطهر

فان كان مقداما يقولون أهوج

وان كان مفضالا يقولون مبذر

وان كان سكيتا يقولون أبكم
وان كان منطيقا يقولون مهذر
وان كان صواما وبالليل قائما
يقولون زراق(٩٩) يرائى ويمكر
فلاتحتفل بالناس فى الذم والثنا
ولاتخش غير الله فالله أكبر(١٠٠)

ينفى الشاعر سلامة أى شخص من ألسنة الناس الذين لايتورعون عن الغيبة والنميمة ، ولكى يبشعها ويحذر منها ، قال : (ولو أنه ذاك النبى المطهر) ففى هذه العبارة تأكيد على عدم ارعوائهم واصرارهم ، وتعزية للمغتاب .

ثم عمد الى المقابلة ليوضح مدى الفرق بين مايتصف به من وقعت عليه الغيبة وبين مايدعيه المغتاب ، وفى نفس الوقت كان لتكراره (ان وكان) أثرهما فى تجلية مدى التباين بين أخلاق الذى وصم بالغيبة ، ومايبثه المغتاب من ادعاءات باطلة .

وبعد أن شد انتباه القارىء واسترعى انتباهه ، أخذ ينهى عن الاهتمام بما يقوله الناس سواء كان مدحا أو قدحا، ويكرر ذلك النهى بقصر الخشية على الله جل وعلا دون سواه ، فهو الأكبر المهيمن ، فعبارة (الله أكبر) تعنى تفرده عز وجل بصفة الكبرياء ، وأن كل ماعداه صغير ضئيل فى جنبه .

---

(٩٩) زرف : الزرف الزيادة على الشىء ، زرف الرجل فى حديثه ، اذا زاد فيه . الجمهرة (زرف) .
(١٠٠) ديوانه ص٢١ .

واضح أن الأسلوب الذى جلى الشاعر به هذا المعنى شاخص فى المفارقة التى بناها على المتضادات اللغوية : (مقدام ، أهوج ، مفضال ، مبذر سكيت ، أبكم ، منطيق ، مهذر ، صوام ، زراف ، الذم ، الثناء) .

ولهذا فان المغتاب فى الواقع الاجتماعى مكروه مذموم ، يقول ابن أبى حصينة :

وأمقت كل مغتاب نموم
حريص بالنميمة غير وانى
ألا بئس الحديث حديث زور
يبلغه فلان عن فلان[١٠١]

يعبر الشاعر عما يعتلج فى نفسه تجاه المغتاب النمام ، من بغض شديد له ، نظرا لعزمه الأكيد واصراره المقيت ، على السعى بالنميمة ، يقول : (حريص بالنميمة غير وانى) فهذه العبارة تعنى التمسك والاصرار ، وبذل الجهد وعدم التكاسل ، كل ذلك نتاج لما يملأ قلب المغتاب والنمام من حقد دفين ، ونفس تواقه الى الايقاع بين الناس ، حيث تجد متعتها .

وهذا ماجعل الشاعر يقبح ماينقله ذلك المغتاب من زور وبهتان ، حيث بدأ بـ(ألا) لتقبيح مايقوم به ذلك المغتاب ، وذمه بأسلوب صريح (بئس) ولكى يؤكد تقبيحه ذلك عمد الى التكرار اللفظى فى البيت الثانى .

نعلم أن مقت المغتاب والنمام أمر مألوف ، أما أن يحمد فهذا مايثير الدهشة والاستغراب ، يقول الوأواء الدمشقى :

أهلا بنمام ينم بطيبه
فى كل ابان وكل زمان

---

(١٠١) ديوانه ٢٦٣/١ .

لاكان عائبه فقد أبدى لنا
عين المحال وجاء بالبهتان
يحدو المفيق الى الخمار لأن فى
نصف اسمه ثمل الفتى السكران
وهجاء نمام اذا نكسته
لك طارف[١٠٢] من طارق الحدثان[١٠٣]

يرحب الشاعر بالنمام الذى ينم فى كل وقت ، ولعل ترحيب الشاعر بالنمام - على غير المألوف - راجع لأنه ينم على سجيته ، دون التفكير فى ماتجره تلك النميمة ، يقول : (ينم بطيبه ..) ثم يدعو على من ينتقصه ، فيقول : (لاكان عابئه) حيث يعزو دعاءه هذا الى تحققه من أن هذا المغتاب قد أوضح ماكان خافيا ، بل مايستحيل معرفته ، يقول : (فقد أبدى لنا عين المحال) ، واذا كان هذا المغتاب قد فضح ماكان مستحيلا كشفه ، فانه قد ارتكب شيئا فظيعا ، يظهر ذلك من قوله : (وجاء بالبهتان) .

ويرمز الشاعر الى فضل النمام لكونه يصرف سامعه عن الاقتراب ممن اغتابه تحاشيا للتخلق بأخلاقه ، يقول : (يحدو المفيق الى الخمار ...) فالظاهر من هذه العبارة الدعوة الى السكر ، بينما المقصود هو ابعاد غير النمام عن النمام ، ودعوته الى النوم ، لأنه يبعده عن سماع النميمة ، فقد كنى عنه بقوله : (لأن فى نصف اسمه ثمل الفتى السكران) .

ويبرر موقفه المتعاطف مع النمام بذكر اسمه معكوسا لدلالته على الأمان ، وأنه بمثابة عين الرقيب التى تحرسه من عوادى الزمن . واذا أنعمنا النظر فى هذه الأبيات ، اتضح لنا قدرة الشاعر اللغوية فى توظيف اللفظ ،

---

(١٠٢) طارف : الطرف ، طرف العين ، والطرف اسم جامع للبصر . اللسان (طرف) .
(١٠٣) ديوانه ص٢٣٧ .

لكى يبرر رأيه فى النمام ، اذ ألغز بعبارة (نصف اسمه) الى كلمة (نم) أى النوم . وعبارة (وهجاء نمام اذا نكسته) بعكس كلمة نمام (مامن) أى الأمان والمأمن ، اضافة الى حرصه على تحسين الأداء بالجناس .

أما الوشاية فلها فى الشعر العباسى مكانة ، اذ انكشف الواشون للشعراء ، فلم تعد ألاعيبهم تنطلى على ذوى الألباب ، فهذا ابن الرومى يتحدث عن ذلك فيقول :

وقد حاول الواشون افساد بيننا
فأعيى على ذى المكر منهم وذى الارب(١٠٤)
سوى أنهم قد آذنونا بجفوة
أدالت رضانا ماحيينا من العتب
وشوا فعرفنا للتجافى مرارة
وهبنا لها مهما أتيناه من ذنب
فعدنا وأصبحنا بحيث يسرنا
من الوصل والواشون فى مزجر الكلب(١٠٥)

يقرر الشاعر أن الوشاة فعلا حاولوا عبثا أن يفرقوا بينهم ويفسدوا العلاقات الوطيدة ، والأواصر والروابط الحميمة التى تجمع بينهم . غير أن مناصبة الوشاة العداء لهم كان له أثر طفيف ، فقد أضحى العتاب من السمات التى يتصفون بها ، لكنهم استطاعوا الخروج من هذه التجربة المريرة

---

(١٠٤) الارب : بالكسر : الدهاء . القاموس (الارب) .
(١٠٥) ديوانه ٢٠٩/١ ، ١٣٩/١،٢٣٩،٣١٩ ، ١١٨٦/٣ ، ٢٠٧٠/٤،٢٢٤٩ ، ١٨١٣/٥ .
مزجر الكلب : قال سيبويه : وقالوا هو منى مزجر الكلب ، أى بتلك المنزلة .
اللسان (زجر) .

ـ التى كان مبعثها هؤلاء الوشاة ـ أكثر تماسكا ودراية بأساليبهم فى بث الفرقة.

لقد باءت محاولات الوشاة بالفشل ، رغم مايتمتعون به من مكر ودهاء فصنيعهم هذا كشف نواياهم الشريرة ، وبغضهم ، مما ترتب عليه تبدل فى المواقف تجاههم . وفى هذا اشارة الى يقظتهم وتماسكهم ضد أى عدو يحاول التغلغل فيهم ، ليقوض أواصر المحبة والألفة التى تجمع بينهم ، بل ان ضرر ذلك عاد على الوشاة أنفسهم لانكشافهم وافتضاح نواياهم السيئة . ثم يعزو الشاعر ماأحدثته الوشاية من ألم الى أنها جزاء مااقترفوه من أخطاء ، ورغم كل تلك المحاولات اليائسة عادوا الى سابق عهدهم من المحبة والألفة ، وأضحى الوشاة فى منزلة قصية كمنزلة الكلب المزجور .

وبالقاء نظرة على هذه الأبيات نلحظ أن الشاعر كرر كلمة (الوشاة) عدة مرات ، ومدللا على حذقهم ويقظتهم ، وصعوبة النيل منهم باعتماده أسلوب الانصاف حيث خلع صفة المكر والدهاء على الوشاة التى لم تفلح فى تفتيت أواصر المحبة والترابط بينهم .

واذا كان من شأن الوشاة أن يحاولوا افساد العلاقة بين الناس عند ابن الرومى ، فاننا نجدهم عند مهيار الديلمى قد بثوا سمومهم وأخذوا يرقبون نتيجة ذلك ، يقول مهيار :

مد الوشاة له رقابهم
يتطلعون عواقب المكر
يرمون بالأبصار رائدة
أنى تصوب سحابة الشر
ظنوا اليد اليمنى اذا بطشت
قعدت بيسراها عن النصر

والنيران وان هما اختلفا

فالشمس لاترتاب بالبدر

ياخاب سعى مرقشين مشوا

بالغش بين الماء والخمر(١٠٦)

يرى الشاعر فى الوشاة عيونا ترقب نتيجة سعايتهم ، يظهر ذلك من خلال قوله : (مد الوشاة له رقابهم ..) و(يرمون بالأبصار رائدة) .

ففى البيت الأول يتضح اصرارهم على بث سعايتهم ، حتى يهنأوا بما تحدثه من فرقة وتصدع . وفى البيت الثانى نلحظ تخفيهم بعد اطلاقهم سعايتهم والاكتفاء بمراقبة الموقف عن بعد ، معتمدين على أبصارهم المصوبة التى لاتخطىء هدفها الذى ترقبه . لكن الوشاة أخطأوا التقدير فالقوم يد واحدة فى السراء والضراء ، تماما كيدى الانسان ، اللتين لاتخذل احداهما الأخرى وقت الشدة ، ولايغمط احداهما الأخرى . فالقمران رغم اختلافهما لم يغمط أو يبز أحدهما وظيفة الآخر، بل يتمم أحدهما الآخر .

وأخيرا يستهجن الشاعر الأسلوب الذى يمارسه الوشاة فى التفريق بين الناس ، ومن ثم الطريقة التى يتخفون من خلالها ، وهم يراقبون مايحل بالقوم من جراء السعاية بينهم بتزوير الأخبار الملفقة وزخرفتها ، ومحاولة ضرب بعضهم ببعض ، وأنى لهم ذلك حيث يقول :

ياخاب سعى مرقشين مشوا

بالغش بين الماء والخمر

فالخيبة تعنى الاحباط وكشف ألاعيبهم وحيلهم ، رغم مايزخرفونه من أكاذيب ، لأن الود الذى يربط بين الشاعر وأحبائه وثيق ، فهما تمازجا تمازج الماء والخمر الصرف .

---

(١٠٦) ديوانه ٣٨٨/١-٣٨٩ .

مرقشين : الترقيش : المعاتبة والنم والقت والتحريش وتبليغ النميمة . ورقش كلامه : زوره وزخرفه . اللسان (رقش) .

ولم ينفك الوشاة يبثون سمومهم للتفريق بين النـاس ، حتى أن أذاهم امتد لذوى القربى ، فقد رصد ذلك ابن أبى حصينة بقوله :

ساموا لنا عنده أمرا ليحمدهم
فالحمد لله قد ليموا وماحمدوا
ونحن أنفع منهم ان ألم به
خطب وأوجد للهم الذى يجد(١٠٧)

فى أسلـوب شائق تحدث الأمير ابن أبى حصينـة عـن الـوشاة ، فقال : (ساموا) بمعنى طلبوا ورغبوا ، ففى هذا اشارة الى أنهم جهدوا فى الدس بين الشاعر وبين تلك الشخصية التى يحبها ويرجو لها الخير ، غير أن عنـاية الله سبحـانه وتعالى ردت كيدهم فى نحورهـم ، فقد انقلـب الحمـد والشكر الذى كانوا يؤملونه الى اللوم والتعنيـف ، حيث ان الشاعـر أقـرب لحمة وسدة ، وأنه حصـن منيع ، وسيف مصلـت ومستودع لما تجيش به نفسـه من هموم ، فيسرى عنه آلامها .

فهل من يتمتع بمثل هذه المكانة لديه يمكن النيل منه؟

لقـد وفق الشاعر فى صياغته لبيتيه التى اتسمت بالتكـرار غير المخل ، حيـث كـرر (ليحمـدهم ، فـالحمـد لـلـه ، حمـدوا) والمقـابلة بين (ليمـوا ، وحمـدوا) ، وجنوحه للمبالغة فى البيت الثانى . وتظهـر مسحة الهدوء بادية من خلال الصياغة ، ولعل مـرد ذلك ثقة الشاعر واطمئنـانه لجانب من بلغته الوشاية ولمكانته فى نفسه .

ونجد صـردر يتسـاءل : لماذا يصـر الـوشاة على النيـل منـه وضعضعـة مكانته؟ فى حين نعتهم بالأعداء لأن مايبثونه من سموم ينم عن عداء مقيت . يقـول :

---

(١٠٧) ديوانه ١٦٤/١ .

فمالى يثلم الأعداء حـدى
ويختلق الوشاة على بطلا
ويرمونى بـزور القـول حتـى
تمنى جانبى لو كن نبلا
فيالله حيث وضعت جنبى
أمارس عقربا منهم وصلا (١٠٨)
محالهم (١٠٩) يمد الى باعا
وباطلهم يحط على رجلا
خصوم ينظرون الى شزرا (١١٠)
ومن ذا يقهر الخصم المولى (١١١)

اتسمت هذه الأبيات بالشكوى والتضجر من ظلم الوشاة ، الذين استطاعوا النفاد ، وبث الفرقة والحاق الضرر بالشاعر ظلما وعدوانا ، فمضاؤه وثقله الاجتماعى الذى افتقده ، عبر عنه بقوله : (فما لى يثلم الأعداء حدى) .

وعن زيف ماتفوه به الوشاة يقول : (ويختلق الوشاة على بطلا) . أما شدة الألم الواقع على الشاعر من جراء سعايتهم ، فقد عبر عنه بقوله : (تمنى

(١٠٨) الصل : الحية التى تقتل اذا نهشت من ساعتها .. وقيل الصل : الداهية . اللسان (صلل) .
(١٠٩) المحال : الكيد ، ومحل به محلا ومحالا : كاده بسعاية الى السلطان . القاموس (المحل) .
(١١٠) الشزر : النظر عن اليمين والشمال وليس بمستقيم الطريقة ... وأكثر مايكون النظر الشزر فى حال الغضب . اللسان (شزر) .
(١١١) ديوانه ص١٧١ ، ص١٩٦ .

جانبى لو كن نبلا ، أمارس عقربا منهم وصلا ، خصوم ينظرون الى شزرا) ، أما تمكنهم الممض فقد قال عنه :

محالهم يمد الى باعا
وباطلهم يحط على رجلا
خصوم ينظرون الى شزرا
ومن ذا يقهر الخصم المولى

يفصح الشاعر عن ضيقه وألمه من تلك المكائد التى تلاحقه حتى قضت عليه ، معبرا عن ذلك القهر والظلم الواقع عليه بقوله : (وباطلهم يحط على رجلا) .

وأخيرا يصور عجزه عن أخذ حقه من خصمه ، رغم مايعتمل تحت جوانحه من آلام .

ولما لم تفلح محاولاتهم ، انقلبوا ضد من لم يصدقهم ، وينجرف خلف ترهاتهم ، يقول أبو الحسن على بن الحسن اللحام الحرانى :

ان الذين مشوا اليك على دمى
لم أصغ فيك لهم وهم عذالى
حتى اذا مااستيأسوا منى سعوا
ووشوا بما لم يجر قط ببالى(١١٢)

يعتذر الشاعر فى هذين البيتين عما نقل عنه من وشاية ، معبرا عن ذلك بقوله : (مشوا اليك على دمى) بكل ماتعنيه هذه العبارة من سحق ، وامتهان ، مشبها الوشاة بالقتلة لشدة وقع ألم تلك الوشاية على نفسه ، وفى نفس الوقت يبين أنهم وشوا اليه بصديقه ، غير أنه نفى أن يكون قد صدقهم أو اكترث بما سعوا به لديه عن صديقه ، ولما لم يجدوا لديه أذنا صاغية لما يحيكونه من سعاية ، قلبوا له ظهر المجن فوشوا به لدى صديقه . فكانت سعايتهم بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير.

---

(١١٢) اليتيمة ١١٣/٤ .

وقد عبر الشاعر عن مبدئه الذى لايحيد عنه بقوله : (... بما لم يجر قط ببالى) . فالشاعر لم يكن يفكر قط فى الخفاء ، فى ايذاء المخاطب ، فضلا عن الجهر بايذائه ، ففى هذا دلالة على تطابق سلوك الشاعر فى الظاهر والباطن على عكس كلام الوشاة .

لقد بدأ الشاعر بيتيه بـ(أن) ليؤكد صدق ماذهب اليه ، ونافيا تصديقه لهم ، وأيضا ينفى أن يكون قد حدث نفسه بما يكرهه المخاطب . ومن خلال تعبير الشاعر نلحظ أنه يدافع عن نفسه لدحض التهمة التى ألصقت به وفى نفس الوقت يحذر المخاطب ـ من طرف خفى ـ أن يقع فى شراكهم .

واذا كان الوشاة قد حاولوا افساد العلاقة عن طريق الدس الرخيص حينا والمناوأة حينا آخر ، والتزلف والاصرار عليه ثالثا . فان صلابة الشاعر وفطنته حالت دون وصول الوشاة الى مآربهم . وأحيانا تنقطع بهم السبل فلايستطيعون دفع التهم التى توجه اليهم ، فيذعنون لها على مضض .

لكن عبيد الله بن سليمان بن وهب وكل دفع الظلم والأذى من قبل الوشاة الى الله عز وجل الذى تكفل بهم ورد كيدهم فى نحورهم ، فقال :

كفاية الله خير من توقينا
وعادة الله بالاحسان تغنينا
كاد الوشاة(١١٣)ولا والله ماتركوا
قولا وفعلا وبأساء وتهجينا
فلم نزد نحن فى سر وفى علن
على مقالتنا الله يكفينا(١١٤)

---

(١١٣) كاد الوشاة : بلغوا الأمر الذى كادوا، يريد : طلبوا أو أرادوا . اللسان (كيد) .
(١١٤) اعتاب الكتاب ص١٧٦ ، آل وهب ص٣٢١ .

يتضح من خلال هذه الأبيات أن الشاعر قد عانى كثيرا من الوشاة ، ولعل ذلك راجع الى تقلده منصب الوزارة ، مما يجعلنا نعزو الوشاية به الى الوشاية السياسية.

فالشاعر يتحدث وهو مسلم أمره الى الله فى شأن الوشاة متمثلا قول الله عز وجل : {الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}(١١٥)، طالبا منه جل وعلا أن يكفيه شرورهم ، التى تحدث عنها فى البيت الثانى .

فالشاعر عندما أعيته الحيلة ، وفقد القدرة على الدفاع عن نفسه ، التجأ الى الله تعالى ، وتوجه اليه بالدعاء .

اتكأ الشاعر فى صياغته لهذه الأبيات ، على مضمون الآية القرآنية ، حيث التسليم لأمر الله سبحانه ، كفاية من شرهم ، وفى هذا الاستخدام تعبير عن نزعة دينية لدى الشاعر .

---

(١١٥) سورة آل عمران : آية ١٧٣

في الكذب :

الكذب داء من الأدواء الاجتماعية ، التى تدل على خسة الطبع ودناءة النفس ، لذلك فالانسان الفاضل يتحاشى الكذب ،وتأباه نفسه ، لأنه مقرون بالذل والحمق والجهل ، يقول الأحنف : "اثنان لايجتمعان أبدا : الكذب والمروءة"(١١٦).

لذا تجب محاربة الكذب ، حتى لو كان اطلاقه من باب المداعبة ، يقول ابن المقفع : "لاتتهاونن بارسال الكذبة عند الوالى أو غيره فى الهزل ، فانها تسرع فى ابطال الحق ورد الصدق مماتأتى به"(١١٧).

لقد تصدى الشعر العباسى لظاهرة الكذب ، منتقدا اياها وأصحابها ، ليس فقط من أجل أن الدين حاربها ، ولكن لما تجره من خراب وتفكك فى العلاقات الاجتماعية ، نظرا لافتئاته على الحقيقة والواقع .

ومن المسلم به أن الشاعر عنصر فعال فى المجتمع ، يتفاعل معه ، فيعيش أفراحه وأتراحه .

ويتضح من حديث أبى العلاء المعرى عن الكذب ، أن تخرص الناس الكذب على الله يستتبع شيوعا فى الكذب على البشر ، ولهذا أخذ الشاعر يطلب من المخاطب أن يتجمل بالصبر حتى يعود الود والوئام ، يقول :

اذا قال فيك الناس مالاتحبه
فصبرا يفىء ود العدو اليكا
وقد نطقوامينا على الله وافتروا
فما لهم لايفترون عليكا؟(١١٨)

---

(١١٦) عيون الأخبار ٢٦/٢ .
(١١٧) الأدب الكبير ص٦٩ .
(١١٨) اللزوميات ١١٧١/٣ .

يدور حديث الشاعر حول الكذب ، مستخدما أسلوب الشرط ، ليبين أن الصبر يكسب المخاطب ، ارعواء العدو وعودته الى المحبة ، وفى نفس الوقت لجأ الى تعزية المخاطب عندما أكد كذب الناس وافتراءهم على الله جل وعز فى قوله : "وقد نطقوا امينا على الله ..." .

كما لم يسلم الأنبياء من الكذب عليهم ، لنسمع مايقول أبو العلاء المعرى :

غدا أهل الشرائع فى اختلاف
تقض به المضاجع والمهود
فقد كذبت على عيسى النصارى
كما كذبت على موسى اليهود
ولم تستحدث الأيام خلقا
ولاحالت من الزمن العهود(١١٩)

يصور الشاعر فى هذه الأبيات ، حال الناس وقد انتشر بينهم الكذب ، الذى لم يسلم منه الأنبياء عليهم السلام . فالأمر جد خطير ، حيث عم الخلف بين الناس ، مما أدى الى عدم الاطمئنان ، وأقض على الناس مضاجعهم .

ثم أكد كذب النصارى واليهود على عيسى وموسى ، حينما قالوا أن عيسى ابن الله ، وأن اله موسى هو العجل ، وفى هذا اشارة لقوله تعالى : {وقالت اليهود عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون}(١٢٠)

وقوله تعالى : {فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى}(١٢١).

---

(١١٩) اللزوميات ٤٤١/١ .
(١٢٠) سورة التوبة : آية ٣٠
(١٢١) سورة طه : آية ٨٨

ويشير من طرف خفى فى البيت الأخير الى كذب المشركين على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يعنى أن أخلاق الناس باقية على ماهى عليه، من فساد على مر الزمن .

جرت العادة اذا حزب أمر فيه حيف ، أن تتصاعد الصرخات مستنكرة حينا ومستنجدة حينا آخر . غير أن أبا الطيب المتنبى ، أخذ ينهى عن تلك الشكوى ، ويأمر بأخذ الحذر والحيطة ، فقال :

ولاتشك الى خلق فتشمته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره
ولايغرك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فماتلقاه فى عدة
وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم(١٢٢)

ينهى أبو الطيب عن الشكوى ، لأنه يرى أنها تؤدى الى الشماتة نظرا لاستشراء الكذب بين الناس ، لذلك يأمرنا بأخذ الحذر والحيطة وعدم الاغترار بما يظهرونه من بشاشة ورضا . فالناس جميعا فى نظره كذابون أفاكون .

لقد عبر عن هذا المعنى فى أسلوب جميل ، ينم عن مقدرة الشاعر وتملكه ناصية الشعر حيث بدأ أبياته بالنهى عن الشكوى ، التى تدل على الذل والهوان والانهزام ، كشكوى الجريح الى طيور الغربان والرخم ، التى تتمنى موته لتأكل لحمه ، وهو لايستطيع دفعها .

والشاعر وهو يطلب عدم كشف شكوى المخاطب للناس ، فانما يريد أن يحذر من مغبة ذلك ، حيث أنهم اذا ماتضحت لهم استغلوا الموقف لممارسة خبثهم .

---

(١٢٢) ديوانه ١٦٢/٤ ، معجز أحمد ٢٤٩/٤ .

وأخيرا وضح السبب الذى من أجله نهى المخاطب عن الافصاح بشكواه ، فقد زال الوفاء فى كل الأمور وقل الصدق على الحالين : الاخبار والقسم .

ويجمل بنا أن نشير الى بعض الملامح الفنية فى هذه الأبيات ، حيث نجد التشبيه فى قوله : "شكوى الجريح الى الغربان والرخم" ، والاستعارة فى قوله "غاض الوفاء ..." ، والجناس فى : "تشك ـ شكوى" .

قد يجبر الدهر المرء على الكذب فى مدح من ليسوا أهلا له وهذا ينبىء عن جهل منشئه، يقول أبو هلال العسكرى :

مدحت ولم تصدق ولم تك مذنبا
ولكن دهرا لم يساعدك مذنب
وماالجهل الا أن تقرظ معشرا
خلائقهم يشهدن أنك تكذب(١٢٣)

نلحظ على صياغة هذين البيتين تكرار النفى بشكل لافت للنظر ، ولعله يهدف من وراء ذلك الى تبرئة المخاطب ، مما وصم به من كذب . وقد لجأ الشاعر الى أسلوب القصر ، حيث قصر الجهل على مدح الذى لايستحق المدح .

ولم يسلم الكريم من الكذب ولاالحبيب من الخيانة وهى الكذب ، يقول الشريف الرضى :

كل جواد كاذب فى الوعد
وكل خل خائن فى الود(١٢٤)

اتسم هذا البيت بالتكرار اللفظى المشوب بالمبالغة ، فى حين أكد فى مماثلة بين الجواد والخل ، كذبهما وعدم وفائهما على حد سواء .

---

(١٢٣) ديوانه ص٥٣ .
(١٢٤) ديوانه ٣٢٨/١ .

ويرى الشريف المرتضى أن الكذب سيعود على صـاحبه مهما بذل فى تجنب ذلك من جهد ، فالكذب حبله قصير ، يقول :

وعضيهة جاءتك من عبق بها
أزرى عليك فلم يجزه كلامه
ورماك مجترئا عليك وانما
وافاك من قعر الطوى سلامه
وكأنما تسفى الرياح بعالج
ماقال أو ماسطرت أقلامه
وكأن زورا لفقت ألفاظه
سلك وهى فانحل عنه نظامه(١٢٥)

يتوجه الشاعر بحديثه الى المخاطب لكى يسليه عما وقع عليه من كذب وبهتان ، وموضحا أن ذلك دليل على ضعف من وصمه به ، غير أن تلك الكذبة لن تزحزحه ولن تؤثر فيه ، فهو طود أشم ، يمتص مثل تلك الترهات ، ولن يكون لها أثر فيه .

وقد عبر عن هذا المعنى فى أسلوب واءم فيه بين المعنى والألفاظ ، التى جاءت مواكبة للمعنى . فالكذبة التى أطلقت على المخاطب كان مطلقها من المفتونين بها ظنا منه أنها ستشيع بين الناس وتحدث من الضرر ماكان يرمى الى احداثه ، ولكن ظنه خاب .

يقول : "وعضيهة جاءتك من عبق بها" . غير أنه من العجز أن ينال من المخاطب ، يقول : "أزرى عليك ..." ويؤكد ضعفه وعدم قدرته ، بوضعه فى قاع البئر مجازا ، وهو يتأهب لاطلاق كذبته ، وكذا بعد الكاذب .

---

(١٢٥) ديوانه ١٦٠/٣ .

كما أن المكانة الدنيئة التي يقبع فيها ، لم ولن تمكنه من تسديد سهامه .

وأمام تلك الاباطيل يشبه المخاطب بالريح الهوجاء التى تثير الرمال لتغطى ، بل لتزيل مايعترضها . كما شبه تلك الأكاذيب بألفاظ نظمت فى سلك سرعان ماانفرط وظهر زيفه .

وقد يكون الثراء من أهم العوامل المساعدة على التمادى فى الكذب ، فالثراء كفيل بالحصول على تصديق الناس ، يقول أبو العلاء المعرى :

اذا أقبل الانسان فى الدهر صدقت
أحاديثه عن نفسه وهو كاذب
أتوهمنى بالمكر أنك نافعى
ومأأنت الا فى حبالك جاذب
وتأكل لحم الخل مستعذبا له
وتزعم للأقوام أنك عاذب(١٢٦)

بدأ الشاعر حديثه بأداة الشرط ، ليوضح لنا رؤيته ، حيث أنه يرى تصديق الانسان فى بعض الأحيان انما يكون نتيجة لما يملك من ثروة ، والتى عبر عنها بقوله : "اذا أقبل ..." ، ويتساءل الشاعر مستنكرا على الكاذب ايهامه له ، وفى نفس الوقت يظهر استهجانه اياه ، حيث أنه - أى الكاذب - فى الواقع يجذب الشراك التى نصبها ، ثم يبشع كذبه - وهو يتظاهر بالورع - على من يصفيه الود ، بمن يأكل لحم أخيه .

ومن مظاهر الكذب الخلف بالوعد ، وعدم الصدق فى التعامل .

وقد يعمد مخلفو الوعد الى التضليل والتعمية ، يقول ابن أبى فنن :

---

(١٢٦) اللزوميات ٩٤/١ .
وانظر نفس المصدر ٣٦٨/١ ، ٥٤٨/٢، ٥٨٠، ٦١٦، ٧٠٢، ١٠٢٩، ١١٢٥ ، ١٥٣٢/٣ .

يقول لنا فى الجمعة السبت موعد

وهل جمعة الا ومن بعدها سبت؟(١٢٧)

عمد الشاعر لتأكيد عدم صدق الوعد الى الاستفهام الدال على التقرير هنا .

وقد غلب على تعبيره التحسين اللفظى ، ممثلا فى التكرار اللفظى بين الجمعة ، جمعة ، وبين السبت ، سبت .

ولعل من أشد أنواع الخلف ايلاما ، التنصل من الوعد ، والتحلل منه ، يقول منصور الفقيه :

من قال:لا فى حاجة

مطلوبة فما ظلم

وانما الظالم من

يقول : لا بعد نعم(١٢٨)

جعل الشاعر من يعد ويخلف الوعد ظالما ، وهى صفة ذميمة عند ذوى الألباب .

فالشاعر لايرى ضيرا فى عدم الاستجابة لأمر مطلوب ، مهما كان ذلك المطلوب ، غير أنه يرى أن من الظلم الفادح أن يمتنع بعد الايجاب .

لم ترق صياغة هذين البيتين الى مصاف الشعر الجيد ، بل غلبت عليها المباشرة وان كان قد أكد على ظلم مخلف الوعد فى قوله : "انما الظالم من ..." وتكراره النفى .

ويشكو ابن الحجاج من الخلف بالوعد ، الذى يفوق فى نظره ، مايحل به من مصائب ، فيقول :

انى ابتليت بأقوام مواعدهم

تزيد فوق الذى ألقاه من محن

---

(١٢٧) شعراء عباسيون ص١٤٥ .

(١٢٨) منصور الفقيه (حياته وشعره) ص١٣٤ .

ومن يذق لسعة الأفعى وان سلمت

منها حشاشته يفزع من الرسن(١٢٩)

يؤكد ابن الحجاج مدى قلقه من المواعد الزائفة، التى تعود عليها ، ولشدة حرصه ، فقد أضحى يخشى كل شىء ، ويتوقع عدم الوفاء فى كل لحظة .

وقد جعل اتصاله بغير الأوفياء مصيبة تضاف الى المحن التى تتالت عليه والتى تثقل كاهله . ثم ضرب مثلا لأولئك بلدغ الأفعى ، التى ان سلم منها اللديغ فلن يزول خوفه منها ، حتى أنه يظن أن الحبل أفعى .

وفى هذا اشارة الى سوء ظنه بالناس جميعا ، وأنهم كلهم على تلك الشاكلة .

ويتحدث البستى عن صديقه ، موضحا التباين بين صورته ، وطريقة معاملته ، المتسمة بالخلف بالوعد ، فيقول :

أخ لى أما خلقه فمطهم

جميل وأما خلقه فقبيح

له أسهم قد راشها بجفائه

وقلبى من تلك السهام جريح

مواعيده ريح ولاخير فى فتى

مواعيده عند الحقائق ريح(١٣٠)

يرى الشاعر عدم توافق المظهر الخارجى الجميل ، مع الخلق السىء الذى يتحلى به صديقه ، فما يمارسه من خلف أشد ألما على نفسه من ضرب السهام .

---

(١٢٩) معاهد التنصيص ١٩٢/٣ .

(١٣٠) أبو الفتح البستى (حياته وشعره) ص٢٤٠ ، وديوانه ص٥٨ .

لقد أجاد الشاعر فى هذه الأبيات ، حيث نجد المقابلة بين (خلقه مطهم وبين خلقه قبيح) . أما التفصيل فيتجلى فى قوله :

أخ لى أما خلقه فمطهم

جميل وأما خلقه فقبيح

ويجمل بنا أن نشير الى الزينة اللفظية كالجناس بين خلقه وخلقه ، أسهم السهام ، مواعيد ، مواعيده ، والتصدير بين ريح وريح .

ويستنكر أبو العلاء المعرى ، ماذهب اليه القوم من أن القياس ، يجيزلهم تصرفهم فى الوعد ، فهو يرى عدم جواز ذلك الخلف فى القياس ، يقول :

أبيتم سوى مين وخلف وغلظة

فليس لوعد فى الجميل نجوز

وان الذى تحكون ليس بجائز

ولكن سواه فى القياس يجوز(١٣١)

يرى الشاعر أن مثل هؤلاء ، قد أصروا على مخالفة الوعد وعدم الوفاء به .

ولقد عبر عن اصرارهم على الكذب بقوله : (أبيتم) وهذا ماجعل الشاعر يستبعد بل ينفى انجاز الوعد أمام اصرارهم العجيب . ويعمد الى (ان) ليؤكد عدم جواز مايتفوهون به من كذب ، حتى فى القياس .

ويعد المطل من مظاهر الكذب ، لمافيه من تسويف وتضييع للحقوق ، ولما له من أثر سلبى على العلاقات الاجتماعية ، وقد تحدث عنه ابن الرومى مستبطئا ، جحظة البرمكى ، فقال :

أبا حسن ان حبل المطا

ل ان مد كان بلا آخر

---

(١٣١) اللزوميات ٨٣٣/٢ .

فاما اصطنعت الى شاكر

واما اعتذرت الى عاذر

ولاعذر ان أنت خاتلتنى

عن العذر فعل امرىء ماكر(١٣٢)

أنشأ الشاعر هذه الأبيات يستبطىء جحظة ، مبتدأ بأداة النداء ، لكى يستحثه لانجاز ماوعد به ـ فالمطال فى الانجاز ليس له نهاية ـ فهو مخير فى أن يسدى المعروف له فيشكره ، أو يعتذر له فيقبل عذره، عبر عن ذلك بقوله :

فامااصطنعت الى شاكر

واماعتذرت الى عاذر

غير أن الشاعر لايعذره اذا حاول المماطلة والمخاتلة ، مقتفيا فى ذلك أثر الماكرين المخادعين .

وربما يجبر المرء على الوعد بالعطاء مجاراة للعادة فحسب ، رغم عدم قدرته على العطاء ، فيعمد الى المماطلة ، لهذا السبب أو لغيره من الأسباب يقول جحظة البرمكى :

اذا كانت صلاتكم رقاعا

تخطط بالأنامل والأكف

ولم تجد الرقاع على نفعا

فهاخطى خذوه بألف ألف(١٣٣)

استغرقت جملة الشرط بيتى الشاعر . فقد بدأهما بأداة الشرط منتقدا عدم تنفيذ ماأمر به له من صلة فى رقعة سلمها للمسئول عن الخزينة ، فاذا كان الأمر كذلك ، وأن هذه الرقاع لافائدة فيها ، سوى تنميق خطها والتفنن فيه ، فخطى أجمل منها بمراحل ، فلايكفينى ثمنا له سوى ألف ألف.

---

(١٣٢) ديوانه ٣/٩٨٤-٩٨٥ ، ٣/٩٩٢ .

(١٣٣) جحظة البرمكى (الأديب الشاعر) ص٢٨٩ .

وتحدث الشريف المرتضى عن المماطل ، فى معرض حديثه عن العدل والانصاف فقال :

كم فيكم من ماطل وعده
فان يجد يوما به أخلفا
ومن مصر زاد اصراره
ان ليم فى السىء أو عنفا؟(١٣٤)

فى أسلوب واءم فيه الشاعر بين اللفظ والمعنى ، تحدث عن تعجبه من أمر أولئك القوم ، بسؤال عن عدد المماطلين منهم والمخلفين بوعدهم حتى فى حال جودهم ، وعن عنادهم كذلك ، الذى يزداد اذا ليموا على ذلك الخلق السىء .

ويرى الشريف العقيلى أن لجوء المماطل الى المماطلة ، مرده قصر الهمة فى الفضائل ، رغم غطرسته وتعاليه ، فقال :

قرونك تحت أقصرها الثريا
ونفسك تحت(١٣٥)همتها الحضيض
قتلت بسيف مطلك حى وعدى
فلم يقعد عن النار القريض
اذا قعد الوفا بك عن حقوقى
فمالك فى قضا حق نهوض(١٣٦)

واضح أن مهجو الشاعر ، قد بلغت به الغطرسة ، والتعالى مبلغا ، غير أن حظه فى الفضائل فى الحضيض . ولكى يبين ثقل ماوقع عليه من المهجو

---

(١٣٤) ديوانه ٢/٢٦٢ .
(١٣٥) هكذا وردت فى الديوان .
(١٣٦) ديوانه ص١٩٢ .

عقد مقارنة بين مطله الذى قتل الأمل فى نفسه وبين النار بعد توهجها وهى تتلاشى ثم تنطفىء . وأخيرا لجأ الى أسلوب الشرط ، ليوضح عدم وفائه بوعده .

كما لجأ الشاعر فى تعبيره الى المقابلة لما لها من أثر كبير فى شحذ الذهن ، ووضوح المعنى ، حين قابل بين (تحت أقصرها الثريا وبين فوق همتها الحضيض) ، وبين (قعد ، نهوض) .

واذا كانت الغوانى تنفر من الشيب ، فان من هجاهم ابن حيوس ، ينفرون بنفس الدرجة ، ممن يشفع لديهم ، نظرا لما جبل عليه من الامهال ، بل الاهمال واللامبالاة يقول :

عصب موقع الوسائل منهم
موقع الشيب من ذوات الحجال
وعدهم معوز فان بذلوه
فهو وقف على المطال المطال
واذا ماالحاجات حلت لديهم
متن طوع الامهال والاهمال(١٣٧)

يبدو أن المماطلين كثر ، لذا بدأ الشاعر أبياته بـ (عصب) ثم كرر ضمير الغيبة ، موضحا أنهم يكرهون الوسائل التى يتقدم بها أصحاب الحاجات اليهم ، وينفرون منها ، كما تنفر النساء من الشيب . فوعدهم يفتقر للوفاء به فى وقته المحدد ، واذا ماعنت الحاجة لديهم ، فان التأخير ، بل الاهمال هو مصيرها .

---

(١٣٧) ديوانه ٢/٤٥٩ .

ولذلك فقد لجأ الشاعر الى أسلوب الشرط ، كما هو واضح فى البيتين الثانى والثالث .

واذا كان الشاعر قد اهتم بالمعنى فانه لم يغفل الزينة اللفظية ، ممثلة فى الجناس ، بين المطال والمطال ، وبين الامهال والاهمال .

وأخيرا تملأ الحيرة الشريف الرضى ، أين يتجه بشكواه من هذا الداء ألصديقه؟ أم للزمن؟ فقال :

أشكوك أم أشكو الزما

ن لأن مطلك من ذنوبه

بل أشتكيه فكم دفعـ

ـت الى الغرائب من خطوبه(١٣٨)

غلبت المباشرة على صياغة هذين البيتين ، فقد طرح تساؤله على المخاطب أيتقدم بالشكوى منه؟ أم من الزمن الذى تفشى فيه المطل والتسويف ، لكن الشاعر كفى المخاطب مؤونة الاجابة ، حيث قرر شكوى الزمن ، الذى رزأه بكثير من مصائبه ، يظهر ذلك من قوله : (فكم دفعت الى الغرائب من خطوبه) .

---

(١٣٨) ديوانه ١٨٧/١ .

فى الحسد[١٣٩] :

لقد كانت الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى مرتعا خصبا للحسد ، نتيجة للنقلة الحضارية ، وماترتب عليها من ابراز طبقة معينة من الناس بسبب اتصالهم بالدولة وخدمتها .

وتنافس الناس فيها هو الذى أدى بالضرورة الى التنافر والتقاطع بين فئاته المختلفة ، وبخاصة المبرزون منهم الذين حققوا مكاسب كثيرة ، فى شتى مناحى الحياة ، فقد كانت تلك المكاسب المادية والنجاحات الاجتماعية والسياسية ، وغيرها مبعثا للحسد واستفحال أمره ، لذلك فقد كان الأثرياء وذوو الجاه من الناس معرضين للحسد دون فقرائهم، اذا فالنعماء والحسد مقترنان . يقول البحترى :

محسد بخلال فيه فاضلة
وليس تفترق النعماء والحسد[١٤٠]

وينهى ابن وكيع التنيسى عن حسد الصديق فيقول :

لاتحسدن صديقا على تزايد نعمه
فان ذلك عندى سقوط نفس وهمه[١٤١]

ولهذا فابن المعتز يتلذذ بالحسد ، لأنه يرى أن زواله مؤذن بزوال المجد والسؤدد ، يقول :

واذا ملكت المجد لم
تملك مودات الأقارب
والمجد والحساد مقرو
نان ان ذهبوا فذاهب

---

(١٣٩) الحسد : أن تتمنى زوال نعمة المحسود اليك . اللسان (حسد) .
(١٤٠) ديوانه ٤٩٦/١ .
(١٤١) ابن وكيع التنيسى (شاعر الزهر والخمر) ص٩٥ .

واذا فقدت الحاسد
ين فقدت فى الدنيا الأطايب(١٤٢)

ولكى يبرز الشاعر أن الحسد يدل على المكانة العلية التى يتسنمها المحسود ، عمد الى المقابلة ، فالمجد لايتواءم مع محبة الأقارب . لذا أضحى الحسد علامة من علامات النعمة والمكانة الرفيعة ، فى حين يصبح فقد الحسود نذير بزوال النعمة وتسنم الرتب العليا .

ونجد فيما بين أيدينا من نصوص أن الثروة والمجد والسؤدد ، هى أهم دواعى الحسد ، لذلك فابن الرومى يرى أن من الظلم حسد الأغنياء الباذلين فى حين يرى أن من الانصاف أن يحسد ذوو الحسب والشرف ، يقول :

يظلم الحاسدون اذ حسدوه
وهو فى ماله شريك الأنام
غير حساده على الشيم الغر
ر اللواتى سلمن من كل ذام
فهم منصفون فى ذاك لاشك
ك لدى المنصفين فى الأحكام(١٤٣)

بدأ الشاعر أبياته بقوله : (يظلم) ليدلل على أن حاسديه يظلمونه بحسدهم ، لأنه من أولئك الأغنياء الذين يجودون على الناس ، مما منحهم الله من ثروة ، ثم يستثنى حسد ذوى الهمم والمجد والمكانة العالية له ، حيث يرى أنهم منصفون لأنهم يشاركونه هذه الصفات العالية . لقد وفق الشاعر فى هذه الأبيات فى توليده للمعانى .

---

(١٤٢) ديوانه ٤٠/٢ .
(١٤٣) ديوانه ٢٣٧٦/٦ ، ٣٢٢/١ ، ٦٧٤/٢ ، ٩٣١/٣ ، ١٣٨٠/٤ .

كما تحدث البحترى أيضا عن مكارم الأخلاق والنعمة فقال :

ولاعيب فى أخلاقه غير أنه
غريب الأسى(١٤٤)فيها قليل المساعد
مكارم هن الغيظ بات غليله
يضرم فى صدر الحسود المكايد
ولن تستبين الدهر موضع نعمة
اذا أنت لم تدلل عليها بحاسد(١٤٥)

يؤكد الشاعر على رفعة أخلاق الممدوح ، التى قل وجود نظير لها، مشيرا الى أن تلك الأخلاق الرفيعة والمجد الذى تبوأه ، هما السبب الذى أدى الى اضطرام الحقد فى نفوس حاسديه . ولكن العزاء كل العزاء ، أن النعم لاتظهر ولاتتضح الا عن طريق الحاسد ، وهذا يعنى أن الحاسد لاتضطرم جوانحه بالحسد والحقد الا جراء النعم الوفيرة ، التى أسبغها الله على المحسود .

ويرى الصنوبرى أن حسد الحاسد له دليل على وجود النعم التى أسبغها الله عليه ، لذلك يدعوه لحسده، بل ويشكره على ذلك . حيث قال :

أيها الحاسد المعد لذمى
ذم ماشئت رب ذم كحمد
لافقدت الحسود مدة عمرى
ان فقد الحسود أخيب فقد
كيف لاأوثر الحسود بشكرى
وهو عنوان نعمة الله عندى(١٤٦)

---

(١٤٤) الأسوة والاسوة : بضم الهمزة وكسرها : القدوة . اللسان (أسا) .
(١٤٥) ديوانه ٦٢٥/١ .
(١٤٦) ديوانه ص٤٧٢ .

يخاطب الشاعر الحاسد الذى وقف نفسه لذمه (الشاعر) ، ويأمره بمواصلة حسده اياه ، وفى هذا اشارة الى ثقة الشاعر بنفسه واعتداده بها ، فقد شبه حسده اياه بحمده من غيره . ويؤكد حرصه على بقاء حاسده بـ(لا) الدالة على الدعاء ، و(ان) التى للتوكيد ، بقوله :

لافقدت الحسود مدة عمرى

ان فقد الحسود أخيب فقد

وأخيرا يتساءل عن ايثاره الحسود بالشكر ، وفى نفس الوقت يجيب نفسه بأنه هو المؤشر لنعمة الله عليه ، بمعنى أن حسده اياه ، أظهر وأعلن مايتمتع به من نعمة ، وأن انقطاع ذم الحاسد ، يعنى زوال النعمة .

وبالقاء نظرة أخرى على هذه الأبيات نلحظ أن أسلوب الشاعر قد اتسم بتوليده للمعانى .

ثم تحدث ابن الرومى عن الحسد ، لكنه حسد لايقصد منه زوال النعمة ، بل هو حسد يقصد به أخلاق المحسود الرفيعة ، التى يتمنى أن يكون له منها بعضها ، وهذا معنى جديد سلكه ابن الرومى ، يقول :

هل يعرى امرؤ من الحسد المحـ

ض على نيل أفضل الأقسام

أنا من حاسديه لكننى لسـ

ت بباغ نعماه غير الدوام

حسدى أننى أريد لنفسى

بعض أخلاقه بغير اكتتام

واذا حاسد صفا من غليل

فهو فى وزن عاشق مستهام(١٤٧)

---

(١٤٧) ديوانه ٢٣٧٦/٦ .

بدأ الشاعر بأداة الاستفهام (هل) ليسأل عن مدى صدق خلو المرء من الحسد الخالص لمن حباه الله بأفضل النعم ، فقد ضرب مثلا حسيا ، حيث جعل الحسد كالكساء ، فقد عبر عنه بـ(يعرى) ، ثم أفصح عن حسده للممدوح ، غير أنه يوضح أن حسده لايتمنى به زوال النعمة عن المحسود ، بل انه يغبطه على المكانة الرفيعة ، ويتمنى أن يكون له بعضا منها .

ولكي يوضح كلف الحاسد بغبطة المحسود ، عقد مماثلة بين الحاسد الخالي من الضغينة وبين العاشق الولهان .

ولم يكن الفضل والمروءة ، هما مبعث الحسد فحسب، بل الرؤساء وعلية القوم كان لهم نصيب من مناصبة الحساد العداء لهم ، يقول ابن المعتز :

ياآل عباس لعا من عثرة
لاتركنن الى الغواة الحسد
اياكم من بعده اياكم
كونوا لهم كأراقم فى مرصد(١٤٨)

يدعو الشاعر للعباسيين باقالة العثرة والعز والتمكين ، على رغم حسادهم ومبغضيهم ، مبتدئا بياء النداء ، ومشيرا الى ذهابهم لحد بعيد فى الاطمئنان لحسادهم وتصديقهم فى ودهم المزيف ، وينهاهم عن الركون والاطمئنان للحساد ، فيقول : (لاتركنن ، اياكم .. اياكم .. كونوا لهم كأراقم) فهذه العبارات تدل على مايعتمل فى نفس الشاعر من غيظ من هؤلاء الحساد ، ومناصبة العداء لهم أينما حلوا وحيثما رحلوا .

ويبدو أن الحسد قد امتد الى الرؤساء أنفسهم ، يقول السرى الرفاء :

تحاسدت الملوك فليس تخبو
طغائنها ولاتفنى الحقود(١٤٩)

---

(١٤٨) ديوانه ٢٥١/١ .
(١٤٩) ديوانه ١١٤/٢ .

يتضح لنا من خلال هذا البيت أن الحسد لم يقتصر على الأفراد والجماعات من العامة ، بل تعداهم الى الرؤساء ، وهذا يدل على أن الحسد مركب فى النفس الانسانية أيا كانت مكانتها الاجتماعية والاقتصادية ، بل هو مستفحل مع تعقد التركيبة الاجتماعية .

ولعل حب التسلط والظهور واتساع دائرة الحكم من أهم العوامل التى أدت الى تحاسد الرؤساء .

فى هذا البيت اشارة الى أن تحاسد الرؤساء ، لم يكن وليد الوقت ، الذى كان يعيش فيه الشاعر ، لكنه ظهر منذ زمن مضى ، وفى نفس الوقت ينفى أن تهدأ حدته أو تزول ، فهو مسمار دق فى سفينة الخلاف بين الرؤساء .

ويرى ابن أبى طاهر أن حسد الحساد ، لذوى الفضل ، انما يزيدهم رفعة وسموا ، وعلى النقيض من ذلك الحاسد ، يقول :

ياحاسدا فضل امرىء سيد
أصبح قد أحسن فى فعله
لازلت الا باغيا حاسدا
لكل ذى نبل على نبله
وزاد من تحسده نعمة
دائمة تبقى على مثله
ولم يزل ذو النقص من نقصه
يحسد ذا الفضل على فضله(١٥٠)

لم يرق للشاعر مايلقاه ذو الفضل والمكانة الرفيعة ، من حسد الحساد ، لذلك بدأ أبياته بياء النداء، لكى يلفت انتباه القريب منهم ، لما سيقوله لهم

---

(١٥٠) بهجة المجالس ١/٤١٧ .

حيث وصفهم بالبغاة ، وقد عبر عن تأكيده لذمهم بما يشبه المدح ، لكن مايبعث السرور فى نفس الشاعر ، أن المحسود قد زاد فضله ونعمته ، فى حين لزم النقص الحاسد ، مابقى على حسده لذوى الفضل والنعمة .

أما أبو فراس الحمدانى ، فيرى أن لمجاهد الحساد أجر كأجر المجاهد ، يقول :

لمن جاهد الحساد أجر المجاهد
وأعجز ماحاولت ارضاء حاسد
ولم أر مثلى اليوم أكثر حاسدا
كأن قلوب الناس لى قلب واجد
ألم ير هذا الناس غيرى فاضلا؟
ولم يظفر الحساد قبلى بماجد؟(١٥١)

يشكو أبو فراس من الحساد الذين سعوا به ، الذين بلغت سعايتهم هدفها ، مما سبب له جرحا عميقا . ونظرا لما يعتمل فى نفسه تجاه هؤلاء الحساد ، فقد أكد على مضاهاة فضل مجاهدتهم ، بفضل الجهاد ، حيث بدأ بلام الجر فى قوله : (لمن جاهد ...) سيما وأنه قد أعلن عجزه وقصوره عن ارضاء الحاسد ، ثم صور حاله ، وقد كثر حساده ، بعقده مقابلة بين قلوب حساده وبين قلوب الأحبة تجاه معشوقيهم . يتضح ذلك من أسلوب التشبيه (كأن قلوب الناس لى قلب واحد) . ولضيقه بالحساد وتذمره منهم ، فقد طرح تساؤله عليهم : ألا يوجد من يتصف بالفضل غيره؟ فيتجهون اليه بحسدهم .

ورغم شكواه منهم ، الا أنه يفخر بنفسه فى ثنايا حديثه ، عندما وصف نفسه بالفضل .

---

(١٥١) ديوانه ص٥٣ .

ورغم صعوبة بلوغ الحساد مآربهم ، الا أنهم يصرون على بلوغها ، مهما واجههم من مصاعب وشدائد ، يقول البحترى :

لقد جشم الأعداء ورد نفاسة
عليك يلاقون الردى فى شروعه
وكم ظهرت بعد استتار مكانها
شناة خباها كاشح فى ضلوعه
ومرضى من الحساد قدكان شفهم
توقع هذا الأمر قبل وقوعه
وماعذرهم فى أن تغل صدورهم
على ناشر الاحسان فيهم مشيعه؟(١٥٢)

يصف الشاعر الحساد بالأعداء - فكلا الفريقين شبيه بالفريق الآخر - فهم يتكلفون المشاق ، ويعرضون أنفسهم للموت فى سبيل الايذاء .

لقد عبر عن حقدهم بقوله : (لقد جشم الأعداء ورد نفاسة) فالتجشم لايكون الا فى أمر جد صعب ، اضافة الى عقده مقارنة بين الحسد وممارسته وبين تزاحم الناس على مورد الماء وتقاتلهم عليه ، وكثيرا مايفتضح مايخفيه الحساد من حقد وبغض دفين ، رغم حرصهم على اخفاء مشاعر الحقد يظهر ذلك من قوله :

وكم ظهرت بعد استتار مكانها
شناة خباها كاشح فى ضلوعه

ويرى أن الحسد مرض ووباء مميت لمن تمكن منه ، حيث أنه يحس بحدوث الخير قبل أن يقع ويحزن له .

وأخيرا يوجه الشاعر سؤالا للحساد فى أسلوب تقابلى جميل ، مفاده ، ماالذى يجوز لكم الحسد والحقد، تجاه من أحسن وعمل على نشر الخير والاحسان؟

---

(١٥٢) ديوانه ١٢٧٨/٢ ، ٧٦٦/٢ .

ثم ان تفشى السر الذى كان مكتنزا بين أضلعهم ، أظهر مدى مايعتمل فى النفوس من حقد ، وان كانت هناك فئة منهم ، كانت تنظر الى فشل أولئك الحساد . واذا كان الحساد والحاقدون قد دأبوا على اخفاء حسدهم وحقدهم ، كما عرفنا عند كثير من الشعراء ، فاننا نجد أن الحال قد تغيرت عند الشريف الرضى ، حيث أضحى الحقد والحسد مجاهرا بهما، فى حين لم يعد للود والمحبة مكان ، بل أصبحت حياته كلها حقدا وحسدا ، يقول :

وحولى من هذا الأنام عصابة
تؤددها يخفى وأضغانها تبدو(١٥٣)

وبامعاننا النظر فى هذا البيت يظهر لنا مدى ضيق نفس الشاعر ، وتبرمه من الناس . فقد صور الشاعر نفسه ، وكأنه فى معركة أحاط به الأعداء من جميع الجوانب ، فى صورة تنم عن استفحال الشر وعدم قدرة الشاعر على الخلاص منه ، لاحكامهم قبضتهم واحاطتهم به احاطة السوار بالمعصم .

ويتحدث أبو العلاء المعرى عن تأصل الحسد فى النفس الانسانية ، فيقول :

فينا التحاسد معروف ، فهل حسدت
مجترة الابل أخرى ، مالها جرر
ماشرة من خليل النفس واحدة
لابل توافيك من تلقائه شرر(١٥٤)

فى أسلوب سلس وتصوير جميل ، يعترف المعرى بتأصل الحسد فى بنى آدم وانتفائه عن البهائم . فقد ضرب لنا مثلا حسيا ، بقوله : (فهل حسدت مجترة الابل أخرى مالها جرر؟) .

---

(١٥٣) ديوانه ٣٣٣/٢ .
(١٥٤) اللزوميات ٧٥٢/٢ ، ٢٢١،١٠١/١ ، ٧١٦،٥٦٣/٢ .

أما سورة الحسد التى ينطوى عليها الحساد ، والمتمثلة فى ايذائهم لأصدقائهم ، كلما واتتهم الفرصة ، فقد عبر عنها الشاعر بقوله : (ماشرة من خليل النفس واحدة) اذا فهو يتوقع من الصديق أن يزل مرات ومرات.

فتقديمه الجار والمجرور يدل على قصر خلق الحسد على الناس ، الذين استشرى فيهم الحسد وتعمقهم ، لأن هذا التقديم يفيد الاختصاص ، ولذلك أثبت الحسد للانسان ونفاه عن البهائم .

ولما كان من الصعب ارضاء الحساد ، والاقتصاص منهم ، فقد لجأ ابن نباتة السعدى الى الله للاقتصاص منهم ، فهو القادر على أخذ هؤلاء الحساد بجريرتهم ، يقول :

طلب الله بالضغينة قوما
حبسونا بمنزل جعجاع
أكلوا جارهم من اللؤم والدقـ
ـة[155] خرصا[156] وماهم بجياع
وأرادوا به البديل فباعو
ه بوكس والمجد غير مباع
ليتهم خولوا من الزهد والعفـ
ـة ماخولوا من الأطماع[157]

(١٥٥) الدقة : دقة بالكسر ، الأمر الغامض القليل الخير .
القاموس المحيط (دقة) .
(١٥٦) الخرص : بتسكين الراء المهملة ، الكذب ، وتحريكها الجوع ، وهى هنا بمعنى الكذب . اللسان (خرص).
(١٥٧) ديوانه ٢/٥٢٦ ، وانظر نفس المصدر ٢/٢٦ .

يصور الشاعر ممارسات الحساد فى صور تنم عما يعتمل فى نفسه من قهر وضيق ، معبرا عن ذلك بقوله : (حبسونا بمنزل جعجاع) فالحبس فيه تقييد للحرية ،و مما زاد قهرهم ، وآلامهم ، المكان الذى كان من الضيق والخشونة ، بحيث لايستقر بهم مقام .

بالاضافة الى حشده كثيرا من الصفات الذميمة ، كالغيبة والنميمة واللؤم والكذب ، التى يرى أنها تتمثل جميعها فيهم ، يقول :

أكلوا جارهم من اللؤم والدقـ

ـة خرصا وماهم بجياع

فقوله : (أكلوا ...) اشارة الى الآية الكريمة {أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه}(١٥٨). فقد قرن الحديث عن الناس ، ونقل الأخبار الباطلة عنهم ، بمثابة اقدام المرء على أكل لحم البشر ، الذى تأباه النفس ، لاسيما اذا كان ميتا ، ليدلل بذلك على بشاعة مااقترفه الحساد ضدهم.

غير أن الحساد عندما أقدموا على صنيعهم ذاك ، انما كانوا يرمون من ورائه الى الانتقاص من المحسود ، ذى المجد ، وماعلموا أن المجد ليس سلعة تباع ، لكنه اكتساب مشروع تحكمه العلاقات الحميدة والايثار واقالة العثرة .

---

(١٥٨) سورة الحجرات : آية ١٢

فى ذم اللحى والخضاب[١٥٩]:

اللحية علامة من علامات الوقار ، ان لم تكن علامة على تقوى الله ، ولـذا فان صدر من ملتح مايتنافى مع الورع والتقوى ، كـان ذلك أشنع من صدوره من غير الملتحى . لذا فتجاوز بعض المسلمين الملتحين فى أمور الدين كان موضوعا لنقد عنيف من الشعراء ، اتسم بالعمق والحدة ، رغم حساسية الاثارة وحرج الموقـف . ولعـل أول مـاأثار الشعـراء هـو عـدم الأخذ مـن اللحيـة . لقد نظر يزيد ابن مـزيد الشيبانى الى رجل ذى لحيـة عظيمة ، وقد تلففـت على صـدره ، فـاذا هـو خاضـب ، فقـال : "انك مـن لحيتـك فى مؤونة"[١٦٠].

ان عـدم الأخذ من اللحية ، والالتزام بالشكـل الجميـل ، أثار اهتمام الشعراء ، يقول ابن الرومى :

لحيةأهملت فسالت وفاضت
فاليها تشير كف المشير
مارأتها عين امرىء مارآها
قط الا أهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها
من رأى وجه منكر ونكير[١٦١]

---

(١٥٩) اللحيـة : بالكسر : شعر الخدين والـذقن جمع لحى ولحى . القـاموس (اللحيـة) . أمـا الخضاب ، فهو : مايخضب به من حناء ، وكتم ونحوه ... الخضـاب ، مايخضب به . اللسان (خضب) .

(١٦٠) الكامل للمبرد ٦٥٣/٢ .

(١٦١) منكر ونكير : فتانا القبور . أى لصا القبور . القاموس والمحكم (نكر) .
وقيـل نكير اسم أحد الملكين اللذين يقال لهما : منكر ونكير ، واللـه أعلم أو هو اسمهما ، أم من صفتهما . الجمهرة (نكر) .

فاتق الله ذا الجلال وغير
منكرا فيك ممكن التغيير
أو فقصر منها فحسبك منها
نصف شبر علامة التذكير
لو رأى مثلها النبى لأجرى
فى لحى الناس سنة التقصير
واستحب الاحفاء فيهن والحلـ
ـق مكان الاعفاء والتوفير(١٦٢)

لقد أثارت اللحية المهملة الاستهجان فى نفس الشاعر ، فأخذ يصور مراحل تكوينها ، فعدم الاكتراث بها من قبل صاحبها ، كان السبب فى اهمالها ، مما نتج عنه الزيادة فى طولها ، وهذه الزيادة بلغت حدا كبيرا لم يعد مقبولا ، حيث أضحت معلما بارزا يشار اليه ، فقد أكد الشاعر استنكار الجميع لمنظرها المزرى ، يقول : "مارآها قط الا أهل بالتكبير" ، هذه العبارة مشحونة بمشاعر السخرية والاستهزاء ، لحد الانبهار ، غير أن الفرق جد كبير بين الأمرين ، ففى الحالة الأولى بشاعة منظر اللحية وعدم استساغته أدى الى استنكاره ، بشكل مشوب بالذهول ، أما الحالة الثانية فالاهلال بالتكبير فيه تعظيم واجلال يليق بعظمة الخالق .

ثم عقد مقارنة حسية بين ماتبعثه تلك اللحية البشعة من خوف شديد يفوق ماتحدثه رؤية "منكر ونكير" . وهذه المقارنة بعثت الحركة والحيوية فى اللحية .

وبعد الخوف الشديد والاستهجان فى نفس الوقت ، تغلب على الشاعر النزعة الدينية ، يقول : "فاتق الله ذا الجلال ..." ، فهذه العبارة دائما

---

(١٦٢) ديوانه ٩٢٨/٣ ، ٥٨٥/٢-٥٨٦ ، ١٨٩٣/٥-٢١٢٢،٢٠٠٩ ، ٢٦٤٤/٦-٢٦٤٥ .

مايطلقها المتدينون ، اذا حزبهم أمر أو لم يرق لهم ، أو كان مخالفا للمعتقد فقد جعل من تقوى الله تغيير ذلك المظهر المزرى للحية ، الذى خلع عليه صفة المنكر . ثم نقل الحديث عن اللحية الى صاحبها ، حيث أخذ يبين له أنه لايطلب منه شيئا مستحيلا ، ولكنه يطلب أمرا باستطاعته الاضطلاع به ، فهو يخيره بين التغيير والتقصير ، موضحا المقدار الذى ينبغى أن تكون عليه اللحية ، يقول : "فحسبك منها نصف شبر" ، كما يرى الشاعر أن الغرض من اللحية هو مجرد التفريق بين الرجل والمرأة .

وأخيرا يقرر أن النبى صلى الله عليه وسلم لو رأى مثل تلك اللحى لأمر باحفائها وحلقها ، بدل الاعفاء والتوفير .

ففى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باحفاء الشوارب ، واعفاء اللحى"(١٦٣)

وأخيرا نلحظ من خلال تعبيره عن تلك اللحى فى البيتين الأخيرين ، أنه اشترط الرؤية نظرا لما تبعثه ، وماتحدثه من آثار فى النفس ، وبالتالى يصدر الحكم بعد تأمل وترو .

ويرى ابن لنكك أن اللحى بهذا الشكل لاتعدو كونها مشاركة شكلية فى الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية ، يقول :

لاتخدعنك اللحى ولاالصور ... تسعة أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا ... وليس فيه لطالب مطر

فى شجر السرو منهم مثل ... له رواء وماله ثمر(١٦٤)

---

(١٦٣) مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى ، ومعالم السنن لأبى سليمان الخطابى ١٠١/٦ .

(١٦٤) اليتيمة ٣٥٠/٢ .

بدأ الشاعر أبياته بـ"لا" الناهية ليدلل على مدى معرفته بالناس ، وفى نفس الوقت يظهر سخريته منهم ، حيث خلع على أكثرهم الصفة البهيمية ، يقول : "تسعة أعشار من ترى بقر" اذا فاللحية عنده مظهر من مظاهر الجهل والغباء .

ولكى يماثل بين تلك اللحى والصور ، فى عدم الاحساس ، عمد الى الواو لافادتها التشارك . ولم ينفك يتحدث عن أصحاب اللحى ، الذين جعل اللحية رمزا لهم ، فهم لاغناء فيهم ، ولاتدل مظاهرهم على مخابرهم ، يتضح ذلك من خلال عقده للتشبيه ، بينهم وبين السحاب الكاذب ، غير الممطر ، وتشبيه التمثيل فى قوله : "فى شجر السرو منهم مثل" . فالشاعر بهذين التشبيهين ، أكد أن المظهر لايدل بالضرورة على المخبر .

أما أبوهلال العسكرى فيرى أن الجهل والحمق سمةمن سمات أصحاب اللحى الكثيفة ، يقول :

قل للمدل(١٦٥)بلحية موفورة
وسماد لحية كل ألحى جهله
لايعجبنك طول بندك(١٦٦)انه
من طال لحيته تكوسج(١٦٧)عقله(١٦٨)

---

(١٦٥) المدل بكسر الميم : الخفى ، الشخص القليل الجسم .. المدل ، بفتح الميم : الخسيس من الرجال . اللسان (مدل) .

(١٦٦) البند : الذى يراد به علم الجيش ، فليس بالعربى الصحيح .
انظر : الجمهرة ٣٠٢/١ ، المعرب للجواليقى ص١٢٥ .

(١٦٧) الكوسج : الذى لاشعر على عارضيه ، وقيل الناقص الأسنان .. ويبدو أن الشاعر يريد به نقص عقل صاحب اللحية الطويلة .
انظر : المحكم ٤٢١/٦ ، المعرب ص٣٣١ .

(١٦٨) ديوانه ص١٨٣ ، ص١٥٠ .

ينصب حديث الشاعر فى هذين البيتين على من يهمل لحيته، ويتركها دون أن يأخذ منها ويجملها . فهو يرى أن طول اللحية ، فيه دلالة على جهل صاحبها .

يبدو من تعبير الشاعر ارتباطه بالأرض والزراعة ، يظهر ذلك من قوله "وسماد ..." فالسماد من مستلزمات خصوبة الزراعة ووفرتها . لقد ضرب الشاعر هذا المثل الحسى ليدلل على أن طول اللحية وغزارتها ، لايتأتى الا للجهلاء ، وذوى العقول الناقصة . فقد أكد نقص عقل المخاطب بقوله : "انه من طال لحيته ..." .

لقد كانت اللحية الطويلة ، مدار الحديث فى البيتين السابقين، فقد كررها ثلاث مرات ، لما فيها من دلالة على جهل حاملها ، فقد عبر عن ذلك الجهل بقوله : "وسماد ... جهله، تكوسج عقله" .

كما يظهر تأثر الشاعر بالألفاظ الفارسية المعربة ، من خلال قوله : "بندك ، تكوسج" .

والطول الناتج عن الاهمال قرين القبح ، ومظهر الحماقة ، لأنها فى تجاوزها للشكل المقرر ، أصبحت علامة على الدروشة ، يقول أبو جعفر البحاثى :

يالحية قد علقت من عارضى
لاأستطيع لقبحها تشبيها
طالت فلم تفلح ولم تك لحية
لتطول الا والحماقة فيها
انى لأظهر للبرية حبها
والله يعلم أننى أقليها(١٦٩)

---

(١٦٩) تتمة اليتيمة ص٢١٢ .

يعبر الشاعر عن حالة نفسية يمر بها ، فقد جعل محور حديثه يدور حول اللحية ، فقد بدأ حديثه ب"ياء" النداء - المفيدة للتقبيح - وأتبعها بكلمة "لحية" حيث جعل منها انسانا يسمع ، ثم أكد شدة قربها منه ، بقوله "قد علقت من عارضى" نلحظ من هذه العبارة أن اللحية ليست ماينبت على الذقن فحسب ، بل هى أيضا ماينسدل ويتدلى على العارضين . ويبدى تضجره منها نظرا لقبحها ، ومايبعثه منظرها من اشمئزاز ، أعيى الشاعر أن يجد له نظيرا فيشبهه به ، بقوله : "لاأستطيع لقبحها تشبيها".

وأنها وان طالت ، فليست ذات غناء ، ولافائدة ترجى منها ، يقول : "طالت فلم تفلح" ، ويبدو أن الشاعر كان يأمل من وراء اطلاقها أن تكسبه حمدا ووقارا أو تسعفه فى تسنم مركز اجتماعى ، لكنها خيبت أمله ، مما دعاه لوصمها بالحماقة ، يقول : "... ولم تك لحية لتطول الا والحماقة فيها". اذا فيأس الشاعر جعله ، يعد طول اللحية مظهرا من مظاهر الحمق . فبشاعة اللحية كانت مبعثا للسخرية من ناحية ، وأسلوبا رمزيا معادلا لكثير من المعانى المنافية لروح الاسلام ، كالنفاق ، الذى أفصح عنه فى البيت الثالث . فالشاعر يظهر حب اللحية ، وهو فى نفس الوقت يخفى مقته وكرهه لها .

وأخيرا نتساءل لماذا يخفى الشاعر كرهه للحى؟ ويجمل بنا أن نجيب عليه ، فنقول لعله كان يخشى من أن يتهم بالخروج عن العرف المتبع والمألوف ، ومن ثم تقدير ذوى اللحى ، لما تمثله من رمز دينى وحشمة ووقار .

واذاكان عدم الأخذ من اللحى قد أثار مشاعر الاستياء والسخرية، ممن يطلقونها ، فان هناك من يذم خروجها على الاطلاق ، لأنها تنبىء عن تحول صاحبها من حياة متفتحة الى أخرى قاتمة ، فمن نبتت لحيته فكأنما "قد انتقب بالديجور بعد النور فدولة حسنه قد دالت وأعرضت أيامه ، وانقرضت

دولتـه وأحكـامه . استحال خده دجا ، وزمـرد خطه سبجـا ، وأخمـدت نار حسنه بعد الايقاد ، ولبس عارضه ثوب الحداد"(١٧٠)

لعـل ذم ظهور اللحى للمرد يعـود لافتتان كثير مـن النـاس فى العصر العباسى بالغلمان ، يقول السرى عن المرد الذين نبتت لحاهم :

لكل شىء حسن آفة
وآفة المرد نبات اللحى
ياغصنا لما اكتسى نضرة
وابتسم النور عليه ذوى
أحلك الشعر محل القلى
وفل من جفنيك سيف الفنا
كسوف أقمار الدجا شنعة(١٧١)
فكيف ان حل بشمس الضحا
من سودت لحيته خده
مات وان لم يك رهن الثرى(١٧٢)

اقترن حديث الشـاعر عن اللحيـة بذكر المرد ، وهـذا يدفعنـا للاعتقاد بأنه لم يذم اللحيـة على وجه العموم ، ولكنه يذمها لـدى المرد فقط ، ولعل الشاعر ممن يهتمون بالمرد ، كعادة غيره من أبناء المجتمع آنذاك .

لقـد نعت المرد بالحسن والجمال ، غير أنه جمال يفسـده نبات لحاهم ، حيـث يغلب سواد الشعر على جمـالهم الفائق فيحجبـه . ولكـى يوضح تلك الصـورة أخذ يضرب مثلا حسيـا ، حيث تحدث عن الغصـن الممتلىء نضـارة وحيـوية ، ذو الأزهار المتفتحـة ، الذى لايلبث أن يذوب ويفقـد نضـارته .

---

(١٧٠) زهر الآداب ٧٣٢/٢ .

(١٧١) الشناعة : الفظاعة . والاسم : الشنعة . اللسان (شنع) .

(١٧٢) ديوانه ٢٩١/١-٢٩٢ ، وانظر نفس المصدر ٣٠٩،٢٥٠/٢ .

ونتيجة لظهور ذلك الشعر ، فقد أصبح ذلك الأمرد مكروها ، وأيضا أفقده مضاء جماله ، الذى كان يسلب به قلوب المفتونين به . ويعود ليضرب مثلا حسيا آخر ، لكى يعزز به ماذهب اليه من قبح منظر الأمرد ، الذى أدى الى النفور منه ، حيث حدثنا عن أثر كسوف القمر ، وهو يأتى والناس يخلدون للراحة والدعة ، لكنه يتساءل عما يحدثه خسوف الشمس فى وضح النهار . فالشاعر وهو يرمز الى الأمرد بالشمس فى توهجها وضيائها ، يريد أن يبين ، مدى تأثير ظهور الشعر على الأمرد ، الذى يفوق فى قبحه والاشمئزاز منه ، مشاهدة كسوف القمر وخسوف الشمس ، وطبعى أن الحرمان من اشباع الرغبة وممارسة المخالفات ، جعلت الشاعر يحكم على من ظهرت لحيته بالموت حيا . نظرا لفقده جماله ونضارته والاقبال عليه .

لقد نحا الشاعر فى حديثه عن اللحى منحى آخر ، فهو لم يكن ينتقدها لأنها طويلة ، أوماشاكل ذلك ، لكنه يقليها لأنها أفقدته نضارة فتاه وهذه عادة سيئة من عادات ذلك العصر .

لم يرق ظهور الشيب لبعض الناس ، وهو كما يقول الشاعر من المفاخر فى الاسلام . يقول بديع الزمان :

والشيب فى الاسلام حسبك مفخرا

فى عارضيك فلاترع لبياض(١٧٣)

ورغم أن الخضاب مظهر من مظاهر التزييف والخداع فى بعض الأحيان الا أن الاسلام قد أباحه ، لما له من أثر نفسى يتولد عن توهم الجمال ، بل أمر به ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "غيروا الشيب ولاتشبهوا باليهود والنصارى"(١٧٤).

---

(١٧٣) ديوانه ص٩٣ ، وترع وردت فى الديوان "تدع" وهو تحريف والصواب ماأثبتناه
(١٧٤) شرح السنة ٨٩/١٢ .

لذلك يلجأ من تحول لون شعره الى البياض ، الى الخضاب ، يقول الجاحظ :

ان حال لون الرأس عن حاله

ففى خضاب الرأس مستمتع

هب من له شيب له حيلة

فما الذى يحتاله الأصلع(١٧٥)

يجلب تحويل لون الرأس من البياض الى اللون القاتم ـ عن طريق الخضاب ـ متعة لدى من له شعر وافر ، لكن ماذا يصنع الأصلع حتى يخفى صلعته ؟

يبدو أن الشاعر يرمى الى معنى ، رمز اليه بالخضاب والصلع ، وهو أن هناك من يحسن التخلص والتضليل مما يقترفه من أعمال مشينة ، وفى المقابل ينكشف الذى يعدم الحيلة للتخلص مما يقترفه .

وقد يعمد المرء الى الخضاب من أجل اشباع نزوته ، يقول يزيد المهلبى :

صبغت الرأس ختلا للغوانى

كما غطى على الريب(١٧٦) المريب

أعلل(١٧٧) مرة وأساء(١٧٨) أخرى

ولاتحصى من الكبر الذنوب

---

(١٧٥) شعراء بصريون ص٨٨ .

(١٧٦) الريب المسك والتهمة . الجمهرة ٣٣٢/١ .

المريب : أراب الرجل : صار ذا ريبة فهو مريب . اللسان (ريب) .

(١٧٧) التعلة العلالة : مايتعلل به .

وفى حديث عاصم بن ثابت : ماعلتى وأنا جلد نابل؟ أى ماعذرى فى ترك الجهاد ومعى أهبة القتال ، فوضع العلة موضع العذر . اللسان (علل) .

(١٧٨) أساء : أساء الشيء : أفسده ولم يحسن عمله . اللسان (سوأ) .

أسوف[١٧٩] توبتى خمسين عاما

وظنى أن مثلى لايتوب

يقوم بالثقاف[١٨٠] العود لدنا

ولايتقوم العود الصليب[١٨١]

لجأ الشاعر الى خضب شعر رأسه ، ليخدع به الفاتنات ، وهو يمنى نفسه بالتوبة والعزوف عن الغوانى . وقد سلك أسلوب التشبيه للتعبير عن هذا المعنى ليبين انتفاء الفائدة من ذلك الخضاب ، اضافة الى الريبة والشك الذى يصاحب ذلك الخضاب ، كما تتضح النزعة الدينية التى تعتمل فى نفس الشاعر ، والتى لم يوفق فى الالتزام بها ، وردع نفسه عن مهاوى الرذيلة ، رغم المدة الزمنية الطويلة التى لم يستطع الوازع الدينى خلالها من التغلب على صبوته ، فقد عبر عنها بقوله : "أسوف توبتى خمسين عاما ..." .

ولكى يقطع الأمل فى رجعته وانضوائه تحت لواء الحق والعدل ، ضرب لذلك مثلا حسيا ، وهو أن العود طالما كان غضا لدنا ، فانه يسهل تقويمه ، أما اذا يبس ، فيستحيل تقويمه ، تماما كحال الشاعر بعد أن كبر ، وقد شب على الغواية ، فمن الصعب اصلاح ماأعوج ، بعد أن تمكنت منه الغواية ، يقول :

يقوم بالثقاف العود لدنا

ولايتقوم العود الصليب

ويتحدث كشاجم عن اللحية المخضوبة ، وقد بدأ الخضاب يزول عنها أو زال . فقال :

---

(١٧٩) السوف : الصبر ، وسوفت الرجل أمرى تسويفا أى ملكته . اللسان (سوف) .

(١٨٠) الثقاف : حديدة تكون مع القواس والرماح ، يقوم بها الشىء المعوج . اللسان (ثقف) .

(١٨١) شعراء عباسيون ص٢٤٠ .

ياخاضب الشيب والأيام تظهره
هذا شباب لعمر الله مصنوع
أذكرتنى قول ذى لب وتجربة
فى مثله لك تأديب وتوزيع
ان الجديد اذا مازيد فى خلق
تبين الناس أن الثوب مرقوع(١٨٢)

يبدو أن خيال الشاعر قد طاف به ، وهو يتملى الكون ، حيث امتزج خياله بخبرته المعرفية ، فالشيب لم يكن وليد اللحظة ولكنه كان نتاج سنوات عديدة ، بل انه نتيجة حتمية لامناص منها . لذلك فمهما حاول الخاضب أن يعيد النضارة والشباب والحيوية ، فى الظاهر ، بفعل خضب الشعر ، فلن يستطيع أن يكفل الشباب والحيوية ، بل ان ماقام به لايعدو أن يكون تزييفا مصنوعا لاغناء فيه .

واضح أن الشاعر قد توجه بحديثه الى خاضب الشيب ، حيث بدأ بـ(ياء) النداء لما لها من أثر فى شد انتباه الخاضب ، لكى يعمل فكره ، فيما سيحدثه به الشاعر . فقد كان السبب فى أن يتذكر الشاعر قول المجرب اللبيب ، وفحواه أن كل شيء يزاد لايمكن بأى حال أن يندمج مع سابقه ، دون أن يكون هناك رتق بينهما . وفى هذا دعوة للخاضب ، بأن يعود الى مخزونه المعرفى ، فحتما سيجد فيه مايبين له خطل ماقام به .

لقد اتجه الشاعر فى توضيح ذلك الى التأكيد بأن ، وحرصه على توضيح ماتذكره من أقوال المجربين ، بضربه مثلا حسيا ، حيث يقول : "تبين الناس أن الثوب مرقوع" فالثوب اذا حدث فيه خرق ، فان رقعه بالجديد مهما كان دقيقا ، لايمكن اخفاؤه ، فلايلبث الشيب أن يظهر .

الخضاب لايخفى مايظهره الواقع الفعلى من حقائق ، بله المبالغة فى التلون به ، لاتبرز الا الزائف من الأصيل ، يقول الشريف العقيلى :

---

(١٨٢) ديوانه ص١١٩ .

أيامن غدا يعنى بحال خضابه
ويجمع من أخلاقه كل مظلم
اليك فما تحظى بوصل مليحة
اذا كنت تلقاها بوجه مسخم
وهبه أتى منه شباب مزور
أترضى شبابا تشتريه بدرهم(١٨٣)

بدأ الشاعر بـ"أيا" لكى ينبه المخاطب ويشده لسماع استهجانه له ، جراء عنايته بخضاب شعره. ويبدو أن المخاطب كان يخضب شعره بالسواد المخالف لأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : "ان أحسن ماغير به الشيب : الحناء والكتم"(١٨٤).

يتضح من تعبير الشاعر أنه عد خضاب لحية المخاطب ، من التزييف والخداع ، لأنه لايمثل الحقيقة ، وأيضا قرن بين خضابه وبين أخلاقه ، حتى يصل الى اتهام المخاطب بالنفاق . ثم ينفى فى استهجان ، أن تكون عنايته بالخضاب ستكسبه القرب من الصبايا الحسناوات ، طالما أنه قد سخم وجهه بالسواد .

ويضرب أسوأ الاحتمالات فى أنه لو أحكم صناعته ، وظهر بمظهر الشباب المورق ، فهل يرضى فى قرارة نفسه بشباب قيمته بضع دريهمات؟

واضح أن المخاطب انما عمد الى خضب شعره ، كى يحظى بوصل الحسناوات ، غير أنه لم يوفق فى ذلك .

ولقد أفاد أسلوب الالتفات فى ابراز المعنى وتجليته .

لقد منح الشاعر نفسه صلاحية الحكم على المفسدة الداخلية لانسان ذلك العصر ، فهذا أبو العلاء يحكم باقتراف الظلم من قبل المزيفين ، فيقول :

---

(١٨٣) ديوانه ص٢٦٨ ، ص٧٨،٢٥٦ .
(١٨٤) شرح السنة ٩١/١٢ .

من يخضب الشعرات يحسب ظالما
ويعد أخرق كالظليم الخاضب
والشيب فى لون الحسام فلاتدع
جسد النجيع على الحسام القاضب
عمرى غدير كل أنفاسى به
جرع تغادره كأمس الناضب[١٨٥]

تتجلى قدرة الشاعر ، وتملكه لناصية الشعر ، فى هذه الأبيات ، من خلال توليده للمعانى ، فقد عد من يخضب الشعر فى زمرة الظالمين ، وفى استهجان ظاهر شبهه بذكر النعام وقد تملكته الشهوة ، التى يدل عليها احمرار ساقى الظليم ، وهنا تتضح غلبة الشهوة والسفه على من يخضب شعره اذا فالخضاب فى نظر الشاعر يدل على الصبوة والحرص عليها .

ثم ماثل بين بياض الشيب وبياض الحسام الناصع ، بجامع البياض فى كل .

ويمكننا أن نستخلص من هذه الأبيات ، أن الخضاب لايمكن أن يوقف تقدم السن ، أو يعيد نضارة الشباب مرة أخرى ، فالعمر فى نظر الشاعر كغدير يتناقص ماؤه شيئا فشيئا حتى ينضب ، بتوالى الجرعات التى هى الأنفاس . وهذه صورة فريدة سَبَقَ اليها أبو العلاء المعرى فيما أعلم .

---

(١٨٥) اللزوميات ١٩٥/١ ، وانظر نفس المصدر ٩٧٦،٦٦٠/٢ .

فى الجبن وقصر الهمة (١٨٦) :

الجبن ضد الشجاعة والاقدام . فهو من الخصال الذميمة التى يأباها الكرام من الناس .

لقد حفلت هذه الظاهرة باهتمام الشعراء فى العصر العباسى ، فقد أخذ الشعراء يعرضون بأولئك الجبناء وقصيرى الهمة ، عن طريق الحديث عن الشجاعة أمام الموائد ، وعند الجلوس مع الأقارب فى أوقات السلم ، وعن عدم دراية أولئك الجبناء بعواقب الأمور .

ولم يغفل الشعراء الحديث عن التواكل والخنوع الذى أضحى سمة من سمات الجبناء .

فعلى سبيل الهزل والضحك ، يتحدث القاسانى عن جبنه ، حيث حصر اقدامه وشجاعته ـ التى تفوق شجاعة الشجعان ـ أمام الأكل وهو يلتهمه بشراهة ، يقول :

أرى فى النوم رمحا أو سنانا
فأسلح فى الفراش على مكانى
ولكنى المبارز حين أدعى
الى أكل العصيدة والفرانى
وماعمرو هناك أشد منى
ولا العبسى عنترة الطعان
ولازيد الفوارس حيث أدنو
فألقى بالكلاكل والجران

---

(١٨٦) الجبان من الرجال : الذى يهاب التقدم على كل شىء ، ليلا كان أو نهارا . اللسان (جبن) .
أما قصر الهمة : فقصرت فى الأمر تقصيرا ، أى توانيت .
الجمهرة ٧٤٣/٢ .

ترانى عندها لينا نفيرا
اذا ماصطك منى الماضغان
أشد على الخبيصة لاأبالى
بأى جنوبها وقعت بنانى
وكم طبق رددت وليس فيه
من البقل المحصل حبتان(١٨٧)

هـذه ظاهرة جديدة ظهرت فى العصر العباسى ، قل أن نجد لهـا مثيلا فى العصـور السابقة ، ظاهـرة عدم الحرص على الاتصـاف بالشجـاعة ، وعدم الاستحيـاء مـن الاتصاف بالجبن . فـالشاعر هنـا يتحـدث عـن نوع معين مـن الشجـاعة اتصف به ، وهو شجاعتـه على الموائد لافى المعـارك الحربية . وربما يكون هذا راجعا الى أن الجهاد أصبحت له طبقة خاصة تنقطع له وهى طبقة الجند .

ومـن ناحية أخرى فان الحرص على المال اشتد فى هـذا العصر حتى أن بعـض النـاس كان يوفر المال بكـل وسيلة ، بما فى ذلـك التطفـل على موائد النـاس ، حتى أن الطفيليين أصبحـوا من الكثرة فى العصـر العبـاسى ، بحيث شكلوا ظاهرة تحدث عنها الشعر العباسى كثيرا .

اذا فـالنفس الأبيـة ، تأبى الـذل والخنوع والجبن ، وتتـوق الى الحرية والتعبير عمـا يختلج فى نفسهـا . ونخلص الى أن الجبن وقصـر الهمـة ، ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التى تناولها الشعر بالنقد والتحليل .

يقول دعبل بن على الخزاعى عن الجبناء :

أسود اذا ماكان يوم وليمة
ولكنهم يوم اللقاء ثعالب(١٨٨)

---

(١٨٧) ديوان المعانى ٢/٢٥٠ .
(١٨٨) شعره ص٥٥ .

فى مقابلة جميلة تحدث الشاعر عن الجبناء المتخاذلين مبينا مايظهرونه فى وقت الرخاء ، وفى المواقف التى تتطلب المتعة والوجاهة ، من شجاعة واقدام - وهى مقابلة ربما يكون قد أخذها من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الى الأنصار ، حين قال : "انكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع"(١٨٩) - لكن ذلك المظهر لايلبث أن يزول كالغمامة وهى تنقشع دون أن تمطر ، بل تتبخر كل تلك الوعود والشجاعة التى يتفوهون بها .

لقد عبر عن مظهر الشجاعة بالأسد ، لما يمثله من قوة وبأس ، وعلى النقيض من ذلك شبه الجبان بالثعلب الماكر ، الذى يختلق الحيل فى حال وقوعه فى مأزق .

والشاعر بهذا صور مهجوه فى حالتين ، حاله وهو يتأهب للأكل ليشبع نهمه وحرصه على ابتلاع أكبر كمية من الطعام ، فى شراهة منقطعة النظير ، أما حاله الأخرى ، فهى يوم يجد نفسه ، فى موقف لايحسد عليه ، يوم ملاقاة الأعداء ، للدفاع عن النفس والحياض ، حيث لايجد بدامن أن يهتبل الفرصة لكى يفر لعدم قدرته على قراع الخطوب .

ولايلبث الجبان أن تنكشف حقيقته اذا جد الجد ، يقول ابن الرومى:

رأيتكم تبدون فى الحرب عدة
ولايمنع الأسلاب منكم مقاتل
فأنتم كمثل النخل يظهر شوكه
ولايمنع الجرام ماهو حامل(١٩٠)

عمد الشاعر للحديث عن الجبناء الى التشبيه ، الذى ساوى فيه بين العاقل والنبات . فقد تساويا فى عدم القدرة على الدفاع عن النفس . ولقد كان لتصويره المنتزع من البيئة ، أثره فى ترسيخ صورة الجبناء ، فالقوة

---

(١٨٩) الكامل للمبرد ٢/١ .
(١٩٠) ديوانه ٢٠١١/٥ .

والعدة التى يحتمون بها ، ليست ذات غناء ، تماما كشوك النخل، لم يحل بين ثمره وجامعيه ، وفى هذا وهن وأى وهن .

يرمز الشاعر بهذه المقارنة الى استهجانه وسخريته بالجبناء .

واذا كان الجبان بصفة عامة محل مقت ونفور ، فمقتـه أكبر اذا اتصف بالجهـل ، اضافة الى جبنه ، لذلك يحذرنا أبو العلاء المعـرى من الاقتراب من الجبان الجاهل ، فيقول :

فلاتدن من جاهل آهل(١٩١)

لو انتزعت خمسه مادرى

أبى سيفه قتل أعدائه

وساف(١٩٢)وليدته أوهرا(١٩٣)(١٩٤)

ينهى الشاعر عن الاقتراب من الجبان الجاهل ، الذى يعيش بين أهله ، وقـد عبر عنه فى أسلوب ينم عن السخرية والاستهزاء فى قـوله : "لو انتزعت خمسه مادرى" . فى هذه الجملة اشارة لشدة فرقه وتبلد احساسه عند اللقاء ، حتى أن قـواه جميعها لاتستطيع الوقوف فى وجوه الأعـداء ، نلحظ ذلك من خلال أسلـوبه الاستعـارى فى قـوله : "أبى سيفـه قتـل أعـدائه" . وزيادة فى الاستخفـاف والسخرية من الجبـان الجاهل ، يفصح الشـاعر عـن مايمارسه من استعـراض لقوته وقدرته على الضعيفـات من امائه ، تلـك القوة التى لم يكن ليجرؤ أن يقابل بها الأعداء . وهذا ماحدا بأبى العلاء الى النهى عن معاشرة الجبـان الجاهـل، حيث أن الشـرفاء تأبى عليهـم نفوسهـم التخلـق بمثـل تلك الأخلاق التى يتصف بها ذلك الجبان .

---

(١٩١) آهل : له أهل . القاموس المحيط (أهل) .
(١٩٢) ساف : ساف المال يسوف ويساف : هلك . القاموس (سوف) .
(١٩٣) هرا : هراه هر وتهراه : ضربه بالعصا . القاموس (الهراوة) .
(١٩٤) اللزوميات ٧٩/١ ، وانظر نفس المصدر ٤٧٧/١ .

ونخلص الى أن الجبن سلوك تأباه الهمم العالية ، المعتدلة فى همتها وحرصها ، ولنعلم "أن الجبن مقتلة ، وأن الحرص محرمة"(١٩٥). ولهذا فالطريق الى الحياة الحرة الكريمة ، لايتأتى الا لمن يملك الشجاعة لمجابهة الأعداء ، ورد الظلم ، يقول أبو بكر رضى الله عنه : "احرص على الموت توهب لك الحياة"(١٩٦). وكثيرا ماكان بعض الشعراء العرب - على مر العصور - يتغنون بالأمجاد وينبذون الاستكانة والانهزام(١٩٧).

يقول المتنبى فيمن قصرت همته من الناس :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه

ومركوبه رجلاه والثوب جلده(١٩٨)

لم يكن الناس على وتيرة واحدة من الهمة واستشراف المجد . فنجد القادة والفرسان الذين يشرفون بما يقدمونه لأمتهم وأنفسهم من تضحيات تكسبهم الحمد من الجميع ، وعلى النقيض من هؤلاء ، نجد من تأصل فيهم الخنوع وقصر الهمة ، والرضى باليسير من العيش ، والاكتفاء بالدور المتواضع بين أبناء المجتمع . ان من هذه همته ، فقد ارتضى لنفسه أن يعيش أبد الدهر بين الحفر .

---

(١٩٥) الأدب الكبير ص٩٧ .
(١٩٦) بهجة المجالس ٤٦٦/١ .
(١٩٧) يقول امرؤ القيس فى علو الهمة .

فلو أن ماأسعى لأدنى معيشة

كفانى - ولم أطلب - قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل

وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

انظر ديوانه ص٣٩ .

(١٩٨) ديوانه ٢٣/٢ .

وفى موضع آخر يقول :

من يهن يسهل الهوان عليه

مالجرح بميت ايلام(١٩٩)

واضح من كلام الشاعر أن من تأصلت فيه الذلة والخنوع ، فلن يضيره شىء ، وهذا يعنى أنه قد فقد الاحساس ، وبالتالى فقد دوره المنوط به فى هذه الحياة.

فلم يعد يحفل بأى شىء ، ولايؤثر فيه شىء أيضا ، فهو كالميت الذى لم يعد يحس بما يجرى لجسده بعد مفارقة نفسه له . ان هذه المماثلة الحسية ، كان لها وقعها فى النفس لما فيها من استهجان بهذا الخانع ، الذى لم تنفع معه كل الوسائل التى من شأنها انتشاله ، وبعث الحياة فيه ، ولكن هيهات لمن هذا ديدنه .

ويفصح ابن وكيع عن قناعته بالخمول والاستكانة ، فيقول :

لقد قنعت همتى بالخمول

وصدت عن الرتب العاليه

وماجهلت طعم طيب العلا

ولكنها تؤثر العافيه(٢٠٠)

لقد تمكن منه الخمول وقصر الهمة ، يتضح ذلك من تأكيد قناعته باليسير من المكانة الاجتماعية ، وهذا يبرز لنا حالة الشاعر النفسية التى لم تتق الى الطموح ، وتسنم المناصب العالية ، التى ينشدها كثير من الناس ، ولعل للشاعر عذرا ونحن نلومه . فقد أوضح فى البيت الثانى أنه لم يكن

---

(١٩٩) ديوانه ٩٤/٤ .

(٢٠٠) ابن وكيع (شاعر الزهر والخمر) ص١٠٠ .

يعـزف عن المكانة الرفيعة ، لجهل منه ، ولكنه يخشـى من الوقوع فهو يدرك أن الطلوع واستشراف الأماكن العالية محفوف بالمخاطر ، لذلك آثر أن يبقى فى مكانه خشية أن يقع ، ويبدو أن هذه الخشية افراز لما كان سائدا فى تلك الحقبة من تنصيب وعزل ، بل ونكبة فى بعض الأحيان ، لكثير ممـن تسنموا المناصب العالية .

كما يتضح من تعبير الشاعر أنه رمز الى نفسه بالهمة ، لما لها من دلالة نفسية ، يغوص من خلالها الى دلالة عميقة ، تبين بشكل واضح ماتكنه نفس الشاعر .

ولم يجانب البحترى الصواب فى ذمه للفتيان ووصفـه اياهم بالأراذل ، حين قال :

وأكثر فتيان الزمان أراذل
موازينهم فى السرو غير ثقال
اذا كلفوا للمجد حسوة طائر
أطالوا الونى من سأمة وكلال(٢٠١)

لقد وصمهم الشاعر بانتفاء المروءة والشهامة وقصر الهمة ، يتضح ذلك من المماثلة الحسية التى عقـدها بين قصير الهمـة والطـائر ، حيـث قـرن مايقومون به من جهد ضئيل ، بما يحتسيه الطائر من الماء بمنقاره ، بجامع القلة والضعف فى كليهما .

وبناء على ضعفهم وقصر همتهم ، فانهم عند أدنى مهمة ، يظهر واضحا مدى تذمرهم وترددهم عن القيـام ، بما يوكل اليهم مـن مهام ، مهما كانت سهولتها .

---

(٢٠١) ديوانه ١٦٩٩/٣ .

ويعزو الأحنف العكبرى الذلة ، الى قلة مافى اليـد لدى سراة القوم ، وكثرته بيد الأنذال فقال :

عشت فى ذلة وقلة مال
واغتراب فى معشر أنذال
بالأمانى أقول لابالمعانـى
فغذائى حلاوة الآمال
لى رزق يقول بالوقف فى الر
أى ورجل تقول بالاعتزال(٢٠٢)

يصـور الشاعر حياته المعدمة ، التى تعاورت عليهـا ، عدة أمور أفضت به الى الذلة والخنوع .

فنظرا لقلة مافى اليد والشعور بالغربة وسط الأراذل وكـونه يعيش بين قوم أنذال ، فقد أحبطت همتـه ، وقضـى على طموحه ، ممـا جعلـه يقصـر نجاحه وتفوقه على الأمل .

فـالأمل وحده هو الذى بقـى للشاعر بعد أن فقــد الخلاص مـن الذلة التى عاشها ويعيشها ، وهذا يعنى أنه أسلم نفسه للخنوع والذلة .

وأخيرا يبين تردده فى اتخاذ القرار المناسب ، أيرضخ للأمر الواقع؟ أم ينزع القنـاع ويشمر عن ساعد الجد؟ معبرا عن ذلك بـ"الـرأى .. والاعتزال" حيث لم يقصد بهما المذاهب الدينية ، وان كان قد ورى بذلك ، ولكنه أراد بهما المعنى اللغوى ، أى التوقف عن ابداء الرأى واعتزال الناس .

ويرى ابن الحجاج أن الذلة تتمثل فى التبعية العميـاء ، حيث يقول :

---

(٢٠٢) اليتيمة ١١٨/٣ .

ان الملوك اذا هم اقتتلوا

أصبحت فيهم كلب من غلبا

فلذاك أسكر غير مكترث

وألف مع خيشومى الذنبا(٢٠٣)

يشير الشاعر الى النزاعات المحتدمة بين الملوك ، مؤكدا ذلك بأداة التوكيد "ان" وموضحا انحيازه الى جانب الغالب ، بل نصب نفسه محاميا عنه.

ثم يسخر من نفسه ويستهجنها ، لمدافعتها عن الغالب بخلع صفة الكلبية عليها ، حيث قال : "أصبحت فيهم كلب من غلبا" ، ثم ان خضوعه وقبوله الاهانة ، جعلته يقترف الأعمال المشينة ، غير عابىء بما يترتب عليها ، ولم يعد يهتم بالقيم والمنافحة عنها ، بل ألف العيش فى ذل وهوان ، اذ يقول "وألف مع خيشومى الذنبا" .

واضح أن الشاعر يرمى من وراء تعبيره "أصبحت فيهم كلب من غلبا" الى كونه أصبح بلاارادة ، ينجر خلف الغالب تماما كالكلب وهو يتبع صاحبه أنى ذهب . كما وضح مابلغه من الذلة والهوان ، فمن عادة الكلب اذا ذل لصاحبه أن يقارب بين أنفه وذنبه .

ويرى الشريف العقيلى أن الهوان كل الهوان ، يتمثل فى تطاول الضعيف ، القليل القدر على علية القوم ، فيقول :

ووضيع يقاوم الشرفاء

ويناوى الملوك والكبراء

ساحلى يغدو به الهجو أرضا

كلما راح بالهجاء سماء

---

(٢٠٣) اليتيمة ٦٨/٣ .

ذل شعرى فى عرضه بعد عز

فكأنى به هجوت الهجاء(٢٠٤)

يتضح من خلال هذه الأبيات ماتنطوى عليه نفس الشاعر من استعلاء وأنفه ، فهو يرى أنه فى هجائه للوضيع ـ كما يراه ـ قد امتهن الهجاء نفسه فكأنه فى هجوه له قد هجا الهجاء .

ويبدو أن مكانة الشاعر الاجتماعية ، جعلته يغلظ فى حديثه عن مادعاه بالوضيع .

أما الخباز البلدى فيدعو الى مسايرة الأوضاع ، فيقول :

ياذا الذى أصبح لاوالد

له على الأرض ولاوالده

قد مات من قبلهما آدم

فأى نفس بعده خالده

ان جئت أرضا أهلها كلهم

عور فغمض عينك الواحده(٢٠٥)

بدأ الشاعر أبياته بـ"ياء" النداء ، لكى ينبه المخاطب ، ويذكره بالموت الذى لامفر منه . ولكى يسليه أكد موت سيدنا آدم عليه السلام ، ثم أخذ يشحذ ذهنه ، بطرح تسأوله عليه ، عمن يخلد على هذه الحياة ، ويبدو أن الشاعر أراد أن يماثل بين الموت وبين الخنوع وقصر الهمة ، لذلك طلب من المخاطب الاستكانة ومسايرة الأوضاع ، واظهار البلاهة ، وهذا ينبىء عن تشاؤمه لانتفاء الفائدة من قبلهم .

ومن أهم الملامح الفنية التى بنى الشاعر حديثه عليها ، المقابلة ، فقد قابل بين "الوالد" وبين "الوالدة" ، وبين "مات" و"خالدة" .

---

(٢٠٤) ديوانه ص٤١-٤٢ .

(٢٠٥) شعره ص٣٠-٣١ .

الفصل الثالث

الإقبال على الماديات والحرص على المال

الإقبال على الماديات
والحرص على المال

(١) أثر المال فى العلاقات الاجتماعية .

(٢) البخل .

(٣) ظاهرة الكدية .

أثر المال فى العلاقات الاجتماعية :

لم يعد الوقار والنظرة الثاقبة والتروى فى الأمور التى تحدد مكانة الشخص بين أفراد مجتمعه ، بل بقدر مايملك من مال .

ولعلنا لانجانب الحقيقة اذا قلنا ان كثيرا ممن يملكون الدنانير الكثيرة لم يكونوا من ذوى الرأى الصائب ، والنظرة الثاقبة ، والحنكة والدربة .

بل نجدهم يتصرفون باستعلاء واضح ، يفرضه مايملكونه من مادة. يقول المتنبى :

فلامجد فى الدنيا لمن قل ماله

ولامال فى الدنيا لمن قل مجده(١)

اذا فقلة المال تخفض كثيرا من الناس - رغم أحقيتهم بتبوء أعلى الرتب - ممن تشهد لهم مواقفهم بذلك.

وقد يرفع أرباب المال الى الدرجات العليا ، وهم غير مؤهلين لذلك الشرف والمكانة المرموقة ، لفقدهم مقومات الرفعة والعلو .

وهذه ظاهرة تتورط فيها المجتمعات التى تبلغ فى تطورها مرحلة الترف والثراء الواسع .

ويجمل بنا أن نقف على بعض النصوص الشعرية التى تناولت هذه الظاهرة .

فقد عزا عمارة بن عقيل الحصول على المكانة الرفيعة الى المال ، فقال:

ويرفع المال أقواما وان خملوا

ويرزأ الفقر أقواما وان كرموا

وقد رأيت رجالا اذ رأيتهم

خلوا مواريثهم للناس واخترموا

---

(١) ديوانه ٢/٢٣ .

لم يحمدوا بالذى خلواوراءهم
ولم يحوزوابه الا الذى اجترموا(٢)

يبين الشاعر كيف أن المال يكسب صاحبه حظوة ومكانة علية ، حتى لو لم يكن صاحبه نشطا وعضوا فاعلا فى المجتمع ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن العدم يقلل من منزلة المعدم حتى لو كان كريما ذا رأى حصيف .

لقد كان لابتداء الشاعر أبياته بالفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار ، أثره فى بث الحركة ، اضافة الى المقابلة الجميلة بين المال والفقر .

ثم انتقل الى الزمن الماضى ، ليذكرنا بذوى الثروة ، الذين ارتحلوا الى الدار الآخرة .

وفى هذادعوة من طرف خفى الى الانفاق فى أوجه الخير ، الذى يعود بالنفع على منفقها يوم لاينفع مال ولابنون .

يتضح ذلك من تكرار أسلوب نفى الحمد والحصول على المكانة الرفيعة بعد الممات ، وقصر ذلك على الأعمال الصالحة التى اكتسبها فى الحياة .

واذا كان عمارة بن عقيل يؤكد أثر المال فى تكوين المكانة الاجتماعية لمالكه ، فان أبا العيناء يذهب الى أبعد من ذلك ، فيجعل للمال قدرة على قلب الحقائق فى أعين الناس ، يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه
لوجدته شر البرية حالا

---

(٢) ديوانه ص٧٤ .

ان الغنى اذا تكلم كاذبا
قالوا صدقت ومانطقت محالا
واذا الفقير أصاب قالوا لم يصب
وكذبت ياهذا وقلت ضلالا
ان الدراهم فى المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وهى السلاح لمن أراد قتالا(٣)

يتحدث أبوالعيناء فى أسلوب ساخر عن الموسر الذى يعتقد أنه ذو رأى صائب ، ينبغى الانصات له .

تظهر سخريته منه فى قوله : "تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقالا" . ففى هذه العبارة اشارة الى عدم الابانة والفصاحة ، وأن مايتفوه به مجرد ثرثرة ، ولم يكن تقدمه على الفصحاء والبلغاء الا لما يملك من ثروة فقط ، ثم يؤكد أن هناك خللا اجتماعيا يتمثل فى أن الغنى اذا تحدث كذبا جامله القوم وأثنوا عليه وصدقوه ، واذا ماتحدث الفقير المعدم بالصدق حكموا بكذبه ، لالشىء الا لأنه فقير معدم .

ويؤكد أيضا أن المال هو كل شىء فى الحياة ، فهو بمثابة الرداء الجميل الذى يخفى تحته ماالله عليم به .

وهو البلاغة كل البلاغة والسلاح الماضى أشد المضاء .

ويدلل أبو العلاء المعرى على مكانة صاحب المال ، بتفرق الناس عنه بمجرد خلو يده من المال ، فيقول :

---

(٣) أخباره ص٩٧ .

اذا قلت فوائدنا جفينا

بذاك يزم(٤) أينقه الخليط

ولم أوثر لمصباحى خمودا

ولكن خان موقده السليط(٥)

تتجلى قدرة أبى العلاء المعرى ـ الخبير بأحوال مجتمعه ، البصير بمجريات الأمور فيه ـ فى توليده للمعانى ، فى عبارات يفضح من خلالها الاعجاب المزيف ، الذى سرعان ماانكشف بمجرد نفاد المال .

فقد بدأ بأداة الشرط ـ مفخما نفسه باستعماله ضمير الفاعلين ـ وفى هذا اشارة الى تجمع الناس حوله الآن ، أما اذا زال السبب فى تجمعهم فلن يترددوا عن مقاطعته وجفائهم له ، ولعل جملة "يزم أينقه الخليط" تدل على شدة ألم القطيعة.

وفى دعة وتسليم لعوادى الزمن ينفى أن يكون قد حبذ العدم على اليسر ، مصورا ذلك فى أسلوب استعارى اعتمد فيه على الأمثلة المحسوسة ـ وقد غير الضمير من المتكلمين الى المتكلم المفرد ـ حيث شبه نفسه بالمصباح غير المضىء ، كما عبر عن خلو يده من المال بالزيت حين ينقطع عن الموقد ولعل الشاعر ينفى بذلك اللوم عن نفسه ويلقيه على الوضع الاجتماعى .

ووصم منصور الفقيه الناس بالتبعية لأرباب الثروة ، وفيها مافيها من امتهان للقيم ، يقول :

الناس أتباع من دامت له النعم

والويل للمرء ان زلت به القدم

---

(٤) يزم : زم الشىء يزمه زما فانزم : شده . وزم البعير بأنفه زما اذا رفع رأسه من ألم يجده . وزم الرجل بأنفه اذا شمخ وتكبر فهو زام . اللسان (زمم) .
وأينقه : وقد أنقت به أى أعجبت . الأساس (أنق) .
والمقصود : سحب الاعجاب المشبوه .

(٥) اللزميات ٢/٩٨٦ .

مالى رأيت أخلائى وخالصتى
أساء مستكبر عنى ومحتشم(٦)
لما رأيت الذى يبدون قلت لهم
أذنبت ذنبا؟ فقالوا ذنبك العدم
والمال عز ومن قلت دراهمه
حى كما مات الا أنه صنم(٧)

يؤكد لنا الشاعر صدق ماذهب اليه ـ عن طريق استخدامه أسلوب القصر ـ بأن المال هو العز والرفعة لمن يملكه ، لما يحدثه من حركة وتفاعل مع الحياة ، وقلته تعنى الجمود والثبات ، وعدم الحركة ، تماما كالصنم المنصوب الذى لايتحرك ، اضافة الى انتفاء الافادة منه .

ومادام أن المال هو المحرك ، فقد وصم الشاعر الناس بالتبعية لما فيها من ايماءه لترسم خطا أرباب المال ، دون وعى أو تمحيص ، بمعنى أنهم أضحوا مسلوبى الارادة ، ثم يشير الى حلول الشر بالمعدمين بمجرد حدوث أى هفوة.

ويضرب لنا مثلا بنفسه، وقد تنكر له أخص أصدقائه والمهتمين به ، بمجرد خلو يده من المال . ونتيجة لذلك التنكر ساوى بين المستكبر فى اساءته اليه وبين من يهتم به ، باستخدامه أسلوب العطف فى قوله : "أساء مستكبر عنى ومحتشم".

وأمام ذلك لم يجد بدا من أن يطرح تساؤله عن هذا التحول السريع الذى لم يكن يتوقعه وبخاصة ممن يجلونه .

جرت العادة أن يحتفل الناس بالأثرياء وينزلونهم فى غير منازلهم ، غير أن جحظة البرمكى ، أخذ يتعجب من ثرى بليد العقل ، فقال :

---

(٦) محتشم : قال بعض العرب ، انه لمحتشم بأمرى أى مهتم به . اللسان (حشم) .
(٧) منصور الفقيه (حياته وشعره) ص١٣٦ ، ص١٢٥،١٣٣ .

قلت لما رأيته فى قصور
مشرفات ونعمة لاتعاب
رب ماأبين التباين فيه
منزل عامر وعقل خراب(٨)

يبدو أن التباين العجيب لفت نظر الشاعر ، فأخذ يتملى صنع الله فى عباده ، وماأنعم به على أحدهم ، وهو لايستحق ذلك الانعام ، لعدم قدرته على التمتع به وتصريفه فيما يعود عليه بالنفع العميم ، وفى هذا اشارة الى حرمان من يتمتع برجاحة عقل وقدرة على تصريف الأمور ـ وربما عنى بهذا نفسه ـ وقد أشار الى الثراء بمظاهره ، من سكن فاخر ووفرة فى النعم غير المعيبة ، بقوله : "فى قصور مشرفات ونعمة لاتعاب" . ورمز الى المال ومايبعثه من حركة وحيوية بقوله : "منزل عامر" وفى المقابل عبر عن تبلد تفكير صاحب المال وخوائه ، وعدم قدرته على الاضطلاع بدوره فى الحياة ، بقوله : "وعقل خراب" .

لقد وفق الشاعر فى المقابلة بين عمارة المال وبين العقل الخراب ، لما فيها من اشارة الى قصور المال عن أن يحدث فى العقل مايبعثه من حيوية وحركة فى شتى مناحى الحياة .

ويرى الشريف الرضى ، أن الجبان الملىء قد يتساوى مع الشجاع المعدم ، يقول :

قد يبلغ الرجل الجبان بماله
ماليس يبلغه الشجاع المعدم
لاتخدعن عنه فرب ضريبة
ينبو الحسام بها ويمضى الدرهم(٩)

---

(٨) جحظة البرمكى (الأديب الشاعر) ص٢٧٥ .
(٩) ديوانه ٣٢٥/٢ .

بدأ الشاعر بيتيه بـ"قد" ليوحى بأن الوضع الصحيح خلاف مايحكيه هو ، وأن وجود هذا الذى يحكيه ، يدل على شذوذ الأوضاع الاجتماعية.

ورغم استخفاف الشاعر بالجبان الا أنه يحذر من الركون الى الدعة واستبعاد بلوغ الجبان بماله مبلغ الشجعان ، يظهر ذلك من قوله : "لاتخدعن عنه ..." .

ويصف أحمد بن فارس المقيم الذين يقومون على خدمة الأغنياء بالحمق فيقول :

ياليت لى ألف دينار موجهة

وأن حظى منها فلس افلاس

قالوا: فمالك منها؟ قلت يخدمنى

لها ومن أجلها الحمقى من الناس(١٠)

يظهر لنا أن الشاعر فقير معدم ، بدليل تمنيه الحصول على ألف دينار حتى لو كانت موجهة ، ليست ذات غناء ، ليخدع بها الحمقى من الناس .

فانتقاد الشاعر واستخفافه بعقول الناس فيه اشارة الى عدم استطاعتهم تمييز الغث من السمين أمام الاغراءات المادية .

ولذلك كان لنزعته النفسية الأثر الكبير فى أن يتحقق ماتمناه ، حتى يسعد بامتهانه اياهم .

ولم يكن الملوك بمنأى عن السعى وراء المال ، فقد يمتهنون أنفسهم من أجل الحصول عليه ، يقول مهيار الديلمى فى ذلك :

أذلهم الطلاب وعز وجهى

وضامهم الثراء ولم يضمنى

أحبوا المال فاعتبدوا ملوكا

وماكل العبيد عبيد قن

---

(١٠) اليتيمة ٤٠٢/٣ .

تنفخت الحظوظ لهم فظنوا

ورام البطن يسمن وهو يضنى(١١)

بدأ الشاعر أبياته بالذل لما فيه من اهانة وتحقير ومايترتب عليه من تصغير ، وفى المقابل عبر بالوجه ليدل على أعلا مراتب العز ، حيث أن الوجه يمثل أغلى مايعتز به المرء . ثم عبر عن الألم الشديد بقوله : "وضامهم الثراء" وينفى أن يكون قد تألم لعدم وفرة المال بيده .

أما تملك المال لعقولهم وسيطرته على وجدانهم ، فقد صيرهم عبيدا ، وفى هذا اشارة لعدم قصور العبودية على العبيد الخلص ـ لقد أجاد الشاعر فى تصويره لهذا المعنى فى البيت الثانى .

كما عبر عن اقبال الدنيا عليهم بقوله : "تنفخت الحظوظ لهم ..." .

لم يكن استقبالهم لها استقبال بصير فاحص ، تدل تصرفاته على رجاحة عقله ، بل كان مبنيا على الحدس والتخمين الذى جر عليهم الويل والخراب .

يظهر ذلك من قوله : "فظنوا ورام البطن يسمن وهو يضنى" ، فقد شبه المال فى أيديهم بورم البطن ، حيث أن ورم البطن لايدل على السمن ، ولكنه مصدر قلق وتعب لمن يحمله .

ويلفت نظرنا فى هذه الأبيات اتكاء الشاعر على المقابلة ، ثم لجوءه الى التحسين المعنوى المتمثل فى الطباق بين أذل وأعز ، ضام ولم يضمنى .

وكذا التدبيج الذى كان له أثره الكبير فى اضفاء مسحة من الجمال على الأبيات ، ولاننسى الدور الذى اضطلعت به الاستعارة فى البيت الأخير حيث وفق الشاعر فى تصويره لحال أولئك المخدوعين بالمال .

---

(١١) ديوانه ١٤٩/٤ .

ويتعجب بديع الزمان ممن يحرم نفسه من التمتع بماله ، ونسى أو تناسى أنه مهما طال به الأجل سيرحل ، ويترك ماجمعه من مال لمن بعده ، وربما كان من يأتى بعده هو زوج امرأته ، فقال :

عجبا من رجل ذى سعة
تأخذ الأيام من منسأته
يحرس المال ولايأكله
نظر البازى على مربأته
انما يجمع مايجمعه
راغم الأنف لبعل امرأته(١٢)

يبدى الشاعر تعجبه من انسان ملىء صرفته ثروته عن التفكير فى حياته وقوته التى تتناقص يومابعد يوم ، وقد أشار الى ذلك بقوله : "تأخذ الأيام من منسأته" ، مكنيا بذلك عن طول أجله الذى يتناقص يوما بعد يوم.

وقد جعل همه وغاية مطلبه الحفاظ على المال والذود عنه مترقبا الانقضاض عليه من كل جانب ، وماعلم هذاالمحروم أن هذا المال سوف يؤول لورثته وهو صاغر ، وزيادة فى الاستخفاف به قال :

انما يجمع مايجمعه
راغم الأنف لبعل امرأته

---

(١٢) ديوانه ص٤٦ .

وهذا يعنى أن ماله الذى حرم نفسه منه سيتمتع به زوج امرأته الذى سيقترن بها بعد رحليه .

فالشاعر وهو يبدى تعجبه من صاحب الثروة المحروم منها ، يشير الى تناقص قوته التى رمز اليها بقوله : "تأخذ الأيام من منسأته"، فالأخذ من الشىء يعنى نقصه بالضرورة . وقد أحسن الشاعر عندما قارن بين صاحب المال المحروم من التمتع به ، وبين طائر البازى وهو يرقب من مربأته ، فالمال بين يدى صاحبه لكنه بعيد لعدم تمتعه به ، وكذلك البازى لم تسعفه حدة نظره بالفوز بصيده .

ويظل العدم مصدر قلق وعدم رضا لكثير من الناس حتى لو كان المعدم من العلماء الأفاضل ، يقول أبو الفتح البستى :

بكت اذ رأتنى من حلى المال عاريا
ومن حلل الآداب والعلم كاسيا
وقالت وقد أذرت جمانا جفونها
أمثلك يلفى بالخصاصة راضيا
تعزى فشر من خلاء خزانتى
من المال أن أمسى من الفضل خاليا
على المرء نيل العلم فهو يحظه
وليس عليه أن ينال الأحاظيا(١٣)

يتضح لنا مدى التباين بين نظرة المرأة ونظرة الشاعر تجاه المال ، فهى ترى كغيرها أن السعادة والشرف والعلو لاتأتى الا بالحصول على المال ، أما الشاعر فيرى أن الفضل كل الفضل فى العلم .

---

(١٣) أبو الفتح البستى (حياته وشعره) ص٣٣٠ ، ديوانه ص٢١٧ .

ثم صور حال المرأة وهى تتحدث وقد عز عليه اكتئابها وحزنها الذى تحدثت عنه قطرات الدموع الناصعة البياض وهى تنساب من جفنيها ، وفى هدوء ممزوج بالحزن تتساءل : "أمثلك يلفى بالخصاصة راضيا؟" . وازاء تلك المشاعر التى تفيض بالحزن عليه ، يطلب منها أن تتجلد بالصبر ، فما تظنه نقصا فى حقه فلايراه شيئا ، اذا ماقوبل بالفضل والعلو .

وأخيرا يوضح رأيه فيما يجب أن يفعله المرء من حرص على التحصيل العلمى ، لاأن يلهث خلف الأمانى من أجل عرض من الدنيا قليل .

ويجمل بناأن نشير الى بعض اللمحات الفنية التى تضمنتها أبيات أبى الفتح البستى ، حيث نجد المقابلة فى البيت الأول وتكرار الفعل الماضى فى البيتين الأول والثانى ، والتصدير فى البيت الأخير .

ويعد ابن المعتز الثروة شرطا أساسيا فى تولى الرئاسة ، يقول :

اذا كنت ذا ثروةمن غنى

فأنت المسود فى العالم

وحسبك من نسب صورة

تخبر أنك من آدم(١٤)

بدأ الشاعر بيتيه بأداة الشرط ، مشيرا الى أهم شرط لتولى الرئاسة وتسنم الرتب العليا ، وهو المال . ولم يعد ينظر الى الأصل وكرم المحتد من حسب ونسب ، فقد انتهى دوره ، وليس يلزم للمرء الا صورة الآدمية التى تثبت نسبته لآدم ، وأن المعول عليه المال وحسب ، لتسنم المناصب العليا .

ويرى أبو الطيب المتنبى أن المجد لايتأتى الا بالمال ، فكلاهما متمم ومكمل للآخر ، يقول :

---

(١٤) ديوانه ٤١٨/٢ .

وأتعب خلق الله من زاد همه

وقصر عما تشتهى النفس وجده

فلاينحلل فى المجد مالك كله

فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذى المجد كفه

اذا حارب الأعداء والمال زنده

فلامجد فى الدنيا لمن قل ماله

ولامال فى الدنيا لمن قل مجده(١٥)

مما يلفت الانتباه فى صياغة هذه الأبيات تكرار لفظة "المجد"ولعلى لاأعدو الحقيقة اذا قلت أن هذه اللفظة تدل على ماتنطوى عليه جوانحه من طموح لم يتحقق له لاصطدامه بالواقع . لكنه أدرك أن قلة المال هى العقبة الكأداء والحاجز الذى يحول بينه وبين تحقيق طموحاته .

لذا نجده ينهى عن تبديد الثروة ويأمر بتدبيرها .

ويضرب لنامثلا حسيا عن طريق المقابلة بين المجد والمال ، حيث رمز للمجد ب"الكف" ورمز للمال ب"الزند" ، فالكف لايمكن أن يشتد عودها وتؤدى دورها الا بالزند ، فهو الذى يحركها وهو مصدر قوتها ، وفى المقابل نجد أن المجد لايكتمل ولايضطلع بما نيط به من مهام الا بالمال حيث أنه هو الذى يثبت دعائمه ، ويبعث فيه الحركة والحيوية .

---

(١٥) ديوانه ٢/٢٢-٢٣ ، معجز أحمد ٦١/٤ .

البخل (١٦) :

تحدث كثير من الأدباء والمفكرين عن هذه العادة السيئة . يقول الجاحظ : "وليس عجبي ممن خلع عذاره فى البخل ، وأبدى صفحته للذم ، ولم يرض من القول الا بمقارعة الخصم ، ولامن الاحتجاج الا بما رسم فى الكتب ، ولاعجبى من مغلوب على عقله مسخر لاظهار عيبه ، كعجبى ممن قد فطن لبخله ، وعرف افراط شحه ، وهو فى ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه ، ولربما ظن أن قد فطن له ، وعرف ماعنده ، فموه شيئا لايقبل التمويه ، ورقع خرقا لايقبل الرقع (١٧).

لقد عالج الشعر هذه الظاهر فى هذه الفترة ، موضحا صور البخل وسلوك البخلاء ، فى بناء فنى متسق مع الموضوع .

فعن انتشار البخل بين الناس ، يحدثنا أبو الفتح البستى ، فيقول :

هل منعم فى الناس أو مفضل
يرغب فى الشكر وفى الذكر
يجود بالقيراط من بره
ويأخذ القنطار من شكرى
كلا وقد غاب الندى والسدى
ومات أهل الفضل والقدر
وأصبح الناس ومافيهم
حر الى أكرومة يجرى
ماشئت من مال ومن ثروة
ومن عديد وافر دثر

---

(١٦) البخل والبخول : ضد الكرم . اللسان (بخل) .
(١٧) البخلاء ص٣ .

لكنهم من ضيق أخلاقهم
فى أضيق العسرة والفقر
والمال مالم يحوه عاقل
أضيع من عقد بلانحر(١٨)

بدأ الشاعر أبياته بأداة الاستفهام "هل" باحثا عن كريم سخى ، يقيل عثرته ، ولقناعته بعدم وجود ذلك الكريم المفضال ، أجاب على نفسه بالنفى قائلا : "كلا وقد غاب الندى والسدى" . فكلا تفيد انتفاء الكرم الذى عبر عنه بقوله "وغاب" ، فالغياب يعنى عدم الحضور وبالتالى انتفاء الكرم ، ويردف ذلك بقوله "ومات" فالموت يعنى الذهاب الذى لاعودة منه ، وفى هذا اشارة الى انقراض ذوى الفضل والكرم والمنزلة الرفيعة.

لم يكن اقلاعهم عن الكرم بسبب قلة مافى اليد ، بل يعود الى شح مقيت ، رغم مايتمتعون به من الثروة الطائلة ، التى أكدها الشاعر بتكراره عدد من الألفاظ التى تدل على الكثرة مثل : "ثروة ، عديد ، وافر ، دثر" .

ويعزو ذلك اليبس الى مايعتمل فى نفوسهم من أفكار ضيقة ، جعلتهم يدورون فى حلقة مفرغة ، مما جر عليهم البؤس والفقر .

ثم استدرك على الأثرياء قصور أخلاقهم وحنقهم بالرغم مما يتمتعون به من نعم ، مستخدما أسلوب المبالغة فى قوله : "فى أضيق العسرة والفقر" ليبين شدة الضيق الذى يعانون منه .

وأخيرا يؤكد عدم اضطلاع المال بدوره المنوط به ، بمقابلة حسية ، حيث قابل بين المال فى يد من لم يحسن التصرف فيه ، وبين عقد ثمين لدى الصائغ .

فالمال لاينبض بالحياة الا اذا كان بحوزة عاقل يعرف كيف يصرفه ، وكذا العقد لايكتمل جماله الا بتقلد الحسناء له ، فكلاهما يكمل الآخر .

---

(١٨) ديوانه ص٨٢ ، أبو الفتح البستى (حياته وشعره) ص٢٥٣ .

ويصور عمارة بن عقيل مايلاقيه الضيف من جوع ونصب بالصفراء ، ويذم أهلها لبخلهم ، فيقول :

ترى الضيف بالصفراء تغسق عينه
من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا
بها كل تنبال(١٩) كأن جبينه
قفاه اذا ماastنتج الضيف أخمدا
قصير يد السربال لم يسر ليلة
لنهب ولم ينقل الى الضيف مرفدا(٢٠)
ولم يهد جيشا نحو جيش ولم يقد
الى السلف الغادى نصابا مفأدا(٢١)

بدأ الشاعر أبياته بالفعل (ترى) - وكأنى به يريد أن يقول : من سمع ليس كمن رأى - ويدلل على الحال المشاهده للأضياف وهم يتضورون جوعا بـ"الصفراء" بكلمة "تغسق" على مظاهر الجوع التى تظهر ملامحها على عين المعدم ، الذى بلغ منه الجهد ، مبلغا لم يستطع معه طرد الذباب المتساقط على عينيه ، وكنى عن بخل سكان الصفراء بقصر القامة ، فقصورهم عن اكرام الضيف كقصر قاماتهم ، يقول :

بها كل تنبال كأن جبينه
قفاه اذا ماستنتج الضيف أخمدا

---

(١٩) التنبال : القصير . اللسان (تبل) .
(٢٠) المرفد : الرفد وهو القدح الضخم الذى يقرى فيه الضيف . اللسان (رفد) .
(٢١) ديوانه ص٤٠ .
ومفأدا : اذا شوى اللحم فوق الجمر فهو مفأد وفئيد . اللسان (فأد) .

يبدو واضحا تأثر الشاعر ببيت الأخطل الذى يقول فيه :

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم

قالوا لأمهم : بولى على النار(٢٢)

يجسد الشاعر بخلهم من خلال قوله : "بولى .." فى صورة تشمئز منها النفس ، كما يظهر لنا الدور الذى لعبه أسلوب التشبيه ، الذى ساوى بين الجبين والقفى ، الذين عبر بهما الشاعر عن "الكرم والبخل" ، حيث أن الجبين رمز للكرم وفضائل الأخلاق ، والقفى فيه اشارة الى البخل والترك . وبهذا التشبيه تساوى الجبين والقفا ، أى لم يعد هناك من يقوم باكرام الضيف ، بل يتوارون اذا نما الى علمهم وجود الضيف .

كما عبر عن بخل ذلك التنبال بـ"قصير يد السربال" فقصركم السربال قصد به القصور أى "البخل" وعدم بلوغ المأمول .

ويؤكد الشاعر خلو التنبال من الفضائل والشجاعة والكرم ، عن طريق تكرار النفى .

أما الباخرزى ، فان بخيله يعمد الى قفل بابه، بخلا على الطعام ، يقول فى ذلك :

قد قفل الباب بقفل له

من بخله خوفا على الأرغفه

وقال:ان أطعمت منها امرأ

لبابة انى كثير السفه

وطول الشارب كى لاترى

اذا تغدى حركات الشفه(٢٣)

---

(٢٢) ديوانه ٦٣٦/٢ .

(٢٣) ديوانه ص١٣١ .

اتكأ الشاعر فى هذه الأبيات على الزمن الماضى ، فقد بدأ أبياته بالفعل الماضى "قفل ، قال ، طول" . وأظهر تأكده من سلوكيات البخيل ، وتحققه منها من خلال صياغته ، حيث نجد الفعل "قفل" أتى تاليا لـ"قد"، كما أكد بـ"ان" فى قوله "انى كثير السفه" .

أما كزازة البخيل فقد كنى عنها الشاعر بقوله :"قفل الباب بقفل له" فالقفل هو أداة المنع . ويبدو من الجار والمجرور "له" أن للبخيل طريقة خاصة يستعملها فى قفل بابه ، اضافة الى ماوصف به نفسه من السفه والعى فى قوله :

وقال : ان أطعمت منها امرأ

لبابة انى كثير السفه

فهذا دليل آخر على شدة بخله .

ثم يضرب لنا مثلا حسيا فيه استخفاف بالبخيل الذى يعمد الى تطويل شاربه ، حتى يخفى تحته حركات شفتيه عند الأكل لئلا يراه أحد .

ونلمس فى صياغة هذه الأبيات حرص الشاعر على الموسيقى الداخلية ممثلة فى تكراره لحروف بعينها مثل "الفاء" كما فى قفل ، قف ، خوفا ، الأرغفة ، السفه .

وتكراره لحروف متقاربة فى المخرج ، كالسين والشين ، فى "السفه، الشارب ، الشفة" .

ويرى دعبل أن الكريم هو الذى ينفق فى حال اليسر والعسر معا ، فذلك يدل على كرمه ، والنأى به عن البخل ، وفى هذا اشارة الى عدم اعتبار من يقتصر كرمه على الجدة ، والسعة من الكرماء ، يقول :

لئن كنت لاتولى يدا امرة

فلست بمول نائلا آخر الدهر

فأى اناء لم يفض عند ملئه

وأى بخيل لم ينل ساعة الوفر

وليس الفتى المعطى على اليسر وحده

ولكنه المعطى على العسر واليسر (٢٤)

أول مايلفت انتباه القارىء لهذه الأبيات ، تلك المقارنة التى عقدها الشاعر فى أسلوب استفهامى بين الاناء وقد ملىء وبين البخيل ، وقد أفاء الله عليه بالنعم الوفيرة . بحيث يفيد هذا الاستفهام الانكارى فيما يسن من مجارى الزيادة لافادة الآخرين . وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة فى الشرع والواقع ، فان الشاعر يؤكد باللام مع "ان" الشرطية على عدم البذل والعطاء الذى كنى عنه بـ"يدا" .

لقد عمد الشاعر الى النفى والايجاب لكى تتحقق المقابلة بين البذل وقت اليسر وبين العطاء على الحالين .

ومن صور البخل ، تقديم الطعام الردىء للضيوف ، ولهذا أخذ الحمدوى يسخر ممن يقدم ذلك الطعام ، فقال :

أتانا بخبز له حامض

شبيه الدراهم فى حليته

يضرس آكله طعمه

وينشب فى الحلق من خشنته

اذا ماتنفست عند الخوان (٢٥)

تطاير فى البيت من خفته

فنحن جلوس معا كلنا

نداری التنفس من خشيته (٢٦)

---

(٢٤) شعره ص١٥٧ .

(٢٥) الخوان : الخوان والخوان : الذى يؤكل عليه . معرب . اللسان (خون) .

(٢٦) ديوانه ص٧٨ .

يسـرد لنـا الشاعر قصة تقـديم أحد البخلاء الطعام لـه ولـرفاقه مشبها الخبز بالدراهم فى استدارتها ورقتها .

ثم صور مرحلة أكل ذلك الخبز تصويرا ، جعلنا نتفاعل معه ، فنتخيل تضـرس الأسنان بفعل الحموضـة ، ووقوف الطعام فى الحلـق لخشونته ولعدم وجود مايستأدم به.

ومـع كـل تلك الصفات التى تقلـل من قيمة ذلك الخبز ، نجد الشـاعر يصـور هيأتهم وهم يحيطون بالخوان ، والحذر يتملكهـم من أن يتنفسوا لئلا يتطـاير الخبز مـن الخوان فيحـرمون منه ، وفى هذا اشـارة الى شـدة حاجتهم للأكل ، وخفة ذلك الخبز الذى بلغ الغاية فى الرقة وقلة الوزن .

كما اتكأ على الزمن الماضى موظفا فى ذلك أسلـوب السرد القصصى ، جذبا للسامع وتشويقا له .

وامتهانا للبخيل لجأ منصور الفقيه الى مقارنته بالكلب ، وتقديمه الكلب عليه ، فقال :

مابالبخيل انتفاع
والكلب ينفع أهله
فنزه الكلب عن أن
ترى أخا البخل مثله(٢٧)

عقـد الشـاعر مقـارنة حسيـة بين البخيـل وبين الكلـب ، حيـث نفـى الانتفاع من البخيل ، وفى المقابل أثبته للكلب .

وبنـاء على هـذه النظرة النفعيـة ، نجد أن الكلـب أنفـع من البخيل ، ولهـذا نزهه وأجله عن أن يكـون مثله ، واحتفل به وقـدمه على البخيـل .

---

(٢٧) منصور الفقيه (حياته وشعره) ص١٢٨ .

فى هذه المقارنة امتهان أى امتهان للبخيل ، الذى فضل الكلب عليه ، لما عرف عن الكلب من ايثار ووفاء .

وتحدث ابن الـرومى عـن ازدياد بخل البخيـل ، كلمـا زادت ثروته ، فقال :

اذا غمر المال البخيل وجدته

يزيد به يبسا وان ظن يرطب

وليس عجيبا ذاك منه فانه

اذا غمر الماء الحجارة تصلب(٢٨)

استخـدم الشـاعر فى تصويره الأسلـوب المجـازى حيـث عـدل بكلمـة "غمـر" عن معناه الأصلى الى معنى مجازى بقـوله : "اذاغمـر المال البخيـل" . كمـا أنه لم يبعد فى تصويره عن البيئة ، فقد انتزعـه منها ، حيث عقد مماثلة بين البخيل والصلب من الحجارة ، فالبخيل يزداد بخلا كلمـا زاد ماله ، وكذا الحجارة تزداد صلابة كلما غمرها الماء .

فكثرة المال يقابلها غزارة الماء ، ويبس البخيل يقابله صلابة الحجارة ، وبهـذا يتضح لنا انتفاء الافـادة من البخيل ، لأن البخـل طبـع مركب فيه ، لايتغير بيسار أو اقتار .

ويرى العطوى أن العار كل العار فى البخل من قبـل الثرى ، يقول :

ماالفقر عار انما الـ

ـعار الثراء والبخل(٢٩)

يظهر واضحا نفى الشاعر العار عمن يتصف بالفقـر ، وفى نفس الوقت يؤكده بل ويحصره فى الثرى البخيل ، بتكراره كلمة "العار" .

---

(٢٨) ديوانه ١٥١/١ .

(٢٩) شعراء بصريون ص٤٥ .

وفى مبالغة تنم عن شدة البخل ، وتأصله فى البخلاء ، يتحدث البحترى ، فيقول :

لايعجبنك قوم أنت بينهم
فلست منهم على عين ولاأثر
الباخلون بماء المزن نشربه
والشاربون دواء البخل بالسحر(٣٠)

بدأ الشاعر بيتيه بلاالناهية ، لينبه المخاطب الى عدم جدوى من يظن أنهم ذوى غناء ، وفى نفس الوقت ينفى اهتمامهم به ، معبرا عن ذلك بقوله "فلست منهم على عين ولاأثر" وهو تعبير عن نفى كونه منهم كلية.

وعبر عن عدم جدواهم رغم مايملكون من ثروة بقوله : "الباخلون بماء المزن نشربه" ، فماء المزن يدل على وفرة الثروة بأيديهم ، أو ربما رمز به الى ضنهم حتى بما تجود به السماء من مطر ، وللمحافظة على بخلهم والبقاء فى منأى عن الكرم ، فانهم يعمدون الى شرب دواء البخل وقت السحر ، حتى لايصيبهم داء الكرم ، فينفقوا أموالهم . يقول : "والشاربون دواء البخل بالسحر" .

فى هذه العبارة جعل الكرم داء ، لكن ماالدواء؟ هل هو سلوك معين وتخطيط يحاك فى الخفاء؟ أم أنه اخفاء للثروة والتظاهر بالعوز .

من العلامات البارزة الدالة على البخل ، التعبيس وعدم البشاشة ، يقول الشريف الرضى فى ذلك :

أرى وجوها وأيمانا مقفلة
فمغلق البشر منها مغلق الجود
معبسين لئلا يحدثوا طمعا
للسائلين ولايوفوا بموعود

---

(٣٠) ديوانه ١٠٢٤/٢ .
وانظر نفس المعنى ٦٣١/١ ، ٨٧/٢، ٩٥٤، ١١٩٩ ، ١٣٨٨/٣ .

نوالهم بين صعب النيل ممتنع

بالمطل أو مستخس[٣١] القدر[٣٢] مردود[٣٣]

لما كانت الرؤية آكد من السمع ، فقد بدأ الشاعر أبياته بالرؤية ، وأخذ يضرب لنا الأمثلة المحسوسة ، لما لها من أثر يفوق التصوير الخيالى .

ففى حديث الشاعر مايوحى بشدة يبس الذين يراهم ، يقول : "أرى وجوها وأيمانا مقفلة" ، وقد جعل ـ مجازا ـ للوجوه والأيادى أبوابا توصد . يبدو فى ظاهرها العبوس ـ الذى ينم عن البخل ـ حتى يكون ذلك مدعاة لعدم طلب النوال منهم .

ويعزو صعوبة الحصول على نوالهم ، بل امتناعه الى المطل والتسويف أو رداءة مصدر غناهم ، يتضح ذلك من قوله : "أو مستخس القدر مردود".

وباعادة القراءة نجد أن الشاعر قد واءم بين المعنى والألفاظ ، وفى نفس الوقت لم يغفل التحسين اللفظى .

ويتحدث الشريف العقيلى عن شيوع البخل بين فئات المجتمع ، فيقول

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم

سوى من غدا والبخل ملء ثيابه

فجردت من غمد القناعة مرهفا

قطعت رجائى منهم بذبابه

فلاذا يرانى قائما فى طريقه

ولاذا يرانى جالسا عند بابه[٣٤]

---

(٣١) المستخس : الدون . القاموس (الخس) .

(٣٢) القدر : الغنى واليسار . اللسان (قدر) .

(٣٣) ديوانه ٤٠٢/١ .

(٣٤) ديوانه ص٧١ .

يعبر الشاعر عما يعتمل فى نفسه تجاه الناس ، الذين وصفهم بـ "بنى الدنيا" فضيقه بهم كان نابعا من معرفة تامة بهم ، يظهر ذلك من قوله "بلوت" الدالة على الاختبار والتمحيص .

أما تعمق البخل وتأصله فى نفوس بنى الدنيا ، فقد كنى عنه بقوله : "... والبخل ملء ثيابه". أى شديد البخل والشاعر هنا يقصد المبالغة والتأثير فى نفس السامع واثارة خياله ، ولذا فقد عقد العزم على مقاطعتهم .

وقد تحدث عن ذلك فى أسلوب استعارى يرمى من ورائه الى التشخيص ، حيث جسم المعنوى "القناعة" وجعله محسوسا كما لجأ الى التجسيد أيضا عن طريق اسناد الفعل "قطع" الى "الرجاء" ، حيث جعل الرجاء شخصا يقطع بالسيف .

ولعله يريد أن يبين سرعة قطعه صلته بهم .

ومما يؤكد ذلك ويشد الانتباه اليه الترديد فى البيت الثالث ، ومايحدثه من مفارقة بين القيام والجلوس .

ان الاتصاف بشدة البخل ، يبعث الشك وعدم التصديق بالكرم ، يقول مهيار فى ذلك :

لايضحك الأيام كذب مطامعى
الا اذا طالبتها بصديق
بخلوا بما وجدوا فلو قدروا لما
وجدت لهاة(٣٥)أن تبل بريق
ويئست حتى لو بصرت بنارهم
لقرى شككت وقلت :نار حريق(٣٦)

---

(٣٥) اللهاه : اللحمة المشرفة على الحلق أو مابين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . القاموس (لها) .

(٣٦) ديوانه ٢٩٨/٢ ، وانظر نفس المصدر ١٥٨/٣ .

استهـل الشاعر أبياته بـ"لا" النـافية لكى يجذب الانتبـاه ، وحتى يبعث الحركـة والحيـوية فى الأيام خلـع عليهـا صفـة مـن الصفـات الآدميـة وهـى "الضحك".

وبعـد نفيه الضحك عن الأيام ، اذا مـابدرت منه مطـامع كـاذبة ، أيا كانت تلك المطامع ، فانه يقصـر ضحكهـا واستهزاءهـا على حالـةواحدة وهى أن يطمع فى أن يجد صديقا وفيا ، لتعذر وجود ذلك الصديق الوفى .

ولشـــدة بخلهـم فـانهم يتمنـــون أن تكـون أرزاق الخلـــق بأيديهـم ، فيمنعـونهم اياها ، وقد عبر الشـاعر عن هذا المعنى بقـوله : "لما وجدت لهاة أن تبـل بريق" يفهم من هذه العبارة محاولاتهم الجادة ـ لـو قدروا ـ لملاحقة أقـدار الخلـق أينما كانت ومهمـا تكلفوا من مشاق حتى لـو كـانت فى منأى عنهـم تماما كاللهاة وهى تتـوسط الحلق ، فلو تحقق لهـم مـايريدون لما وجد الناس من الريق مايبل لهواتهم .

ان مثل هذه الأخلاق يدعو لليأس منهم ، وهذا مـاجعل الشاعر يشك فى قـراهم للأضياف ، حتى لـو رأى ذلك لاعتقد أنه مجرد اشتعـال نار حريق لاغير .

ويشير ابن هندو الى أن خزن المال والضن به مصـدر سرور للبخيل ، فيقول :

يسر بخزن المال قوم ولم أكن

لدى الخزن الا مثل تصحيفه حزنا(٣٧)

أفصح الشاعر عن رأيه فى البخلاء الذين يكنزون الأمـوال ولاينفقونها أملا فى أن تكون مصدر راحة واطمئنان لهم ، حيث يرى أنهـا مصدر حزن وقلـق ومبعث تعب وخيبة أمل ، فقد قصر أثر المال والبخـل به على التعب

---

(٣٧) تتمة اليتيمة ص١٦٤ .

والقلق والاضطراب لمالكه ، ثم يشير الى أن الفرق بين التمتع بالمال وبين عدم التمتع به جد يسير ، فمؤنته تضارع جناس التصحيف بين كلمتى "خزن وحزن" .

ويسخر أبو العلاء المعرى من البخيل الذى يعتقد أن دنانيره هى التى ستحميه من شدة البرد ، فيقول :

قر البخيل فأمسى من تحفظه
يلقى على الجسم دينارا فدينارا
يشكو الشتاء فيرجو أن يدفئه
أوقد صلاءك(٣٨) ليس العسجد النارا(٣٩)

يصور الشاعر حال البخيل وهو يبخل على نفسه بالغطاء ضنا على نفسه من بخله حتى أنه بعد أن بلغ منه البرد القارس مبلغا ، لم يلق مايقيه شدته سوى دنانيره الذهبية ، ولكن الدنانير ليست النار . ويقرن الشاعر بين الشكوى وبين الرجاء ، حيث يشكو البخيل من البرد ، ويرجو أن يقيه ماله البرد القارس .

ان مبعث سخرية الشاعر من البخيل يعود الى حرمانه نفسه من التمتع بماله ومكابدته لمعضلات الحياة وحيدا ، مبينا أن المال وحده لايكفى للحياة بل بالتعامل الحسن والبعد عن الاعتقاد الخاطىء ، المبنى على أن المادة هى كل شىء .

ولقد وفق الشاعر فى جذب الانتباه باعتماده فى صياغة بيتيه على الزمن حيث وضح من خلاله عدم اتعاظ البخيل بما لاقاه من متاعب فى الأيام الخوالى وكذلك تغييره للضمير من الغائب الى المخاطب .

---

(٣٨) صلاءك : الصلاة والصلى : اسم للوقود . اللسان (صلا) .
(٣٩) اللزوميات ٦٨٢/٢ ، وانظر نفس المصدر ٥٧٩،٥٤٩/٢ ، ١٣٣٨/٣ .

ويحدثنا جحظة البرمكى عن زيارته لبعض البخلاء الأثرياء ، فيقول :

دخلت على باخل مرة
وجنات بستانه زاهره
وقد قابل النور نقش الستور
فأعين زواره حائره
جنان تعجل للباخلين
ونحن نؤجل للآخره(٤٠)

كان البخيل الذى دخل عليه الشاعر ، يمتاز عن غيره من البخلاء ، بثروة كبيرة ونعم وفيرة . يتضح ذلك من عبارة "فجنات بستانه زاهره" فالجنات تعنى النعم الوفيرة والخضرة الدائمة ، كما أن كلمة "جنات" لها مدلول آخر فهى رمز من رموز الآخرة التى يتمناها كل مسلم .

لقد أصيب زائرو البخيل بالذهول وهم يرون مايرون من متع الحياة التى أفاء الله بها على هذا البخيل . لكن مصدر هذه الحيرة تردد أنظار الزوار بين الزهور الحقيقية والزهور المنقوشة على الستائر .

ويختم الشاعر أبياته بالمقابلة بين تعجيل النعم للبخلاء ، وارجائها للشاعر ورهطه .

أما صردر فتأبى عليه أنفته وتجمله ، أن يمتهن نفسه ويخضع للبخلاء ، يقول :

سيحرسنى التجمل من أناس
هم عنى بداء البخل صم
حمانى زادهم بطن خميص
على الجلى وعرنين أشم(٤١)

---

(٤٠) جحظة البرمكى (الأديب الشاعر) ص٢٨٣-٢٨٤ ، ص٢٨٢،٢٨٥،٣١٠،٣١١ .
(٤١) ديوانه ص١٨٧-١٨٨ ، ص١٥٣ .

يظهر تعفف الشاعر عن السؤال من خلال قوله "سيحرسنى التجمل" فالحراسة تدل على المحافظة وعدم اراقة ماء الوجه فى سؤال من تمكن فيهم البخل ، يقول : "هم عنى بداء البخل صم" تفيد هذه العبارة اعراضهم ، بل واصرارهم وتمسكهم بالبخل .

ثم يضيف أن مايطمح اليه من رفعة وعزة كانت هى السبب فى حمايته من تكفف البخلاء ، يقول : "بطن خميص على الجلى وعرنين أشم" . يتضح من هذه الجملة أن الشاعر كان يقصد بلفظة "خميص" الصبر على الجوع ، وب"العرنين" الترفع والعلو .

ومما يؤيد ماذهبنا اليه قوله "الجلى وعرنين أشم" فالجلى هى الأمر العظيم والعرنين هو الأنف ، وفى ذلك دلالة على شموخ وسمو الشاعر ، الذى لم يلن أمام هؤلاء البخلاء الأصلاء .

ويشكو ابن سنان من وجوده بين مجتمع البخلاء ، يقول :

أحلنى الدهر لدى معشر
باب الندى عندهم مرتج
دارهم الدنيا لأنا بها
ندخل صفرا وكذا نخرج(٤٢)

تعبر اللغة التقريرية فى البيتين عن عدم رضا الشاعر بوجوده بين فئة البخلاء ، يقول : "أحلنى الدهر لدى معشر" ، تفيد هذه العبارة أن الشاعر لم يكن له اختيار فى وجوده فى مجتمع البخلاء ، ولكنه وجد نفسه فيه ، ثم يصف أولئك القوم بالبخل مكنيا عن ذلك بقوله : "باب الندى عندهم مرتج" ، فقد جعل الكرم عبارة عن مكان فسيح له باب ، غير أن ذلك الباب أوصد عند أولئك البخلاء ، الذين تشبه دارهم الدنيا التى يخرج الانسان منها كما دخل اليها صفر اليدين .

---

(٤٢) ديوانه ص١٩ ، ص٢٤،١٠٠ .

وفى صورة تختلف عما سبق يتحدث أحمد بن أبى فنن عن البخيل ، تاركا الحكم عليه للضيف الذى سيحل عليه ، فيقول :

لاأشتم الضيف ولكننى
أدعو له بالقرب من طوق
بقرب من ان زاره زائر
مات الى الخبز من الشوق(٤٣)

جعل الشاعر "طوقا" رمزا للبخل وشبحا مخيفا يخوف به .

ثم لجأ الى أسلوب الذم بما يشبه المدح ، لما فيه من تأكيد على دعاء الشاعر على الضيف .

فالشاعر حين ينفى شتمه للضيف ، نجده يستدرك الدعاء عليه ، حيث خرج بلفظة "الدعاء" عن معناها الأصلى وهو الدعاء بالخير ، الى الدعاء بالشر . ويصور حال الضيف وقد اشتد به الجوع وهو يترقب الطعام بحال العاشق الولهان، الذى يترقب طلعة محبوبته ، يقول : "مات الى الخبز من الشوق" فالموت يعنى أن الجوع بلغ من الضيف مبلغا كاد يفضى به الى الموت .

---

(٤٣) شعراء عباسيون ١٦٥/١ .

ظاهرة الكدية:[٤٤]

أدى سوء السياسة الاقتصادية الى تردى الأوضاع الاجتماعية ، وضيق مصادر العيش ، ونتيجة لذلك انتشرت البطالة .

ان هذه الأوضاع الاقتصادية المتردية ، كانت من أهم أسباب ظهور المكدين .

بدهى أن أى مجتمع من المجتمعات البشرية ، يتكون من عدة شرائح مختلفة ، ومن ضمن هذه الشرائح الأثرياء والفقراء .

فهاتان الشريحتان شغلتا كثيرا من الشعراء ، فالفقراء المعدمون يحتاجون لمن يعطف عليهم ، ويأخذ بأيديهم ، والأغنياء الممسكون كثيرا مايمسكون عن العطاء ، لم يحثهم على البذل والعطاء وازع من دين أو ضمير .

ولما تمكنت عادة الاستجداء من المكدين ، سلبتهم القدرة على العمل ، وخيمت عليهم الاستكانة والخنوع والاستسلام .

فلم يجدوا أمامهم سوى الترويح عن أنفسهم بالأحاديث اللاذعة والشعر الناقد ووصف حيلهم ، لما فى ذلك من تنفيس عما يعتمل فى نفوسهم من آلام .

فنجدهم يفخرون بانتسابهم الى بنى ساسان [٤٥]، يقول الأحنف العكبرى مفتخرا بآل ساسان ومجدهم التالد :

---

(٤٤) الكدية والكادية : الشدة من الدهر . والكدية : كل ماجمع من طعام أوشراب أو نحوه .. ويقال : لايكديك سؤالى أى لايلح عليك .. وأكدى الرجل قل خيره، وقيل المكدى من الرجال الذى لايثوب له مال ولاينمى .. وبلغ الناس كدية فلان ، اذا أعطى ثم منع وأمسك . انظر اللسان مادة (كدا) .

(٤٥) بنو ساسان : طائفة من الشطار والعيارين ، كانوا يحصلون على قوتهم عن طريق الكدية والحيلة .

وساسان : جد ملوك الأكاسرة، وقيل ساسان : شيخ المكدين والغرباء .

انظر : معجم البلدان ١٧١/٣ ، شرح الشريشى ٣٢٨/٥ .

على أنى بحمد الله
فى بيت من المجد
واخوانى بنو ساسا
ن أهل الجد والجد
لهم أرض خراسان
فقاشان الى الهند
الى الروم الى الزنج
الى البلغار والسند
اذا ماأعوز الطرق
على الطراق والجند
حذارا من أعاديهم
من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج
بلا سيف ولاغمد
ومن خاف أعاديه
بنا فىالروع يستعدى(٤٦)

ويفخر أبودلف بكثرتهم وانتشارهم فى الأرض وتجوالهم بين أمصارها حتى أن البحر كان لهم فيه نصيب يقول :

فنحن الناس كل النا
س فى البر وفى البحر
أخذنا جزية الخلق
من الصين الى مصر

---

(٤٦) اليتيمة ٣/١١٧-١١٨ .

الى طنجة بل فى كل
أرض خيلنا تسرى
اذا ضاق بنا قطر
نزل عنه الى قطر
لنا الدنيا بما فيها
من الاسلام والكفر (٤٧)

وقد يضطر المعدمون الى التجوال والتنقل من مكان لآخر طلبا للعطاء دون مراعاة لكرامتهم ، حيث أن همهم الحصول على القوت ، ففى خطاب أبى العلاء المعرى الشعرى ، وصف دقيق لحالهم وقد دأبوا على التجوال من أجل الحصول على لقمة العيش ، مشبها مايحصلون عليه من عطاء بالغيث ، وقد وفق الشاعر فى ابراز حالهم باستخدام المقابلة ، حيث ان طلبهم واستجداءهم لم يفز بالنوال فى كل مرة ، ومع ذلك لم يدب اليأس الى نفوسهم ، فهم يواصلون الطلب حتى يقبضهم ملك الموت ، يقول :

قطعت البلاد فمن صاعد
بغيث النوال ومن هابط
تمد عصاك الى النابحات
فيعجبن من جأشك الرابط
وتغبط كلا على ماحواه
ومالك فى العيش من غابط
وقفت على كل باب رأيت
حتى نهاك أبو ضابط (٤٨)

---

(٤٧) اليتيمة ٣/٣٥٥ .
(٤٨) اللزوميات ٢/١٠٠١ ، ٣/١٥٥٧ .

وعمد شعراء الكدية الى الشكوى من بخل الزمان والدهر مكنين بذلك عن حياة البؤس والفاقة التى يعيشونها ، لهذا تجاهلوا مصدر الفساد الحقيقى وكنوا عنه بالزمان أو الدهر أو الدنيا أو نحو ذلك من الألفاظ التى توهموها قوة مسيطرة على هذا العالم ، تدبر شئونه ، وتصرف أموره ، فنسبوا اليها كل مايصيب الانسان فى هذه الحياة من خير وشر"(٤٩).

أما سلوكهم وتحايلهم الذى يعتمدون عليه للحصول على القوت فيتعدد بتعدد المواقف ويتنوع بتنوع الحاجة التى ينشدونها ، يقول الأحنف العكبرى :

قد قسم الله رزقى فى البلاد فما
يكاد يدرك الا بالتفاريق(٥٠)
ولست مكتسبا رزقا بفلسفة
ولابشعر ولكن بالمخاريق(٥١)
والناس قد علموا أنى أخو حيل
فلست أنفق الا فى الرساتيق(٥٢)(٥٣)

يقرر الشاعر أن رزقه يأتيه قليلا قليلا ، وأنه لايكتسبه كغيره من الفلاسفة والشعراء ، لكنه يعمد الى الحيلة واللعب معا .

لهذا يؤكد دأبه على التحايل من أجل كسب العيش .

ويتحدث أبو دلف عن حيلهم ، فيقول :

---

(٤٩) الأدب فى ظل بنى بويه ص٢٤٣ .
(٥٠) التفاريق : فرقه تفريقا وتفرقة : بدده وأخذ حقه بالتفاريق . القاموس (فرق) .
(٥١) المخاريق : المخراق منديل أونحوه يلوى فيضرب به أو يلف فيفزع به ، وهو لعبة يلعب بها الصبيان . والمخراق : السيف . اللسان (خرق).
(٥٢) الرساتيق : وزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد . اللسان (رستق) .
(٥٣) اليتيمة ١١٨/٣-١١٩ .

ومنا منفذ الطين
وأصحاب اللحى الحمر
ومن شقف بالماء
ومن شقف بالجمر
ومن كدى على كيسا
ن فى السر وفى الجهر
ومنا النائح المبكى
ومنا المنشد المطرى
ومن ضرب فى حب
على وأبى بكر
ومن يروى الأسانيد
وحشو كل قمطر(٥٤)

هذه الأبيات جزء من قصيدته الساسانية ، يصف فيها الشاعر بعض حيلهم والطرق التى يسلكونها فى استجداء الناس من حيلة وتمويه ودجل .. تحدث الشاعر عن جانب ضئيل من حيلهم فى هذه الأبيات . فقد كانوا خبراء بالحياة الاجتماعية ، لذا نراهم يتبعون الطرق التى تجدى مع فئات المجتمع المتعددة .

فمع الشيعى يخضبون لحاهم ويحملون السبح والحجار الطينية ، حتى لو تطلب الأمر النواح على الحسين والتغنى بالأشعار التى قيلت فيه . أما الرعاع والبلهاء فيكتبون لهم الرقاع ويقذفونها فى الماء أو النار فيحتالون بها عليهم.

ومن حيلهم جلب بعض أقوام من الكيسانية لاستدرار العطف ، وطلب النوال عليهم .

---

(٥٤) اليتيمة ٣/٣٦١-٣٦٢ ، وانظر القصيدة كاملة فى نفس المصدر ٣/٣٥٤-٣٧٣ .

كما لم يسلم الصحابة رضوان الله عليهم من حيلهم ، فقد اتفق اثنان وذهبا الى أحد الأماكن المزدحمة فلزم أحدهما جانبا وأخذ يعدد مآثر ومحاسن أبي بكر ، وفي الجانب الآخر أخذ الثاني يعدد مآثر وفضائل علي ، فلا يفوتهما عطاء ، حتى رواية الحديث كانت مصدر ارتزاق لهؤلاء المكدين ، فبعضهم يجلس على قارعة الطريق فيروى الأحاديث .

ويصور لنا شعراء الكدية ظاهرة التطفل(٥٥) الناشئة عن ظاهرة الفقر ، حيث اضطر أولئك الفقراء الى فرض أنفسهم على الناس حينا ، وبالحيلة أحيانا لكى يحصلوا على الغذاء ، غير آبهين بما يلقونه من ذلة وهوان ، يقول الحمدوى :

أراك الدهر تطرق كل دار
كأمر الله يحدث كل ليله
فان غلظ الحجاب وكان صعبا
ولم تقدر هناك على دخيله
أخذت لكى تخاطبهم خلالا
وقلت نسيت عندكم نعيله
فتلتهم الخوان بما عليه
وتبدرهم الى بيض البقيله
وتأكل أكل ميسرة وأيضا
فلابد لعرسك من زليله
وأنت بفضل حذقك ذا طفيل
وتلك بما تزل لها طفيله(٥٦)

---

(٥٥) الطفيلي : هو الذى يدخل على القوم من غير أن يدعوه ، مأخوذ من الطفل ، وهو اقبال الليل على النهار بظلمته . انظر اللسان (طفل) .

(٥٦) شعراء بصريون ص١٥٨-١٥٩ .

يتحدث الشاعر فى هذه الأبيات عن الطفيلى الذى لجأ ـ عندما أدرك أن الفقر قد طحنه بكلكله ـ الى التطفل حتى يحصل على الطعام . لهذا أخذ ينسج حيله وتمويهاته ، حتى فرض نفسه ، وأضحى كقدر الله الذى لامفر منه ، ومهما كان الحجاب متينا ، فحيله تخترق كل تلك الحجب . واذا وقع على الطعام ، لايتورع عن التهام أى كمية منه ، بل ويحمل معه ماتبقى من طعام لزوجه .

ويتحدث جحظة البرمكى عن التطفل فيقول :

أظهرت فى التطفيل مالم يكن
يعرف فى التطفيل أهل العقول
تأكل سحتا وتزل الذى
يبقى من الزاد لأم النقول(٥٧)

لم يكتف المتطفل ـ الذى تحدث عنه الشاعر ـ بما أكله فى بطنه ، بل عمد الى حمل ماتبقى من طعام .

لذا استنكر الشاعر أساليب التطفل التى يسلكها فى تطفله ، ويبين أن مايأكله حرام ، بله حمله .

يتضح لنا من خلال هذه النصوص أنها لم تكن نقدا منصبا على ظاهرة الكدية ، بقدر ماهى نقد لتفشى هذه الظاهرة ، دون التعرض للعوامل المسببة لهذه الظاهرة ، التى تعاورت على المجتمع ، وكانت سببا مباشرا فى تفشيها .

أما السمة التى ينماز بها شعر الكدية من خلال النصوص التى بين أيدينا ، فهى اعتماد الشعراء على أسلوب السرد القصصى وضرب الأمثلة المحسوسة ، كما هو واضح عند العكبرى ، وأبى دلف ، والحمدوى .

وتظهر بشكل لافت نزعة الفخر عند الشحاذين والطفيليين كالأحنف العكبرى وأبى دلف ، فى فخرهم بانتسابهم لهذه الفئة .

---

(٥٧) جحظة البرمكى (الأديب الشاعر) ص٢٩٤ .

الخاتمــــة

الخاتمة

صور شعر الهجاء الاجتماعى فى العصر العباسى الحياة الاجتماعية ، التى تأثرت بالأوضاع السياسية المضطربة ، والتدهور الاقتصادى ، الناتج عن فساد الأنظمة وسوء توزيع الثروة ، نتيجة تسلط الموالى وأسلوبهم فى الحياة .

ان شعر الهجاء الاجتماعى فى العصر العباسى لم يكن نسيج وحده ، لكنه كان يمثل قيم العصر الفنية ، حيث أضحى جزءا من الشعر العربى بعامة والعباسى بخاصة .

فرغم براعة شعراء الهجاء الاجتماعى واحكامهم لصنعتهم ، الا أننا لسنا من المتعصبين الذين يبالغون فى وصف خصائص الموضوع الذى يقومون ببحثه ، لكن الذى يمكننا أن نصف به هذا الشعر هو أنه أصبح غرضا من أغراض الشعر فى العصر العباسى ، فى حين كان من قبل عبارة عن نقدات عابرة .

لقد كان لطبيعة العصر دور واضح فى بروز هذا اللون من الشعر ، حيث كانت الحياة الاجتماعية تخضع لظروف سياسية واقتصادية وفكرية ، لهذا كانت الظواهر الاجتماعية أثرا من آثار تلك الحياة . ولذلك تصدى الشعر لتلك الظواهر ، معبرا عن دوافع الشاعر النفسية وآلامه ، ومايعتوره من هموم ، جراء الحيف والانحراف الدينى والأخلاقى .

ولقد برع شعراء الهجاء فى طريقة أداء تلك المعانى التى تطرقوا اليها ، حيث ظهر أثر الحياة الفكرية والثقافية على موضوعات هذا الشعر ، فكثرت التشبيهات المنتزعة من البيئة والاستئناس بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، والتاريخ وغيرها ، مما يدل على تنوع ثقافاتهم .

وكانوا يراعون فى انتاجهم ، أولئك الذين يتوجهون اليهم بذلك الشعر ، بمعنى أن الأسلوب فى شعر المجون ، يختلف عنه فى شعر التحلل الخلقى ، وكلاهما يختلف عن شعر الكدية .

بين البحث أهم العوامل التى أدت الى تشكيل الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى ، مع بيان أثر الخلل السياسى وسوء الحالة الاقتصادية، بالاضافة الى أثر الموالى على أسلوب الحياة الجديدة ، كونهم ينتمون الى أعراق مختلفة وثقافات متعددة ، وهذا بطبيعة الحال أدى بالضرورة الى نشوء بعض الظواهر التى لم تكن مألوفة فى المجتمع .

وقد نتج عن تلك الظواهر الاستخفاف بالشعائر الدينية ، حيث انتشر اللهو والمجون وشاعت الخمر والتغزل بالغلمان والافتتان بالقيان .

كما أبرز البحث كثيرا من مظاهر التحلل الخلقى التى لم تكن واضحة فى العصور المتقدمة ، وضوحها فى العصر العباسى .

ويبدو أن تطور الحياة الجديدة فى العصر العباسى ، وماعتوره من التفكك والاضطرابات السياسية ، أدى الى تردى الحالة الاقتصادية ، حتى أصبحت عاملا مهما فى بروز تلك الظواهر ، التى تحلل المتصفون بها من قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وانساقوا خلف تلك الحياة لاهثين ، همهم جمع المال والاستحواذ عليه بأى طريقة ، فهو فى نظرهم البلسم الشافى .

لذا كان من الطبيعى أن تنشأ ظاهرة حب المال ، نتيجة لانحدار الاقتصاد وسوء توزيع الثروة بين فئات المجتمع .

وهذا بدوره ساعد على تفشى ظاهرة البخل ، وشيوع الاستجداء لدى طائفة المكدين .

وبعد ، فقد اتضح لى فى ختام هذا البحث مايلى :

لم يحظ شعر الهجاء الاجتماعى بعناية الدارسين والنقاد ، كعنايتهم بغيره من موضوعات أدبنا العربى ، رغم أنه بلغ قمة ازدهاره فى هذه الحقبة .

كما أنه يعالج ظواهر اجتماعية ناشئة عن خلل فى السياسة ، والحياة الاقتصادية ، وقد أجاد فى ذلك واتسم هذا الشعر بالوضوح وعدم التوعر والغموض ، والتكلف فى الصنعة ، وهذا مما ساعد على بروزه ، ووضح أثر الموالى على الحياة الاجتماعية من خلال ظواهر الانحراف وسلوكهم فى الحياة.

كما لحظ البحث أن دقة التصوير لدى الفئات المحرومة ، كانت واضحة ، وذلك لقدرتهم الفائقة على تصوير واقعهم البائس .

ويعزو البحث ظاهرة الشعر الاجتماعى الى اتساع الثقافة والنضج الفكرى والقدرة على استكناه الأشياء والحكم عليها .

واتضح من خلال هذا البحث أن شعر الهجاء الاجتماعى ، كان فى مجمله عبارة عن مقطعات شعرية ، ولعل ذلك راجع الى أنه كان وليد اللحظة التى قيل فيها ، وان كان بعض ذلك قد ورد فى طى قصائد طويلة .

كما وضح من خلال هذه الدراسة أن شعر الهجاء الاجتماعى قد استخدم الأوزان الطويلة ، التى تتواءم وموضوعاته .

وبين البحث غلبة القوافى الذلل ، وابتعد عن القوافى النفر .

هذه أبرز الملاحظات التى توصل اليها البحث .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس الفنيه

فهرس القوافي

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس القوافى (*)

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
اللحى	السريع	السرى الرفاء	٥	١٦٧
الكبراء	الخفيف	الشريف العقيلى	٣	١٨٢
رخاء	الطويل	يزيد المهلبى	٤	٤٧
صفاء	الطويل	أبو هلال العسكرى	٣	٧٦
العزاء	الوافر	يزيد المهلبى	٣	٦٩
لضيائها	الكامل	أبو العباس الناشىء	٨	٤٣
خضابها	الطويل	أبو العلاء المعرى	٣	٥٣
عتبه	الوافر	ابن المعذل	٣	١٠٩
غلبا	الكامل	ابن الحجاج	٢	١٨٢
أعيب	الطويل	ابن الرومى	٤	١٢٤
ثعالب	الطويل	دعبل الخزاعى	١	١٧٥
لاتعاب	الخفيف	جحظة البرمكى	٢	١٩١

(*) راعينا فى ترتيب القوافى الحركات ، حيث رتبناها كالآتى : سكون ، ففتح ، فضم فكسر .
لم نراع الألف واللام فى ترتيب القوافى الأبجدى .

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الغلب	المنسرح	أبو العلاء المعرى	٥	٤٤
كاذب	الطويل	أبو العلاء المعرى	٣	١٤٢
لبيب	الطويل	مهيار الديلمى	٤	١١٥
مذنب	الطويل	أبو هلال العسكرى	٢	١٤٠
المريب	الوافر	يزيد المهلبى	٤	١٦٩
يرطب	الطويل	ابن الرومى	٢	٢٠٥
لايريب	الخفيف	البحترى	٢	٨٥
الأجرب	الكامل	لبيد بن ربيعة العامرى	١	٩٣
الأقارب	مجزوءالكامل	ابن المعتز	٣	١٥٠
الارب	الطويل	ابن الرومى	٤	١٢٩
ثيابه	الطويل	الشريف العقيلى	٣	٢٠٧
جانبى	الطويل	ابراهيم الصولى	٣	٧٨
ذنوبه	مجزوءالكامل	الشريف الرضى	٢	١٤٩
الخاضب	الكامل	أبو العلاء المعرى	٣	١٧٣
الشبب	البسيط	ابن الرومى	٢	٥٧
مستريب	الوافر	الأحنف العكبرى	٢	٧٣
نصيبى	المتقارب	ابن المعتز	٢	١١٤
سبت	الطويل	أحمد بن أبى فنن	١	١٤٣
حليته	المتقارب	الحمدوى	٤	٢٠٣
شهواتى	البسيط	الفضل بن العباس	٥	٣٣

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
قسماتها	الكامل	مهيار الديلمى	٤	١٠٠
منسأته	الرمل	بديع الزمان الهمذانى	٣	١٩٤
مرتج	السريع	ابن سنان	٢	٢١٢
مرجى	الوافر	أبو العلاء المعرى	٣	١٥
اصطبحوا	المنسرح	أبو العلاء المعرى	٦	٣٨
الجناح	مجزوءالكامل	ابن الرومى	٧	٩٧
شحيح	مجزوءالرمل	أبو نواس	١	٩٩
فقبيح	الطويل	أبو الفتح البستى	٣	١٤٤
أبدابدا	الطويل	الحسين بن الضحاك	٤	٥٢
أرمدا	الطويل	عمارة بن عقيل	٤	٢٠٠
تمردا	الطويل	أبو الطيب المتنبى	١	٩٠
فندا	البسيط	دعبل الخزاعى	٢	٧٩
ودا	الطويل	ابن أبى حصينة	٤	١١٨
والده	السريع	الخباز البلدى	٣	١٨٣
تبدو	الطويل	الشريف الرضى	١	١٥٨
تريد	الرمل	أحمد بن أبى فنن	٢	٣١
جلده	الطويل	أبو الطيب المتنبى	١	١٧٨
الحسد	البسيط	البحترى	١	١٥٠
الحقود	الوافر	السرى الرفاء	١	١٥٤

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
حمدوا	البسيط	ابن أبى حصينة	٢	١٣٢
لسعيد	الطويل	حسان بن ثابت الأنصارى	١	١١٩
المهود	البسيط	أبو العلاء المعرى	٣	١٣٨
وجده	الطويل	أبو الطيب المتنبى	٤	١٩٧
الجود	البسيط	الشريف الرضى	٣	٢٠٦
حاسد	الطويل	أبوفراس الحمدانى	٣	١٥٦
كحمد	الخفيف	الصنوبرى	٣	١٥٢
الحسد	الكامل	ابن المعتز	٢	١٥٤
الفصاد	الوافر	البحترى	٢	٤٢
قعدد	الكامل	الشريف الرضى	٣	١٠٨
المجد	الهزج	الأحنف العكبرى	٨	٢١٥
المساعد	الطويل	البحترى	٣	١٥٢
الود	الرجز	الشريف الرضى	١	١٤٠
موردى	الطويل	الحسن بن وهب	٥	٧٥
الأكبرا	الكامل	ابن سنان	٢	٧٣
دينارا	البسيط	أبو العلاء المعرى	٢	٢١٠
زاهره	المتقارب	جحظة البرمكى	٣	٢١١
زوارا	الهزج	أبو على البصير	٩	٣٧
ظهرا	الهزج	أبو العيناء	٩	٣٥
مادرى	المتقارب	أبو العلاء المعرى	٢	١٧٧
بقر	المنسرح	ابن لنكك	٣	١٦٣

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
جرر	البسيط	أبو العلاء المعرى	٢	١٥٨
حر	الكامل	الميكالى	١٢	٩٣
السكر	الطويل	ابن الرومى	٣	٤١،١٩
المطهر	الطويل	ابن دريد	٥	١٢٥
نار	الرمل	بديع الزمان	٢	٤٠
آخر	المتقارب	جحظة البرمكى	٣	١٤٥
أثر	البسيط	البحترى	٢	٢٠٦
البحر	الهزج	أبو دلف	٥	٢١٥
الحمر	الهزج	أبو دلف	٦	٢١٨
الدهر	الطويل	ابراهيم الصولى	٣	٨٢
الدهر	الطويل	دعبل الخزاعى	٢	٧٤
الدهر	الطويل	دعبل الخزاعى	٣	٢٠٢
الذكر	السريع	أبو الفتح البستى	٧	١٩٨
الشر	الكامل	مهيار الديلمى	٥	٨٣
عار	الكامل	أبو العلاء المعرى	٢	٩٦
عمرى	الوافر	داعى الدعاة	٥	٧١
الغابر	الكامل	أحمد بن أبى فنن	٣	٩٢
المشير	الخفيف	ابن الرومى	٧	١٦١
المكر	الكامل	مهيار الديلمى	٥	١٣٠
النار	البسيط	الأخطل	١	٢٠١

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يسر	الكامل	البحترى	٤	١٠٧
يفرى	الطويل	سويد بن الصامت	٥	١٠٥
ابرازا	البسيط	أبو العلاء المعرى	٢	٦٠
نجوز	الطويل	أبو العلاء المعرى	٢	١٤٥
افلاس	البسيط	أحمد بن فارس	٢	١٩٢
المجالس	الطويل	ابن الرومى	٣	٤٨
الحضيض	الوافر	الشريف العقيلى	٣	١٤٧
لبياض	الكامل	بديع الزمان الهمذانى	١	١٦٨
نحضى	الخفيف	الشريف المرتضى	٤	١٢٢
الخليط	الوافر	أبو العلاء المعرى	٢	١٨٩
هابط	المتقارب	أبو العلاء المعرى	٤	٢١٦
مستمتع	السريع	الجاحظ	٢	١٦٩
الدعه	الرمل	دعبل الخزاعى	٢	١٠٢
أسمع	الطويل	دعبل الخزاعى	٤	١٢٠
مصنوع	البسيط	كشاجم	٣	١٧١
نافع	المتقارب	ابن الرومى	٣	٨٠
جعجاع	الخفيف	ابن نباته السعدى	٤	١٥٩

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
رتاعی	مجزوءالرمل	بدیع الزمانی الهمذانی	٧	٣١
شروعه	الطويل	البحتری	٤	١٥٧
أخلفا	السريع	الشريف المرتضی	٢	١٤٧
الأرغفه	السريع	الباخرزی	٣	٢٠١
الأكف	الوافر	جحظة البرمكی	٢	١٤٦
ذاقا	الوافر	أبو الطيب المتنبی	٢	١١١
شفيقا	الخفيف	ابراهيم بن المدبر	٢	٦٨
موافق	الطويل	أبو العلاء المعری	٣	١١٣
موافق	الطويل	أبو هلال العسكری	٣	١١٤
اباق	الخفيف	الصوری	٢	١١٠
بالتفاريق	البسيط	الأحنف العكبری	٣	٢١٨
بصديق	الطويل	الصابی	٦	١١٢
بصديق	الكامل	مهيار الديلمی	٣	٢٠٨
طوق	السريع	أحمد بن أبی فنن	٢	٢١٣
بنفاق	الطويل	العطوی	٢	١١١
اليكا	الطويل	أبو العلاء المعری	٢	١٣٧
تبدل	المجتث	منصور الفقيه	٢	٧٤
بطلا	الوافر	صردر	٥	١٣٣

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فقالا	الكامل	أبو العيناء	٧	١٨٧
ليله	الوافر	الحمدوى	٦	٢١٩
مختله	السريع	الصورى	٢	٦٨
تحول	الطويل	أبو فراس الحمدانى	٤	٨٦
جميله	الكامل	الشريف المرتضى	٤	٨٤
جهله	الكامل	أبو هلال العسكرى	٢	١٦٤
قليل	الطويل	الشافعى	١	١١٥،٧٨
مقاتل	الطويل	ابن الرومى	٢	١٧٦
البخل	مجزوءالرجز	العطوى	١	٢٠٥
أنذال	الخفيف	الأحنف العكبرى	٣	١٨١
الأول	الكامل	حسان بن ثابت الأنصارى	١	٩٣
البال	الطويل	امرؤ القيس	١	٥٤
ثقال	الطويل	البحترى	٢	١٨٠
الحجال	الخفيف	ابن حيوس	٣	١٤٨
دخيل	مجزوءالكامل	على بن الجهم	٢	١٠٧
الرجال	الوافر	صردر	٢	٩٥
عذالى	الكامل	أبو الحسن الحرانى	٢	١٣٤
العقول	السريع	جحظة البرمكى	٢	٢٢٠
فاقبل	الكامل	ابن وكيع التنيسى	٣	٣٠
فعله	السريع	أحمد بن أبى طاهر	٤	١٥٥
المال	الطويل	امرؤ القيس	٢	١٧٨
المثل	الطويل	أبونواس	١	٧٨
المبجل	الطويل	على بن الجهم	٤	٥٤

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ظلم	مجزوءالرجز	منصور الفقيه	٢	١٤٣
المنجم	المجتث	منصور الفقيه	٤	٥٩
عنما	البسيط	أبو العلاء المعرى	٣	٥٦
نداما	الكامل	أبو بكر الخالدى	٣	١٠٣
ايلام	الخفيف	أبو الطيب المتنبى	١	١٧٩
دارهم	المتقارب	أبو العلاء المعرى	٤	٤٩
صم	الوافر	صردر	٢	٢١١
عجم	المنسرح	أبو الطيب المتنبى	٢	٢٣
العدم	المنسرح	أبو الطيب المتنبى	٢	٩٩
العزيم	الخفيف	ابن هندو	٣	٤٦
عظيم	الكامل	أبو الأسود الدؤلى	١	١٢٤،١٠٩
القدم	البسيط	منصور الفقيه	٤	١٨٩
كرموا	البسيط	عمارة بن عقيل	٣	١٨٦
كلامه	الكامل	الشريف المرتضى	٤	١٤١
المعدم	الكامل	الشريف الرضى	٢	١٩١
كالأحلام	الكامل	ابن أبى حصينه	٢	٨١
الأقسام	الخفيف	ابن الرومى	٤	١٥٣
الأنام	الخفيف	ابن الرومى	٣	١٥١
الرخم	البسيط	أبو الطيب المتنبى	٣	١٣٩
الرخيم	الوافر	بديع الزمانى الهمذانى	٤	٥٠
العالم	المتقارب	ابن المعتز	٢	١٩٦

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
كرام	الكامل	أبو هلال العسكرى	٢	٩١
مدام	الكامل	جحظة البرمكى	٢	٧١
مظلم	الطويل	الشريف العقيلى	٣	١٧٢
نعمه	المجتث	ابن وكيع التنيسى	٢	١٥٠
تغنينا	البسيط	عبيدالله بن سليمان بن وهب	٣	١٣٥
حزنا	الطويل	ابن هندو	١	٢٠٩
سوانا	الوافر	الشافعى	١	٩٧
يشكونه	البسيط	أبو العلاء المعرى	٣	١٢٣
ايوان	البسيط	أبو البقاء الرندى	١	٨١
طعان	الكامل	الشريف الرضى	٢	٩١
يمينه	الطويل	الباخرزى	٣	١٠١
بألوان	السريع	الخباز البلدى	٢	١١٧
زمان	الكامل	الوأواء الدمشقى	٤	١٢٧
سكن	البسيط	ابن العميد	٤	٨٨
غيروانى	الوافر	ابن أبى حصينة	٢	١٢٧
لسانى	المديد	ابراهيم الصولى	٤	٦٧
محن	البسيط	ابن الحجاج	٢	١٤٣
مكانى	الوافر	القاسانى	٧	١٧٤
يضمنى	الوافر	مهيار الديلمى	٣	١٩٢

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تشبيها	الكامل	أبو جعفر البحاثى	٣	١٦٥
أهله	المجتث	منصور الفقيه	٢	٢٠٤
مجده	الطويل	أبو الطيب المتنبى	١	١٨٦
صبيا	الخفيف	الشريف المرتضى	٥	١١٦
العاليه	المتقارب	ابن وكيع التنيسى	٢	١٧٩
كاسيا	الطويل	أبو الفتح البستى	٤	١٩٥

فهرس الأعلام

* ابراهيم بن العباس الصولى ٦٧،٧٨،٨٢
* ابراهيم بن المدبر ٦٨
* ابن أبى حصينة (أبو الفتح الحسن بن عبد الله) ٨١،١١٨،١٢٧،١٣٢
* ابن أبى طاهر (أحمد بن أبى طاهر طيفور) ١٥٥
* ابن الحجاج (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) ١٤٣،١٤٤،١٨١
* ابن حيوس ١٤٨
* ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) ١٢٥
* ابن الرومى ١٩،٤١،٥٦،٨٠،٩٧،١٢٤،١٢٩،١٣٠
١٤٥،١٥١،١٥٣،١٦١،١٧٦،٢٠٥
* ابن الزيات (محمد بن عبد الملك الزيات) ١٢٠
* ابن سنان الخفاجى ٧٢،٢١٢
* ابن العميد (أبو الفضل محمد بن الحسين) ٨٨
* ابن لنكك ١٦٣
* ابن المعتز ١١٤،١٥٠،١٥٤،١٩٦
* ابن المعذل (عبد الصمد بن المعذل) ١٠٩
* ابن المقفع ١٣٧
* ابن نباتة السعدى ١٥٩
* ابن هندو (أبو الفرج على بن الحسين) ٤٦،٥١،٢٠٩
* ابن وكيع التنيسى ٣٠،٩٣،٩٩،١٥٠،١٧٩
* أبو الأسود الدؤلى ١٠٩،١٢٤
* أبو البقاء الرندى ٨١

* أبو البقاء العكبرى ٧٧
* أبو بكر (رضى الله عنه) ١٧٨، ٢١٩
* أبو بكر محمد الخالدى ١٠٣
* أبو جعفر البحاثى ١٦٥
* أبو جعفر المنصور ١٤
* أبو الدرداء ١١٩
* أبو دلف العجلى ٢١٥، ٢١٧
* أبو العباس السفاح (الخليفة العباسى) ١٣
* أبو العباس الناشىء ٤٣
* أبو على البصير ٣٦
* أبو العيناء ٣٤، ١٨٧، ١٨٨
* أبو الفتح البستى ١٤٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩
* أبو فراس الحمدانى ٨٦، ١٥٦
* أبو نواس الحسن بن هانى ٧٧، ٩٩
* أبو هلال العسكرى ٧٦، ٨١، ١١٣، ١٤٠، ١٦٤
* أبو هريرة (الصحابى الجليل) ١٠٦
* أحمد بن أبى فنن ٣١، ٩٢، ١٤٢، ٢١٣
* أحمد بن الخصيب ١٢٠
* أحمد بن فارس المقيم ١٩٢
* أحمد محمد الحوفى (دكتور) ٢٩
* الأحنف العكبرى ٧٣، ١٨١، ٢١٤، ٢١٧
* الأخطل ٢٠١
* أردشير ٩٠

* أرسطاطاليس ٧٧
* اسحاق بن ابراهيم ١٧
* امرؤ القيس ١٧٨
* بابك الخرمى ٦٦
الباخرزى (على بن الحسن) ١٠١، ٢٠١
* البحترى ٤٢، ٨٥، ١٠٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٨٠، ٢٠٦
* بديع الزمان الهمذانى ٣١، ٤٠، ٥٠، ١٦٨، ١٩٤
* الترمذى ١٠٦
* التنوخى (القاضى أبو على المحسن بن على) ٦٥
* الجاحظ (عمرو بن بحر) ١٩، ١١٩، ١٦٩، ١٩٨
* جحظة البرمكى ٧٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٩٠، ١٩١، ٢١١، ٢٢٠
* حسان بن ثابت الأنصارى ٩٣، ١١٩
* الحسن بن وهب ٧٥
* الحسين بن الضحاك ٥٢
* الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهرى ٦٥
* الحمدوى (اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه) ٢٠٣، ٢١٩
* الخباز البلدى (أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان) ١١٧، ١٨٣
* دعبل بن على الخزاعى ٧٤، ٧٩، ١٠٢، ١٢٠، ١٧٥، ٢٠٢
* ديورانت ٤١
* الرسول صلى الله عليه وسلم = محمد بن عبد الله
* السرى الرفاء ١٥٤، ١٦٧
* سليمان بن ابراهيم العايد (دكتور) ٤

* سليمان بن وهب ١٢٠
* السهيلى ٧٧
* سويد بن الصامت ١٠٥
* الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد) ١٧
* الشافعى (أبو عبد الله محمد بن ادريس) ٧٨، ٩٧
* الشريف الرضى ٩١، ١٠٨، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٨، ١٩١، ٢٠٦
* الشريف العقيلى ١٤٧، ١٧١، ١٨٢، ٢٠٧
* الشريف المرتضى ٨٤، ١١٦، ١٢١، ١٤١، ١٤٧
* الصابى (أبو اسحاق ابراهيم بن هلال) ١١٢، ١١٤
* صالح الكلابى ٤٥
* صردر (على بن الحسن بن على بن الفضل) ٩٥، ١٣٢، ٢١١
* الصنوبرى (أحمد بن محمد بن الحسن الضبى) ١٥٢
* الصورى (عبد المحسن بن محمد بن أحمد) ٦٨، ١١٠
* الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ١٧
* طه حسين (دكتور) ٦٥
* عاصم بن ثابت ١٦٩
* عبد الحكيم حسان عمر (دكتور) ٤
* عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ١٦٣
* عبيد الله بن سليمان بن وهب ١٣٥
* العطوى (محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيه) ١١١، ٢٠٥
* على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ١٠٦، ٢١٩
* على بن الجهم ٥٤، ١٠٦
* على بن الحسن اللحام ١٣٤

* عمارة بن عقيل ١٨٦،٢٠٠

* عيسى (عليه السلام) ١٣٨

* الفضل بن العباس بن المأمون ٣٣،٣٥

* القاسانى (أبو محمد بن اسحاق) ١٧٤

* القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) ٧٧

* كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب) ١٧٠

* لبيد بن ربيعة العامرى ٩٣

* المأمون (الخليفة العباسى) ١١٩

* المؤيد فى الدين داعى الدعاة
(هبة الله بن موسى بن عمران) ٧١

* المتنبى ٢٣،٩٠،٩٩،١١١،١٣٩،١٧٨،١٨٦،١٩٦

* المتوكل (الخليفة العباسى) ١٧،٢٠

* محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ١٠٦،١٦٣،١٦٨،١٧٢

* محمد مريسى الحارثى (دكتور) ٤

* مروان بن محمد (آخر خلفاء بنى أمية) ١٣

* المعتمد (الخليفة العباسى) ٣٠

* المعرى (أبو العلاء) ١٤،٣٨،٤٤،٤٩،٥٠،٥٣،٥٥،٦٠،٩٦،٩٩،١١٣
١٢٣،١٣٧،١٣٨،١٤٢،١٤٥،١٥٨،١٧٢،١٧٧،١٨٨،١٨٩،٢١٠،٢١٦

* المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على) ٣١

* منصور بن اسماعيل الفقيه ٥٩،٧٣،١٤٣،١٨٩،٢٠٤

* مهيار الديلمى ٨٣،١٠٠،١١٥،١٣٠،١٩٢،٢٠٨

* موسى (عليه السلام) ١٣٨

* الميكالى (عبيد الله بن أحمد بن على) ٩٣
* النبى - صلى الله عليه وسلم = محمد بن عبد الله
* الوأواء الدمشقى (أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى) ١٢٧
* الواثق (الخليفة العباسى) ١٢٠
* الوشاء (أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى) ٥٢
* يزيد بن محمد المهلبى ٤٦،٦٩،١٦٩
* يزيد مزيد الشيبانى ١٦١

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* آدم متز
- الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .
نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده .
الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، دار الكتاب العربى ببيروت . الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م بيروت .
* الأخطل - أبو مالك غياث بن غوث التغلبى
- شعر الأخطل
تحقيق د.فخر الدين قباوه .
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت .
* أحمد أمين
- ضحى الاسلام
ج١ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة .
- ظهر الاسلام
ج٢ دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة .
* أحمد الحسين
- أشعار الشحاذين فى العصر العباسى
جمع وتحقيق أحمد الحسين
الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، دار الجيل للطباعة ، دمشق .
* د. أحمد محمد الحوفى
- تيارات ثقافية (بين العرب والفرس)
الطبعة الثالثة . دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

* امرؤ القيس
- ديوان امرىء القيس
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر .
* ابن الأبار - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى
- اعتاب الكتاب
تحقيق د. صالح الأشتر
الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
* ابن أبى حصينة - الأمير أبى الفتح الحسن بن عبد الله
- ديوان ابن أبى حصينة
شرح أبى العلاء المعرى
تحقيق محمد أسعد طلس
المجمع العلمى العربى بدمشق ، المطبعة الهاشمية ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
* ابن الأثير - الامام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج٤
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى ومطبعة الملاح ومكتبةدار البيان ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
* ابن حيوس - أبو الفتيان محمد بن سلطان
- ديوان ابن حيوس ج١
نشر وتحقيق خليل مردم بك
دار صادر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* ابن داود - أبو بكر محمد بن داود الأصبهانى
- الزهرة ج١
تحقيق وتقديم د. ابراهيم السامرائى
مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* ابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد
- كتاب جمهرة اللغة
تحقيق وتقديم د. رمزى منير البعلبكى
دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- ديوان ابن دريد
دراسة وتحقيق عمران سالم
الدار التونسية للنشر ١٩٧٣م .
* ابن الرومى - أبو الحسن على بن العباس بن جريج
- ديوان ابن الرومى
تحقيق د. حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
* ابن سنان - أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد
- ديوان ابن سنان
المطبعة الأنسية . بيروت .
* ابن سيده - على بن اسماعيل بن سيده
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ج١
تحقيق مصطفى السقا ، دكتور حسين نصار
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الأؤلى ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ج٢
تحقيق عبد الستار أحمد فراج .

شـركة مكتبـة ومطبعـة مصطفـى البـابى الحلبى بمصـــر ، الطبعـة الأولى ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .
- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ج٦
تحقيق د. مراد كامل
شـركة مكتبـة ومطبعـة مصطفـى البـابى الحلبى بمصـــر ، الطبعـة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
* ابن طيفور - أحمد بن أبى طاهر طيفور
- المنثور والمنظوم ج١٣
رسالة ماجستير فى كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى . تحقيق ضيف الله سعد الحارثى .
* ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
- عيون الأخبار ج٢
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .
* ابن القيم الجوزية
- مختصـر سنن أبى داود للحـافظ المنذرى ، ومعالم السنن لأبى سليمـان الخطابى ، تهذيب الامام ابن القيم الجوزية ج٦
طبعة الملك خالد بن عبد العزيز ، السعودية ، مكتبة السنة المحمدية .
* ابن المعتز - عبد الله بن محمد بن المعتز الخليفة العباسى
- ديوان أشعار الأمير أبى العباس
دراسة وتحقيق د.محمد بديع شريف
دار المعارف بمصر .
* ابن المقفع - أبو محمد عبد الله
- الأدب الصغير والأدب الكبير
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* ابن مكرم ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
ـ لسان العرب
دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
* ابن نباتة السعدى ـ أبو نصر عبد العزيز بن عمر
ـ ديوان ابن نباته السعدى
دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدى حبيب الطائى
دار الحرية للطباعة . بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
* ابن وكيع التنيسى ـ أبو محمد الحسن بن على بن أحمد
ـ ابن وكيع شاعر الزهر والخمر
جمع وتحقيق د. حسين نصار . مكتبة مصر .
* ـ المنصف فى نقد الشعر
تعليق د.محمد رضوان الداية
دار قتيبة ، دمشق .
* أبو الأسود الدؤلى
ـ ديوان أبى الأسود الدؤلى
تحقيق محمد حسن آل ياسين
منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
* أبو الطيب المتنبى
ـ ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى
ضبط وتصحيح مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى
نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م .
* أبو العلاء المعرى
ـ لزوم مالايلزم

شرح نديم عدى
الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، دار طلاس ، دمشق .
- معجز أحمد
تحقيق د. عبد المجيد دياب
دار المعارف بمصر .
* أبوالعيناء - محمد بن القاسم بن خلاد
- أخبار أبى العيناء اليمامى
محمد بن ناصر العبودى
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* أبو الفتح البستى - على بن محمد بن الحسين
- أبو الفتح البستى (حياته وشعره)
د. محمد مرسى الخولى
دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .
- ديوان أبى الفتح البستى
تحقيق درية الخطيب ولطفى الصقال
المجمع العلمى بدمشق ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
* أبو فراس الحمدانى
- ديوان أبى فراس الحمدانى
شرح وتقديم عباس عبد الساتر
دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
* أبو الفرج الأصفهانى
- الأغانى
دار الثقافة، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* أبونواس ـ الحسن بن هانى
ـ ديوان أبى نواس ـ برواية الصولى
تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثى .
دار الرسالة للطباعة ، بغداد ١٩٨٠م .
* الباخرزى ـ على بن الحسن الباخرزى
ـ حياته وشعره وديوانه
تأليف وتحقيق محمد التونجى ، مطبعة دار الكتب ، بيروت .
* البحترى ـ الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى
ـ ديوان البحترى
تحقيق حسن كامل الصيرفى
الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .
* بديع الزمان الهمذانى
ـ ديوان بديع الزمان
تحقيق يسرى عبد الغنى عبد الله
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م .
* البغوى ـ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء
ـ شرح السنة ج١٢
تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط
المكتب الاسلامى ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* التنوخى ـ أبو على المحسن بن على
ـ الفرج بعد الشدة ج٢
تحقيق عبدو الشالجى
دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* الثعالبى ـ أبومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى
ـ يتيمة الدهر
دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
ـ تتمة اليتيمة
تحقيق د. مفيد قميحة
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
ـ ديوان الثعالبى
تحقيق د. محمود عبد الله الجادر
عالم الكتب ومكتبة النهضة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
* الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر
ـ البخلاء
تحقيق طه الحاجرى
الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر .
ـ رسائل الجاحظ ج٢
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون
مكتبة الخانجى ، القاهرة .
ـ الحيوان ج٦
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .
* جحظة البرمكى ـ أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكى
ـ جحظة البرمكى (الأديب الشاعر)
د. مزهر السودانى
مطبعة النعمان ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، بغداد .

* الجواليقى ـ أبو منصور الجواليقى
ـ المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم
تحقيق أحمد محمد شاكر
دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦١هـ .
* حسان بن ثابت الأنصارى
ـ شرح ديوان حسان بن ثابت
ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقى
دار الأندلس ، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
* الحسين بن الضحاك
ـ أشعار الخليع
جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج .
دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠م .
* الحمدوى ـ أبو على اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه
ـ ديوان الحمدوى ـ مستل من مجلة المورد المجلد الثانى العدد الثالث
جمع وتحقيق أحمد النجدى
دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
* الحموى ـ ياقوت الحموى
ـ معجم الأدباء ج٢،١٧،١٨،١٩
مراجعة وزارة المعارف العمومية ، الطبعة الأخيرة ، دار احياء التراث العربى .
ـ معجم البلدان ج٢،٣
توزيع دار الكتاب العربى ، بيروت .
* الخالديان ـ أبوبكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنى هاشم الخالدى
ـ ديوان الخالديين

جمع وتحقيق د. سامى الدهان
المجمع العلمى العربى ، دمشق ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

* الخباز البلدى ـ أبو بكر محد بن أحمد بن حمدان
ـ شعر الخباز البلدى
جمع وتحقيق صبيح رديف
الطبعة الأولى ١٣٦٣هـ/١٩٧٣م ، مطبعة الجامعة ، بغداد .

* الخطيب البغدادى
ـ تاريخ بغداد ج١
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

* داعى الدعاة
ـ ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة
تقديم وتحقيق محمد كامل حسين
دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٩م .

* دعبل بن على الخزاعى
ـ شعر دعبل بن على الخزاعى
صنعة د. عبد الكريم الأشتر
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مجمع اللغة العربية ، دمشق .

* الدميرى ـ كمال الدين محمد بن موسى
ـ حياة الحيوان الكبرى ج٢
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* الزمخشرى ـ جار الله محمود بن عمر
ـ أساس البلاغة

تحقيق عبد الرحيم محمود
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
* السرى الرفاء
- ديوان السرى الرفاء
تحقيق حسين حبيب الحسنى
دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
* السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
- تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
* الشابشتى - أبو الحسن على بن محمد
- الديارات
تحقيق كوركيس عواد
دار الرائد العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* الشافعى - أبوعبد الله محمد بن ادريس
- شعر الشافعى
تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت
مكتبة القدس ، بغداد ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* الشريشى - أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى
- شرح مقامات الحريرى ج٥

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
نشر المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .
* الشريف الرضى
- ديوان الشريف الرضى
دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* الشريف العقيلى
- ديوان الشريف العقيلى
تحقيق د. زكى المحاسنى
عيسى البابى الحلبى وشركاه .
* الشريف المرتضى
- ديوان الشريف المرتضى
تحقيق رشيد الصفار
عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٥٨م .
* د. شوقى ضيف
- العصر العباسى الأول
دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة .
- العصر العباسى الثانى
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.
- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
دار المعارف بمصر ، الطبعة الحادية عشرة .
* صردر - على بن الحسن بن على بن الفضل
- ديوان صردر
دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ/١٩٦٤م .

* الصنوبرى ـ أحمد بن محمد بن الحسن الضبى
ـ ديوان الصنوبرى
تحقيق د. احسان عباس
نشر دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠م .
* الصورى ـ عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون
ـ ديوان الصورى
تحقيق مكى السيد جاسم وشاكر هادى شكر
دار الحرية ودار الرشيد ، بغداد ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* الصولى ـ أبو بكر محمد بن يحيى
ـ أخبار الراضى بالله والمتقى لله
نشر ج.هيورث . دن
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بيروت .
* الطبرى ـ أبو جعفر محمد بن جرير
ـ تاريخ الطبرى ج٩
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة .
* د. طه حسين
ـ مع المتنبى
الطبعة الحادية عشرة ، دار المعارف بمصر .
* العباسى ـ عبد الرحيم العباسى
ـ معاهد التنصيص ج٤
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

* عبد الرزاق البدرى
- شعراء وأدباء فى العصر العباسى فى سامراء
دار القادسية ، بغداد .
* عبد الصمد بن المعذل
- شعر عبد الصمد بن المعذل
تحقيق زهير غازى زاهد
مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
* عبد العزيز الميمنى
- الطرائف الأدبية
دار الكتب العلمية ، بيروت .
* العسكرى - أبو هلال الحسن بن عبد الله
- ديوان العسكرى
جمع وتحقيق جورج قنازع
المطبعة التعاونية بدمشق ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .
- ديوان المعانى
عالم الكتب .
* على بن الجهم
- ديوان على بن الجهم
تحقيق خليل مردم بك
منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* عمارة بن عقيل
- ديوان عمارة بن عقيل
جمع وتحقيق شاكر العاشور
الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، مطبعة البصرة .
* الفيروز ابادى - مجد الدين محمد بن يعقوب
- القاموس المحيط
تحقيق مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ،
الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
* القرطبى - الامام أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى
- بهجة المجالس وأنس المجالس
تحقيق محمد مرسى الخولى
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .
* القيروانى - أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى
- زهر الآداب وثمر الألباب
تحقيق على محمد البجاوى
عيسى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية .
* كشاجم - أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب
- ديوان كشاجم
المطبعة الأنسية . بيروت .
* لبيد بن ربيعه العامرى
- شرح دوانه
تحقيق الدكتور احسان عباس .
مطبعة حكومة الكويت (طبعة ثانية مصوره) ١٩٨٤م .

* المبرد ـ أبو العباس محمد بن يزيد
ـ الكامل ج٢
تحقيق محمد أحمد الدالى
مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* محمد جبار المعيبد
ـ شعراء بصريون من القرن الثالث الهجرى
مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٧م .
* د. محمد رضوان الداية
ـ أبو البقاء الرندى "شاعر رثاء الأندلس"
مكتبة سعد الدين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* د. محمد مصطفى هدارة
ـ اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى
المكتب الاسلامى ، دمشق وبيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* محمود غناوى الزهيرى
ـ الأدب فى ظل بنى بويه
مطبعة الأمانة بمصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
* المسعودى ـ أبو الحسن على بن الحسين بن على
ـ مروج الذهب ج٤
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
* المقريزى ـ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على
ـ الخطط المقريزية
دار صادر ، بيروت .

* منصور بن اسماعيل الفقيه
- منصور الفقيه "حياته وشعره"
د. عبد المحسن فراج القحطانى . دار القلم، بيروت .
* مهيار الديلمى
- ديوان مهيار
دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى .
* الميدانى - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم
- مجمع الأمثال
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
عيسى البابى الحلبى وشركاه .
* الميكالى - عبيد الله بن أحمد بن على
- ديوان الميكالى
جمع وتحقيق جليل العطية
عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* النيسابورى - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى
- صحيح مسلم ج١
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .
* الوأواء الدمشقى - ابو الفرج محمد بن أحمد الغسانى
- ديوان الوأواء الدمشقى
تحقيق سامى الدهان
المجمع العلمى العربى بدمشق .
* الوشاء - أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى
- الموشى "أو الظرف والظرفاء"

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
* ول ديورانت
- قصة الحضارة م١ ، ج٢
ترجمة محمد بدران
الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
* د.يونس أحمد السامرائى
- شعراء عباسيون ج١
عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- شعراء عباسيون ج٢
عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- شعراء عباسيون ج٣
عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- آل وهب
مطبعة المعارف ، بغداد . الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير ٤
المقدمة ٥
التمهيد ١٢

الفصل الأول : التحلل الدينى

(١) اللهو ٢٩
(٢) وصف الخمر ٣٥
(٣) فى ذم المرأة ٥٢
(٥) فى التنجيم والشعوذة ٥٩

الفصل الثانى : التحلل الخلقى

(١) التنكر للصديق ٦٧
(٢) اللئام ٩٠
(٣) النفاق ١٠٥
(٤) الغيبة والنميمة والوشاية ١١٩
(٥) فى الكذب ١٣٧
(٦) فى الحسد ١٥٠
(٧) فى ذم اللحى والخضاب ١٦١
(٨) فى الجبن وقصر الهمة ١٧٤

الفصل الثالث : الاقبال على الماديات والحرص على المال

(١) المال وأثره على العلاقات الاجتماعية ١٨٦
(٢) البخل ١٩٨
(٣) ظاهرة الكدية ٢١٤
الخاتمة ٢٢١
الفهارس ٢٢٥
فهرس القوافى ٢٢٦
فهرس الأعلام ٢٣٧
فهرس المصادر والمراجع ٢٤٣
فهرس الموضوعات ٢٦١